الباب الأول

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

إمـــام

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله :

الإمام أصله : القصد[1] .

(١) الإمام : الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعاً . ينظر التعريفات للجرجاني (أ م م) .
وأمّا الهمزة والميم فأصلٌ واحدٌ ، يتفرّع منه أربع أبواب ، وهي الأصل ، والمرجع ، والجماعة ، والدِّين ، وهذه الأربعة متقاربة ، وبعد ذلك أصولٌ ثلاثة ، وهي القامة ، والحين ، والقَصْد ، قال الخليل : الأُمّ الواحدُ والجمع أمّهات ، وربما قالوا أمٌّ وأمّات . قال شاعرٌ وجَمَع بين اللّغَتين :

إذا الأُمَّهات قَبَحْنَ الوجوهُ *** فرَجْتَ الظّلامَ بأُمّاتِكا

وتقول العَرَب : "لا أمّ له" في المدح والذمّ جميعاً . قال أبو عبيدة : ما كنتِ أمّاً ولقد أمَمْتِ أُمُومةً . وفلانةٌ تـؤمُّ فلاناً أي تغذوه ، أي تكون لـهُ أمّاً تغذوه وتربيّه .
وتقول أمٌّ وأمّةٌ بالهاء . قال :

تَقَبّلتَها من أُمّةٍ لَكَ طالما *** تُنُوزِعَ في الأسواقِ عنها خِمارُها

قال الخليل : كلُّ شيءٍ يُضَمُّ إليه ما سواه مما يليه فإنّ العربَ تسمّي ذلك الشيءَ أُمّاً . ومن ذلك أُمّ الرأس وهو الدّماغ . تقول أممْت فلاناً بالسيّف والعَصا أمّاً ، إذا ضربته ضربةً تصل إلى الدماغ . والأميم : المأموم ، وهي أيضاً الحجارة التي تُشْدَخ بها الرؤوس ؛ والشّجةُ الآمّة : التي تبلغ أُمَّ الدماغ ، وهي المأمومة أيضاً . قال :

يحُجُّ مأمُومةً في قَعْرِها لَجَفٌ *** فاستُ الطّبيبِ قَذاها كالمَغاريدِ

قال الخليل : أمّ التّنائف أشدُّها وأبعدها . وأُمُّ القرى : مكّة ؛ وكلُّ مدينةٍ هي أمُّ ما حولها من القُرى ، وكذلك أمُّ رُحْمٍ وأمُّ القُرآن : فاتحة الكتاب . وأمُّ الكتاب : ما في اللّوح المحفوظ . وأمّ الرّمح : لواؤه وما لُفَّ عليه . قال :

وسلبنَ الرُّمْحَ فيه أُمُّهُ *** مِنْ يدِ العاصي وما طال الطِّوَلْ

وتقول العَرَبُ للمَرأة التي يُنْزَل عليها : أمُّ مَثْوىً ، وللرّجُل أبو مَثْوىً . قال ابن الأعرابيّ : أمّ مِرزَم الشّمال ، قال :

إذا هو أمسى بالحَلاءَة شاتياً *** تُقَشِّرُ أعلى أنفِهِ أُمُّ مِرزَمِ

وأم كلْبَةِ الحمّى . ففيه قول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد الخليل : "أبْرَحَ فتىً إنْ نَجا مِنْ أُمِّ كَلْبة" . وكذلك أمُّ مِلْدَم ، وأمُّ النُّجوم : السّماء . قال تأبّط شرّاً :

يرى الوَحْشَةَ الأُنس الأنيسَ ويهتدي *** بحيث اهتدت أُمُّ النُّجومِ الشّوَابِكِ

انظر معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس مادة (أ م م) .

فأبتدئ منه بما كان في أوله ألف أصلية أو زائدة ، ثم بما كان في أوله باء ، ثم كذلك إلى آخر الحروف .

والله المعين على ما فيه رضاه ، وهو حسبنا ونعم الحسيب .

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبِهِ أَسْتَعِينُ ، وعَلَيهِ أَتَوكلُ

الحمدُ لله ذي النعمِ الجليلةِ والمِنَنِ الجزيلةِ ، الداعي إلى الرشادِ ، والهادِي إلى السدادِ ، ذي الفَضْلِ الجسيمِ والإحسانِ العميمِ ، الشاملِ لطفُه ، الكريمِ عطفُه ، الغالبِ سلطانُه ، الواضحِ برهانُه ، المتم نورَه : ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة التوبة آية ٣٢] ، المعلي دينه ولو رغم المنافقون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وبيده الآخرة والأولى ، وما عنده خير وأبقى ، لا يجلب الخير إلا بمعونته ، ولا يدفع الضر إلا بمغوثته .

وأشهد أن محمدا عبده المجتبى ورسوله المرتضى ، صلى الله عليه وعلى آله الذين اصطفى ، وبعد

فإنك - سددك الله - ذكرت أنك طالعت الكتب المصنفة في الوجوه والنظائر من كتاب الله جل ثناؤه ، فوجدت فيها تأويلات تطرد على أصول أهل الحق من القائلين بالتوحيد والعدل .

فأردت أن يرد كل شيء منها إلى حقه ، وألفيت في معانيها ما يدخل بعضه في بعض ، فالتمست إيراد كل نوع منها على وجهه ، وتوخيت أن يكون ما تفرق منها مجموعا في كتاب واحد على وجه يقرب استخراج ما يراد منه عند الحاجة إليه ، ويزاد عليه ما كان من جنسه مما لم تتكلم فيه السلف .

فعملت كتابي هذا مشتملا على أنواع هذا الفن ، محمولا على ما طلبت ، ومسلوكا به طريق ما سألت ، قد نفي اللبس عن جميعه ، ويبين الصواب في صنوفه ، وميزت وجوهه تمييزا صحيحا ، وقسمت أبوابه تقسيما مليحا .

وذكر أصل كل كلمة منه واشتقاقها في العربية ؛ لتكثر فائدتك به ، ونظم على نسق حروف المعجم ؛ ليتيسر الوصول إلى المطلوب من أنواعه ، ويتسهل نيل ما ينبغي من أصنافه .

الله أو بالحاجب فرجه في المال أو على النفس بدلالة قوله عليه السلام
إذا حلفتم فاحلفوا بالله واصدقوا فوأو اليمين خرسما يسوقه
الحلف في الكذب من الكلام دون غيره وهي في القرآن على
ثلثة أوجه أولها معنى القسم قال تعالى لا يؤاخذكم
الله باللغو في أيمانكم والثاني القوة قال تعالى لأخذنا
منه باليمين أي لانتقمنا منه بقوة ومعنى ذلك أنا قادرون عليهم
ومنه قول الشماخ
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
ومنه قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه أي بقدرته
ويجوز أن يكون المعنى باليمين المبالغة كما قال خلقت بيدي
والثالث بمعنى [illegible] والملك قال تعالى وما
ملكت يمينك مما أفاء الله عليك يعني ما حصل لك من الغنائم ونحو
وما ملكت أيمانكم تم أبنيا الأبواب التي تقدم بها الشرط في
أول الكتاب وشرحه مضمونها ما احتاج إلى الشرح وغير
إكثار ولا اقتضاب ونسأل الله عز وجل النفع بها عاجلا
وآجلا وهو ولي المنة بذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلواته على نبيه وآله الأخيار [illegible]
ووقع منه في شهر ربيع الآخر سنة [illegible] وأربعمائة
حامدا لله تعالى ومصليا [illegible]

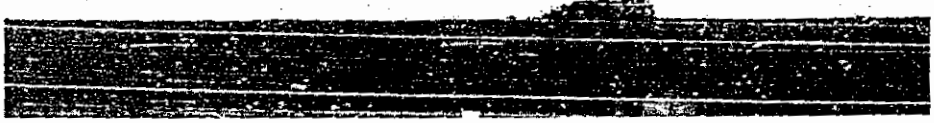

الورقة الأخيرة من المخطوط

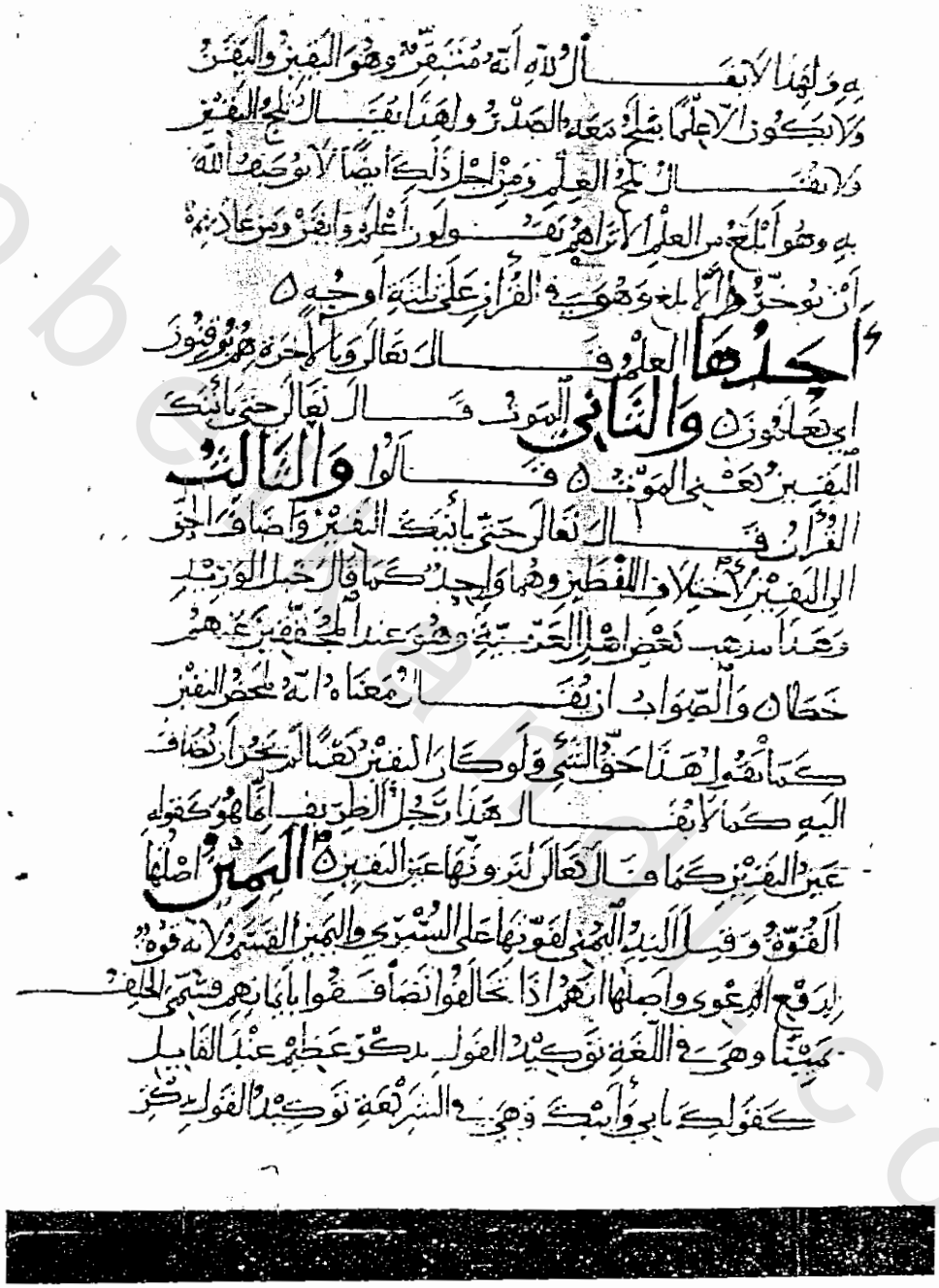

الورقة قبل الأخيرة من المخطوط

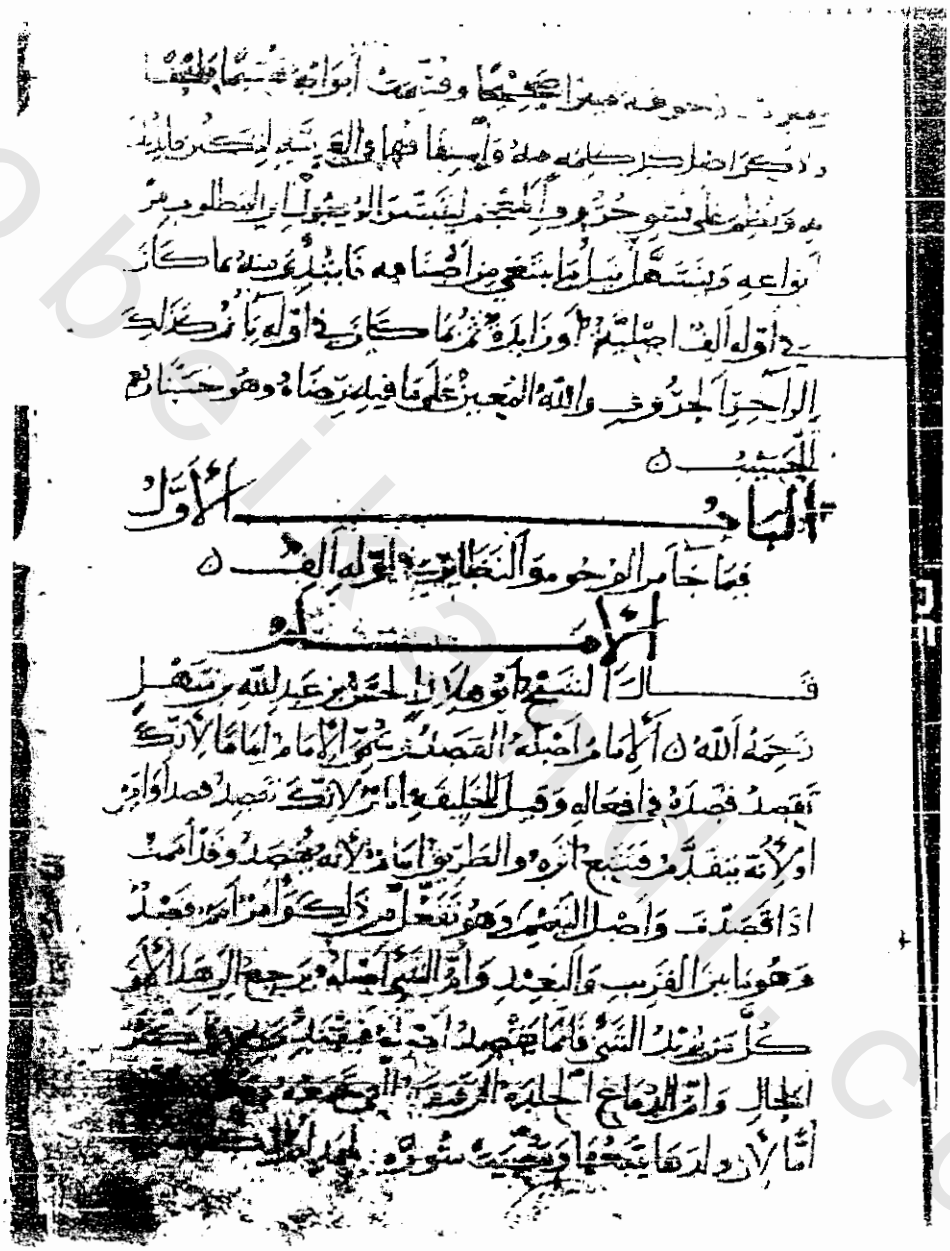

الورقة الثانية من المخطوط

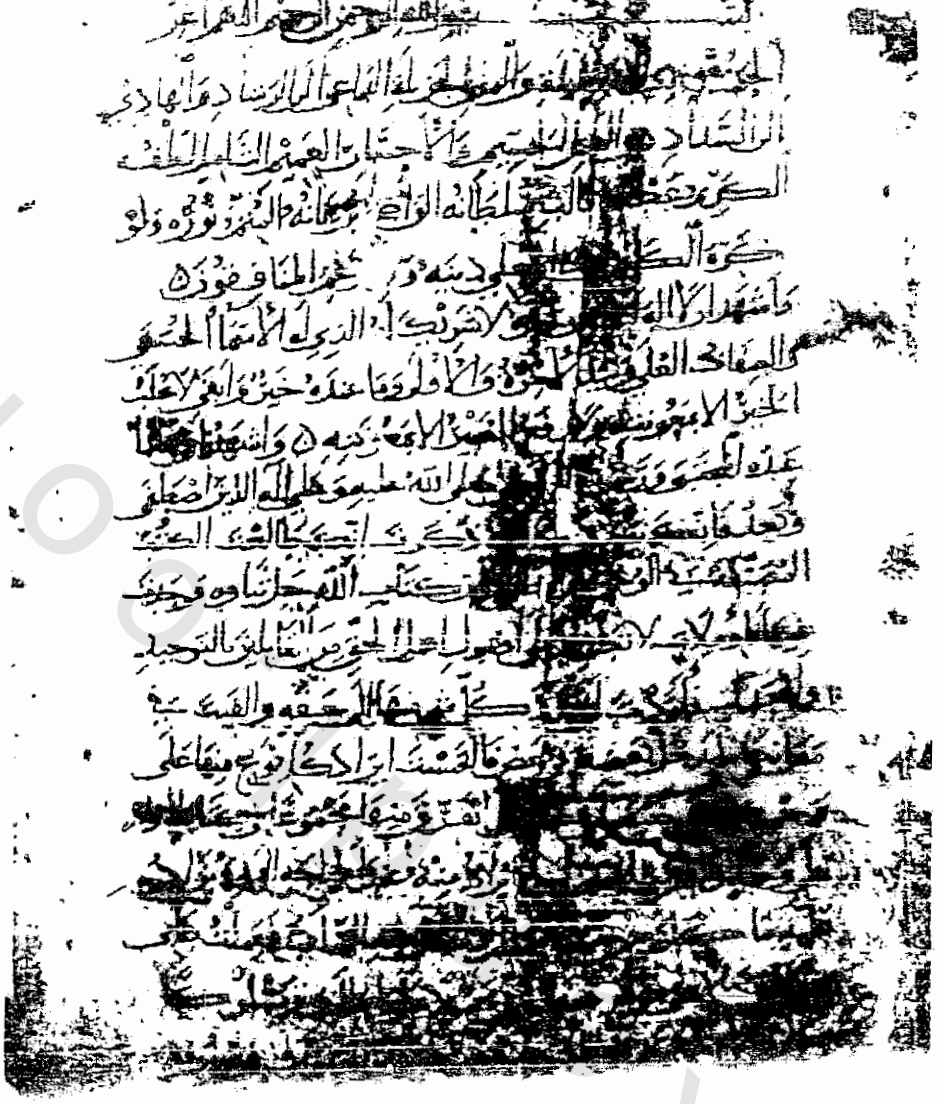

الورقة الأولى من المخطوط

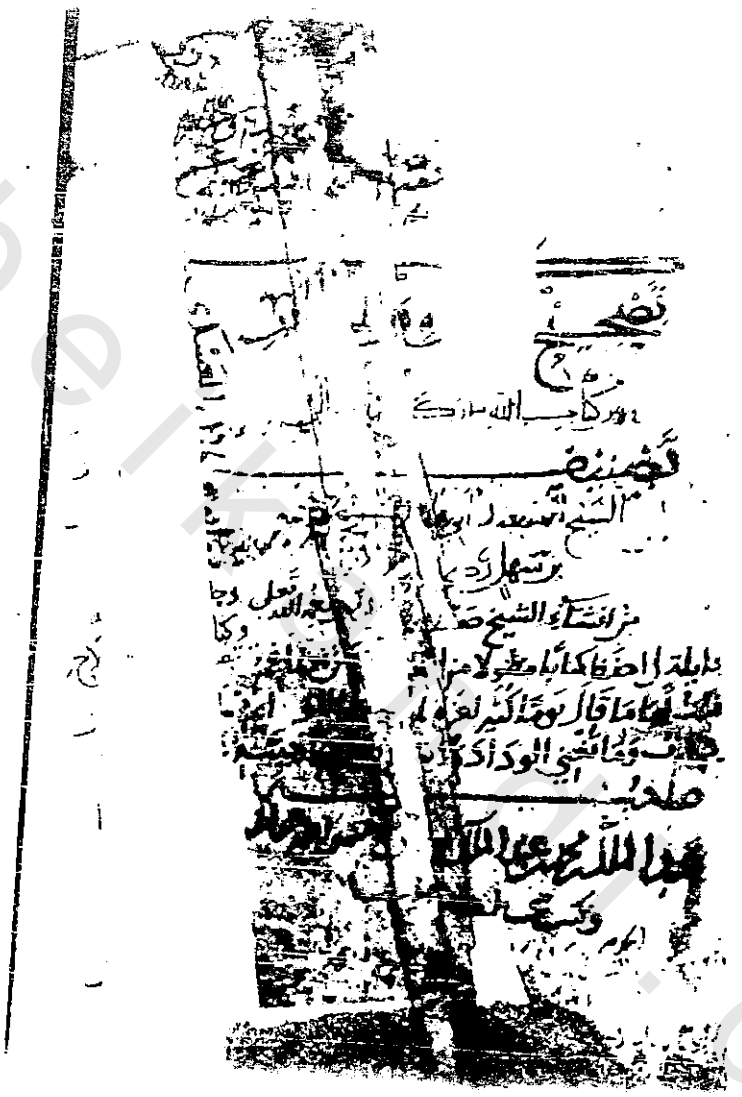

ورقة الغلاف من المخطوط

obeikandi.com

صور المخطوط

obeikandl.com

١٢. معجم المطبوعات .

وصف النسخة الخطية :

نسخة كتبت بخط نسخ جميل مشكول تظهر فيها العناوين بخط أسود بارز ولكن يعيبها في بعض الأحيان سوء التخزين حيث نجد بعض الطمس على جوانبها وفي مواضع متفرقة من صفحاتها .

وتقع النسخة في ١٩١ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا .

وهي نسخة مصورة محفوظة بمعهد المخطوطات بالقوائم غير المفهرسة .

وقد قمنا بنسخ المخطوط ثم مطابقة ما نُسخ على الأصل المخطوط ليتم استدراك ما فات من سهو أو انتقال نظر أثناء النسخ ، ثم عمدنا إلى العمل التحقيقي في الكتاب من إحالة إلى جذور وشرح الكلمات وتخريج الأحاديث والآيات وغير ذلك مما ستجده في الكتاب .

وقدمنا ذلك كله بدراسة لعلم الوجوه والنظائر مشيرين إلى أهم الكتب التي تحدثت في هذا المجال .

ثم ألحقنا ذلك بترجمة لأبي هلال العسكري وفرقنا بينه وبين خاله أبي أحمد والذي قد يخطأ كثير من المؤرخين فيهما كما قدمنا قبل .

وهذا الكتاب كتاب جليل فيه فوائد جمة نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما فيه .

آمين

obeikandl.com

ومن شعره أيضا :

ما بال نفسك لا تهوى سلامتها وأنت في عرض الدنيا ترغبها

دارٌ إذا جاءت الآمال تعمرها جاءت مقدمة الآجال تخربها

أراك تطلب دنيا لست تدركها فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

وفاته :

قال ياقوت : وأما وفاته ؛ فلم يبلغني فيها شيءٌ غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشرٍ خلت من شعبان سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة .

وذكر بعض المؤرخين أنه توفي في حدود الأربعمائة . فالله أعلم .

مصادر الدراسة والترجمة :

١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي .

٢. الوافي بالوفيات للصفدي .

٣. طبقات المفسرين للسيوطي .

٤. الطبقات السنية في تراجم الحنفية للتقي الغزي .

٥. الأعلام للزركلي .

٦. معجم المؤلفين لعمر كحالة .

٧. تاريخ دمشق لابن عساكر .

٨. تاريخ الإسلام للذهبي .

٩. هدية العارفين للباباني .

١٠. دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي .

١١. كشف الظنون لحاجي خليفة .

obeikandl.com

شيء من سيرته :

قال الصفدي في الوافي بالوفيات : وكان يتبزز احترازا من الطمع والدناءة والتبذل .

قلت وقد ذكره الباخرزي في كتاب : دمية القصر ، فقال : بلغني أن هذا الفاضل كان يحضر السوق ، ويحمل إليها الوسوق ، ويحلب در الرزق ويمتري ، بأن يبيع الامتعة ويشتري .

ومن شعره :

جلوسي في سوقٍ أبيع وأشتري دليلٌ على أن الأنام قـــــرود

ولا خير في قومٍ يذل كرامهم ويعظم فيهم نذلهم ويســـــود

وتهجوهم عني رثاثة ملبسي هجاءً قبيحاً ما عليـــــه مزيد

ومنه :

إذا كان مالي مال من يلقط العجم وحالي فيكم حال من حاك أو حجم

فأين انتفاعي بالأصالة والحجى وما ربحت كفي على العلم والحكم

ومن ذا الذي في الدهر يبصر حالتي فلا يلعن القرطاس والحبر والقلم

وقال السيوطي في طبقات المفسرين : كان عالماً عفيفاً يتبزَّز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل ،وكان الغالب عليه الأدب والشعر .

وقال أبو طاهر السلفي : سألت أبا المظفر الآبيوردي رحمه الله عن أبي هلال العسكري فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفة معا ، وقال : كان يتبزز احترازا من الطمع والدناءة والتبذل .

وقال أبو هلال أيضا :

لا يغرنكم علو لئيم فعلوٌ لا يستحق سفال

فارتفاع الغريق فيه فضوحٌ وعلو المصلوب فيه نكال

التصحيف ، وراحة الأرواح ، والحكم والأمثال ، وتصحيح الوجوه والنظائر ، والزواجر والمواعظ ، وصناعة الشعر ، والمختلف والمؤتلف .

وذكر الزركلي في الأعلام : من كتبه (الزواجر والمواعظ) و (التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم - ط) و (الحكم والامثال) و (راحة الارواح) و (تصحيفات المحدثين - خ) لعله كتابه المطبوع باسم (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) و (تصحيح الوجوه والنظائر) و (المصون - ط) في الادب ، و (صناعة الشعر) وهو خال أبي هلال (الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري) الآتي ذكره ، وأستاذه .

وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : ومن جملته : كتاب صناعة الشعر رأيته ، كتاب الحكم والأمثال ، كتاب راحة الأرواح ، كتاب الزواجر والمواعظ ، كتاب تصحيح الوجوه والنظائر .

وقال أبو طاهر السفلي : إن أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم ، والتبحر في فنون الفهوم ، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف ، ومن جملته : كتاب " صناعة الشعر " . كتاب " الحكم والأمثال " . كتاب " التصحيف " . كتاب " راحة الأرواح " . كتاب " الزواجر والمواعظ " . كتاب " تصحيح الوجوه والنظائر " .

والذي جعلنا ننسب الكتاب لأبي هلال ما وجدناه على نسخته المخطوطة وفي بدايته حيث قال الناسخ : قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمة الله عليه .

وذكر أيضا في متن كتابه عند الكلام على الوجه الرابع في "الجعل" : وكان بعض العرب يذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، فرد الله ذلك بهذا القول ، وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير . وقد ذكرر ذللك مرارا .

وقال أيضا : وبيان ذلك مشروح في كتابنا في الفروق . وكتاب الفروق معروف لأبي هلال العسكري .

فكان هذا ما دفعنا أن ننسب الكتاب لأبي هلال ، ولعل ما كتبه المفهرسون والمؤرخون كان لبسا منهم بين مصنفات أبي أحمد ومصنفات أبي هلال.. والله أعلم .

الأمـة[1]

راجعة إلى القصد ، وهي : الجماعة التي تقصد الأمر بتضافر وتعاون . وقولنا : أمة محمد صلى الله عليه ، معناه : الجماعة القاصدة لتصديقه ، المتفقة في أصول دينه ، وإن اختلفت في الفروع .

ويجوز أن يكون أصّل الكلمة الجمع . فقيل للرجل : أمة ؛ لأنه يسد مسد الجماعة . والإمام : إمام ؛ لاجتماع القوم عليه . والأم ؛ لجمعها أمر الولد[2] .

والأمة : الدهر ؛ لأنها جماعة شهور وأعوام ، وهو قوله : ﴿وَادكَرَ بَعْدَ أُمةٍ﴾ [سورة يوسف آية ٤٥] . وقيل : يريد بعد حين أمة فحذف .

وأمه : إذا قصد الاجتماع معه . وفلان حسن الأمة ، أي : القامة ؛ وذلك لاجتماع خلقه على الاستواء .

والأمي : قيل : من الأمة الجماعة ، أي : على أصل ما عليه الأمة ، وقيل : هو من الأم .

وهي في القرآن على عشرة أوجه :

---

(١) الامة : الجماعة ، وتكون واحدا إذا كان يقتدي به في الخير ، ومنه قوله تعالى : " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله" ، وقال صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل : (يبعث أمة وحده) لانه لم يشرك في دينه غيره ، والله أعلم .
وقد يطلق لفظ الامة على غير هذا المعنى ، ومنه قوله تعالى : " إنا وجدنا آباءنا على أمة " أي على دين وملة ، ومنه قوله تعالى : " إن هذه أمتكم أمة واحدة " . وقد تكون بمعنى الحين والزمان ، ومنه قوله تعالى : " وادكر بعد أمة " أي بعد حين وزمان . ويقال : هذه أمة زيد ، أي أم زيد .
والامة أيضا : القامة ، يقال : فلان حسن الامة ، أي حسن القامة ، قال : وإن معاوية الاكرمين ؟ حسان الوجوه طوال الامم وقيل : الامة الشجة التي تبلغ أم الدماغ ، يقال : رجل مأموم وأميم .[القرطبي :٢/ ١٢٧] .

(٢)تأويل ذلك كان آدم على الحقّ إمامًا لذريته ، فبعث الله النبيين في ذ ووجهوا معنى"الأمة" إلى طاعة لله ، والدعاء إلى توحيده واتباع أمره ، من قول الله عز وجل(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) [سورة النحل : ١٢٠] ، يعني بقوله"أمة" ، إمامًا في الخير يُقتدى به ، ويُتَّبع عليه . ينظر تفسير الطبريَ ٤/ ٢٧٦ .

أولها : الجماعة ، قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٨] ، أي : جماعة ، ومثله : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٣] ، وقوله : ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ [سورة المائدة آية ٦٦] ، وقوله : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ [سورة الأعراف آية ١٥٩] .

الثاني : الملـة ، قال الله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة البقرة آية ٢١٣] . يعني : أهل أمة واحدة ، أي : ملة ؛ فحذف لبيان المعنى(١) ، كما قال : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف آية ٨٢] .

وسميت الملة أمة ؛ لاجتماع أهلها عليها ، ويجوز أن يقال : أنها سميت أمة ؛ لأنها تقصد وتتبع .

والمراد أن الناس كانوا على الكفر فيما بين آدم ونوح ، أو فيما بين نوح وإبراهيم ، فبعث الله النبيين عليهم السلام بالأوامر والنواهي والبشارات والزواجر ، : ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٣] ، أي : الذي فيه الحق ؛ ليكون فصلا بين المختلفين بما فيه من التمييز بين الصواب والخطأ ، وهو مثل قولك : ذهب به ، وخرج به ، وما أشبهه(٢) .

---

(١)وأصل "الأمة" ، الجماعة تجتمع على دين واحد ، ثم يُكتفى بالخبر عن "الأمة" من الخبر عن "الدين" ، لدلالتها عليه ، كما قال جل ثناؤه :(وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) [سورة المائدة :٤٨ سورة النحل : ٩٣] ، يراد به أهل دين واحد وملة واحدة . فوجه ابن عباس في تأويله قوله :" كان الناس أمة واحدة" ، إلى أن الناس كانوا أهل دين واحد حتى اختلفوا .

(٢)جائزٌ أن يكون كان ذلك حين عَرض على آدم خلقه . وجائزٌ أن يكون كان ذلك في وقت غير ذلك– ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة على أيِّ هذه الأوقات كان ذلك . فغيرُ جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل : من أن الناس كانوا أمة واحدة ، فبعث الله فيهم لما اختلفوا الأنبياءَ والرسل . ولا يضرُّنا الجهل بوقت ذلك ، كما لا ينفعُنَا العلمُ به ، إذا لم يكن العلم به لله طاعةً ، غير أنه أي ذلك كان ، فإن دليلَ القرآن واضحٌ على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة ، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به . وذلك إن الله جل وعز قال في السورة التي يذكر فيها"يونس" :(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [يونس : ١٩] . فتوعَّد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع ، ولا على كونهم أمة واحدة ، ولو كان اجتماعُهم قبل الاختلاف كان على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك ، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان ، ولو كان ذلك كذلك

الثالث : أهل الإسلام بعينه ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [سورة يونس آية ١٩] ، يعني : حالهم على عهد آدم ،-وما كانوا عليه في سفينة نوح . ومثله : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة النحل آية ٩٣] ، ومثله في المائدة ، أي : لو شاء الله لجعلكم متفقين على الإسلام قهرا ، كما قال تعالى : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [سورة الشعراء آية ٤] .

الرابع : قوله : ﴿وَإِن هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة الأنبياء آية ٩٢] . أي : ملتكم ، فهي هاهنا الملة بعينها ، وفي الأول : الجماعة المتفقة على الملة الواحدة كما بينا .

قال الزجاج : ﴿وَإِن هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ، : ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ رفع ؛ لأنه خبر هذه ، المعنى : أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق ، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلا فيها ، فنصب : ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الحال .

وقرئ : (أمة واحدة) على أنها خبر بعد خبر ، ومعناه : إن هذه أمة واحدة سورة ليست آية أما ، ويجوز أن يكون نصب : ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ على التوكيد كأنه قال : إن أمتكم كلها أمة واحدة .

الخامس : قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ [سورة هود آية ٨] . يعني : سنين .

ومثله قوله تعالى : ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [سورة يوسف آية ٤٥] . أي : بعد حين .

وسمي الحين أمة ؛ لأنه جماعة أوقات وشهور . وقيل : هو على حذف : أي : بعد حين أمة ، أي : جماعة .

لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته ، ومحال أن يتوعد في حال التوبة والإنابة ، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك .

وقرئ : بعد أمه ، أي : بعد نسيان . وقيل : ﴿إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ ، أي : جماعة معدودة ، بأنه ليس فيها من يؤمن ، فإذا صارت كذلك أهلكت بالعذاب .

السادس : قوله تعالى : ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [سورة النحل آية ٩٢] ، يعني : قوما يكونون أربى من قوم ؛ أي : أكثر عددا ، ومنه الربا ؛ لأنه زيادة في أصل المال .

ومثله : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [سورة الحج آية :٣٤] . أراد أنه جعل لكل أمة من الأمم التي خلت فيها الرسل منسكا ؛ وهو الذبائح التي كان أمرهم أن يتقربوا بها إلى الله – ونتكلم في ذلك فيما بعد إن شاء الله – ولم يرد جميع الأمم ؛ لأنه لم يجعل للمجوس وعباد الأصنام مناسك[1] .

السابع : الإمام ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [سورة النحل آية ١٢٠] . أي : إماما يقتدى به في الخير .

وقيل الأمة : الرجل العظيم ، وسمي بذلك ؛ لأنه يؤم في الحوائج ؛ أي : يقصد .

---

(١) لما ذكر تعالى الذبائح بين أنه لم يخل منها أمة ، والامة القوم المجتمعون على مذهب واحد ، أي ولكل جماعة مؤمنة جعلنا منسكا . والمنسك الذبح وإراقة الدم ، قاله مجاهد : يقال : نسك إذا ذبح ينسك نسكا . والذبيحة نسيكة ، وجمعها نسك ، ومنه قوله تعالى : "أو صدقة أو نسك" (١) [البقرة : ١٩٦] .
والنسك أيضا الطاعة .
وقال الازهرى في قوله تعالى : " ولكل أمة جعلنا منسكا " : إنه يدل على موضع النحر في هذا الموضع ، أراد مكان نسك . ويقال : منسك ومنسك ، لغتان ، وقرئ بهما . قرأ الكوفيون إلا عاصما بكسر السين ، الباقون بفتحها .
وقال الفراء : المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير أو شر . وقيل مناسك الحج لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى .
وقال ابن عرفة في قوله : " ولكل أمة جعلنا منسكا " : أي مذهبا من طاعة الله تعالى ، يقال : نسك نسك (٢) قومه إذا سلك مذهبهم . وقيل : منسكا عيدا ، قاله الفراء . وقيل : حجا ، قاله قتادة .
والقول الاول أظهر ، لقوله تعالى : (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبح ما رزقهم .
فأمر تعالى عند الذبح بذكره وأن يكون الذبح له ، لانه رازق ذلك .
ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالاله واحد لجميعكم ، فكذلك الامر في الذبيحة إنما ينبغى أن تخلص له .

الثامن : أمة كل رسول ؛ يعني : من بعث إليه الرسل من أمثال عاد ، وثمود ، وقوم لوط ؛ وهو قوله تعالى : ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمةٍ أَجَلَهَا﴾ [سورة الحجر آية ٥ ، المؤمنون ٤٣] ، يعني : من هذه الأمم لم تسبق أجلها في العذاب .

وقوله تعالى : ﴿وَإِن مِنْ أُمةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر آية ٢٤] . يعني : الأمة من هذه الأمم ؛ لأن الفرس والسند والهند والزنج أمم ولم يبعث فيها نذير ، وإنما كانوا متعبدين بتصديق من بعث في غيرهم من الأنبياء ، على حسب ما يعبدوا بتصديق محمد صلى الله عليه وآله ، ولم يبعث فيهم .

التاسع : قوله : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناسِ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . يعني : أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة .

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة آية ١٤٣] . أي : عدلا . وهو من واسطة القلادة ، وليس من قولهم : هذا شيء وسط . إذا كان بين العالي والمنحط ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وعلى آله : " أنا أوسط قريش نسبا " .

وله وجه آخر : وهو أن الوسط : العدل ، وسمي بذلك ؛ لأنه بين غلو الغالي وتقصير المقصر[1] .

---

(١)وأما"الوسَط" ، فإنه في كلام العرب الخيارُ . يقال منه :"فلان وَسَطُ الحسب في قومه" ، أي متوسط الحسب ، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه ، و"هو وَسَطٌ في قومه ، وواسطٌ" ، كما يقال :"شاة يابِسةُ اللبن ويَبَسةُ اللبن" ، وكما قال جل ثناؤه : (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا) [سورة طه : ٧٧] ، وقال زُهير بن أبي سُلمى في"الوسط" :

هُمُ وَسَطٌ تَرْضَى الأنامُ بِحُكْمِهِمْ . . . إذَا نزلَتْ إحْدَى اللَيَالِي بِمُعْظَمِ

قال أبو جعفر : وأنا أرى أن"الوسط" في هذا الموضع ، هو"الوسط" الذي بمعنى : الجزءُ الذي هو بين الطرفين ، مثل"وسَط الدار" محرَّك الوَسط مثقَّله ، غيرَ جائز في"سينه" التخفيف .

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم"وسَط" ، لتوسطهم في الدين ، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه ، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب ، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هُم أهلُ تقصير فيه ، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله ، وقتلوا أنبياءَهم ، وكذبوا على ربهم ، وكفروا به ؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه . فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها .

وأما التأويل ، فإنه جاء بأن"الوسط" العدلُ . وذلك معنى الخيار ، لأن الخيارَ من الناس عُدولهم .

ومعنى الآية على هذا : إنكم لم تغلوا في الأنبياء غلو النصارى في عيسى ، إذ قالوا : إنه إله . ولم تقصروا فيهم تقصير اليهود ، إذ قالوا : إنه كذاب .

ومن الأول قولهم : فلان وسيط في حسبه ، أي : هو الكامل المتناهي .

وفي الآية دليل على أن الأمة لا تجتمع على الباطل .

والوسط بالإسكان : الموضع .

والوسط بالتحريك : ما بين طرفي كل شيء ، وأصل الكلمة العدل ، فالمكان لا يمتد إلى المسافة إلى أطرافه .

والرجل الأوسط في قومه : الذي تكلله الشرف من نواحيه .

العاشر : قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . يعني : الكفار من أمة محمد صلى الله عليه ، وقد تقدم ذكر الأمم والرسل في القرآن ، فعطف قوله : ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ . على أولئك الرسل ، فكأنه قال : كما أرسلنا إلى أمم رسلا من قبل أرسلناك إلى أمة ، يعني : هذه الأمة ، و : ﴿خَلَتْ﴾ . أي : مضت ولم تبق منهم باقية .

وفي هذا التزهيد في الدنيا والحث على الاعتبار بمن سلف . ثم قال : ﴿لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . أي : لتتلوه عليهم وتدعوهم إلى العمل به فحذف ذلك .

وقوله : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . موصول بقوله : ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾ . الكفر بالرحمن دينهم .

والأصل في هذا كله واحد إلا أن موضع الاستعمال يختلف[1] .

ذكر من قال :"الوسطُ" العدلُ . ينظر تفسير الطبري ٣/ ١٤٠ – ١٤١ .

(١) قال الخليل : الأمَّة : الدِّين ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف ٢٢] .
وحكى أبو زيدٍ : لا أمَّة له ، أي لا دينَ له . وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زيد بن عمرو بن نُفَيْل : "يُبْعَثُ أمَّةً وحْدَهُ" .

وهاهنا وجه آخر، وهو قوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [سورة الأنعام آية :٣٨] . لـما جعلها أمثالهم في الخلق والموت والبعث جعلها أمما .

obeikandl.com

وكذلك كلُّ مَنْ كان على دينٍ حقٍّ مخالفٍ لسائر الأديان فهو أمّة . وكلُّ قوم نُسبوا إلى شيءٍ وأُضيفوا إليه فهم أمّة ، وكلُّ جيل من النّاس أمّةٌ على حِدَة .

وفي الحديث : "لولا أنّ هذه الكلابَ أمّةٌ من الأمم لأمرْتُ بقتلها ، ولكن اقتُلُوا منها كلّ أسوَدَ بَهيم" .

فأمّا قولـه تعالى : ﴿كانَ النّاسُ أمّةً واحِدَةً﴾ [البقرة ٢١٣] ، فقيل كانوا كفّاراً فبعثَ اللهُ النبيّين مبشّرين ومنذرين . وقيل : بل كان جميعُ مَنْ مع نوحٍ عليه السلام في السفينة مؤمناً ثمّ تفرقوا . وقيل : ﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً﴾ [النحل ١٢٠] ، أي إماماً يُهتدَى به ، وهو سبب الاجتماع . وقد تكون الأمّة جماعة العلماء ، كقوله تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيرِ﴾ [آل عمران ١٠٤] .

وقال الخليل : الأمّة القامَة ، تقول العَرَب إنّ فلاناً لَطويل الأُمّة ، وهم طِوال الأمَم ، قال الأعشى :

وإنَّ مُعاويَةَ الأكرَمِينَ ❊❊ حِسانُ الوُجوهِ طِوالُ الأمَمْ

قال الكسائيُّ : أمّة الرجل بَدَنه ووجْهه . قال ابن الأعرابيّ : الأمّة الطاعة ، والرّجلُ العالم .

قال أبو زيد : يقال إنّه لحسَنُ أمّة الوجْه ، يعْزُون السّنّة ، ولا أمّة لبني فلانٍ ، أي ليس لهم وجه يقصِدون إليه لكنهم يخبِطُون خَبْط عَشْواءَ .

قال اللّحيانيّ : ما أحسنَ أمّته أي خَلْقه . قال أبو عُبيد : الأمّيّ في اللغة المنسوبُ إلى ما عليه جبلة الناس لا يكتُب ، فهو [في] أنّه لا يكتُبُ على ما وُلِدَ عليه .

قال : وأمّا قول النّابغة :

❊ وهلْ يأْثَمَنْ ذو أمّةٍ وهو طائِعُ❊

فمن رفَعه أراد سنّة ملكه ، ومن جعَله مكسوراً جعَله دِيناً من الائتمام ، كقولك ائتم بفلان إمّةً .

والأمة في قوله تعالى : ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف ٤٥] ، أي بعد حين .

والإمام : كلّ من اقتُدِي به وقُدِّم في الأمور . والنبيُّ صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة ، والخليفة إمام الرّعية ، والقرآن إمام المسلمين . قال الخليل : الإمّة النّعمة . قال الأعشى :

❊وأصاب غزوُكَ إمّةً فأزالها ❊

انظر مقاييس اللغة مادة (أم م) .

الأخـذ(١)

أصله : الجمع ، ومنه يقال للموضع الذي يجتمع فيه ماء السماء : الأخذ ، والجمع إخاذ ، ويقال له : وخذ أيضا ، ويقال : ولي على الشأم وما أخذ إخذه ؛ أي : اجتمع مع أعماله . ومآخذ الطير : مصائدها ؛ لأنها تجتمع فيها ، والاتخاذ : أخذ الشيء لأمر يستمر .

واستعمل في القرآن على ستة أوجه :

أولها : القبول ، قال الله تعالى : ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [سورة المائدة آية :٤١] . أي : اقبلوه . وقوله : ﴿وَيَأْخُذُ الصدَقَاتِ﴾ [سورة التوبة آية :١٠٤] . أي : يقبلها ، ومعنى قبوله لها إثابته عليها . وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُل عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [سورة الأنعام آية :٧٠] . أي : لا يقبل منها فدية ، والعدل : الفدية ، وسنذكره إن شاء الله .

ومثله قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾(٢) [سورة الأعراف آية ١٩٩] . أي : اقبل الفضل من أموالهم .

---

(١) الفرق بين الاخذ والاتخاذ : أن الاخذ مصدر أخذت بيدي ويستعار فيقال أخذه بلسانه إذا تكلم فيه بمكروه ، وجاء بمعنى العذاب في قوله تعالى " وكذلك أخذ ربك " وقوله تعالى " فأخذتهم الصيحة " وأصله في العربية الجمع ومنه قيل للغدير وخذ وأخذ جعلت الهمزة واوا والجمع وخاذ واخاذ ، والاتخاذ أخذ الشئ لامر يستمر فيه مثل الدار يتخذها مسكنا والدابة يتخذها قعدة ، ويكون الاتخاذ التسمية والحكم ومنه قوله تعالى " واتخذوا من دونه آلهة " أي سموها بذلك وحكموا لها به [الفروق اللغوية : ١/ ٢٩] .

(٢)قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك :

فقال بعضهم : تأويله :(خذ العفو) من أخلاق الناس ، وهو الفضل وما لا يجهدهم . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن مجاهد ، في قوله :(خذ العفو) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

حدثنا يعقوب وابن وكيع قالا حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله :(خذ العفو) قال : عفو أخلاق الناس ، وعفوَ أمورهم .

حدثنا يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : حدثني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه في قوله :(خذ العفو) ، . . الآية . قال عروة : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس :(خذ العفو وأمر بالعرف) ، الآية .

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : بلغني عن مجاهد :(خذ العفو) ، من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

- . . . . قال : حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن الزبير :(خذ العفو) قال : من أخلاق الناس ، والله لآخذنَّه منهم ما صحبتم .

- . . . . قال : حدثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : إنما أنزل الله :(خذ العفو) ، من أخلاق الناس .

- حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :(خذ العفو) قال : من أخلاقالناس وأعمالهم ، من غير تحسس =أو تجسس ، شك أبو عاصم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خذ العفو من أموال الناس ، وهو الفضل . قالوا : وأمر بذلك قبل نزول الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نُسِخ . ذكر من قال ذلك :

- حدثني المثنى قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله(خذ العفو) ، يعني : خذ ما عفا لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذه . فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات إليه .

- حدثني محمد بن الحسين . قال : حدثنا أحمد بن المفضل قال : حدثنا أسباط ، عن السدي :(خذ العفو) ، أما "العفو" : فالفضل من المال ، نسختها الزكاة .

- حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول : حدثنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك ، يقول في قوله :(خذ العفو) ، يقول : خذ ما عفا من أموالهم . وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة .

وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم قبل أن يفرض قتالهم عليه . ذكر من قال ذلك :

- حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله :(خذ العفو) قال : أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة . قال : ثم أمره بالغلظة عليهم ، وأن يقعد لهم كل مَرْصَد ، وأن يحصرهم ، ثم قال :(فَإِنْ تَابُواوَأَقَامُوا الصَّلاةَ) ،[سورة التوبة : ٥ ، ١١] الآية ، كلها . وقرأ :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) ، [سورة التوبة : ٧٣ / سورة التحريم : ٩] قال : وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم ، فقال :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) ، [سورة التوبة : ١٢٣] بعدما كان أمرهم بالعفو . وقرأ قول الله :(قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) ، [سورة الجاثية : ١٤] ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل ، فنسخت هذه الآية العفو .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس ، واترك الغلظة عليهم وقال : أُمر بذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم في المشركين . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمَه نبيَّه صلى الله عليه وسلم محاجَّته المشركين في الكلام ، وذلك قوله :(قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) ، وعقَّبه بقوله :(وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا) ، فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيَّه صلى الله عليه وسلم في عشرتهم به ، أشبهُ وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين . [جامع البيان :١٣/ ٣٢٧-٣٢٩] .

قال ابن عباس : العفو ما عفا من أموالهم ؛ وهو الفضل منها بعد الكل والعيال ، ثم نزلت آية الزكاة ، وهو قول مقاتل .

وقال الحسن ومجاهد : أمر النبي صلى الله عليه وآله أن تأخذ العفو من أخلاق الناس .

والعفو هو التيسير والتسهيل ، والمعنى : استعمال العفو ، وقبول ما سهل من الأخلاق ، وترك الاستقصاء في المعاملات ، وقبول العذر من المذنب ، وإلى نحو هذا ذهب أبو علي رضي الله عنه .

وقال بعضهم : خذ ما أتاك عفوا من إيمان قومك وغيرهم ، وينبغي أن يكون هذا قبل فرض السيف .

وقوله : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [سورة الحشر آية ٧] . أي : اقبلوه واعملوا به .

الثاني : الحبس ، قال الله تعالى : ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ [سورة يوسف آية ٧٨] . أي : احبس ، : ﴿قَالَ مَعَاذَ الله أَنْ نَأْخُذَ﴾ [سورة يوسف آية ٧٩] . أي : نحبس ، ومثله : ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [سورة يوسف آية ٧٦] . وذلك أنه إذا حبس فقد حصل محصل الأسير ، [والأسير] يقال له : الأخيذ .

الثالث : العقاب ، قال الله تعالى : ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [سورة غافر آية ٥] . أي : عاقبتهم . وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ [سورة هود آية ١٠٢] . أي : عقابه . وقوله : ﴿فَكُلا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [سورة العنكبوت آية ٤٠] . أي : عاقبنا ، وفي هذا دليل على أن من لم يفعل ما وجب عليه فقد فعل ذنبا .

الرابع : القتل ، قال الله تعالى : ﴿وَهَمتْ كُل أُمةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [سورة غافر آية ٥] . أي : ليقتلوه . كذا قيل ، والصواب : ليتمكنوا منه ، فإما أن يقتلوه ، أو يخرجوه ، أو يحبسوه ، وذلك أن ما أخذته فقد تمكنت منه .

الخامس : الأسر ، قال الله تعالى : ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾ [سورة التوبة آية ٥] . أي : أسروهم واحبسوهم عن وجوههم فإن أسلموا وإلا فاقتلوهم ، وإنما أمر بقتلهم وأسرهم وحبسهم ليخافوا النكال فيؤمنوا .

والأشهر الحرم في هذه الآية : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ؛ فواحد منها فرد ، وثلاثة متوالية ، وليست هذه الأشهر الأربعة المذكورة في قوله تعالى : ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [سورة التوبة آية ٢] . لأن آخر تلك انقضاء عشر من شهر ربيع الأول ، وانقضاء الأشهر الحرم انقضاء المحرم والأربعة الأشهر الأولى ، وهي أشهر العهد ، والكلام في هذا طويل ليس ذا موضع ذكره .

السادس : الإصابة بالمكروه ، قال الله تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصيْحَةُ﴾ [سورة الحجر آية ٧٣] . كذا قيل ، والصحيح أنه بمعنى الإهلاك ؛ أي : أهلكتهم هذه الصيحة ، ويجوز أن يكون نظير قوله : ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ؛ لأن الصيحة عقاب .

الاعتداء

أصله تجاوز الحد ، ومنه قيل : عداء جاوزه إذا جاوز قدره ، وسمي العدو عدوا لتجاوز حد السعي والمشي ، ويجوز أن يكون أصله من الميل ، ومنه قيل : عدوة الوادي وهي جانبه ، وفي القرآن : ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾[1] [سورة الأنفال آية ٤٢] .

---

(١)قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيقنوا ، أيها المؤمنون ، واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بيَّنه لكم ربكم ، إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر ، إذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله "إذ أنتم" ، حينئذ ، "بالعدوة الدنيا" ، يقول : بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة "وهم بالعدوة القصوى" ، يقول : وعدوكم من المشركين نزولٌ بشَفير الوادي الأقصى إلى مكة "والركب أسفل منكم" ، يقول : والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا" ، قال : شفير الوادي الأدنى ، وهم بشفير الوادي الأقصى "والركب أسفل منكم" ، قال : أبو سفيان وأصحابه ، أسفلَ منهم . حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى" ، وهما شفير الوادي . كان نبيُّ الله بأعلى الوادي ، والمشركون أسفلَه "والركب أسفل منكم" ، يعني : أبا سفيان ، [انحدر بالعير على حوزته] ، حتى قدم بها مكة .

- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى" ، من الوادي إلى مكة "والركب أسفل منكم" ، أي : عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها ، عن غير ميعاد منكم ولا منهم .

- حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : "والركب أسفل منكم" ، قال : أبو سفيان وأصحابه ، مقبلون من الشأم تجارًا ، لم يشعروا بأصحاب بدر ، ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه ، حتى التقى على ماء بدر من يسقي لهم كلهم . فاقتتلوا ، فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأسروهم .

- حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

- حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحاق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

واختلفت القرأة في قراءة قوله : "إذ أنتم بالعدوة" . فقرأ ذلك عامة قرأة المدنيين والكوفيين :(بِالعُدْوَةِ) ، بضم العين . وقرأه بعض المكيين والبصريين :(بِالعِدْوَةِ) ، بكسر العين .

قال أبو جعفر : وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ ، يُنْشَد بيت الراعي :

وَعَيْنَانِ حُمْرٌ مَآقِيهِمَا كَمَا نَظَرَ العِدْوَةَ الجُؤْذَرُ بكسر العين من "العدوة" ، وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر :

وَفَارِس لَوْ تَحُلُّ الخَيْلُ عِدْوَتَهُ وَلَّوْا سِرَاعًا ، وَمَا هَمُّوا بِإِقْبَالِ [جامع البيان : ١٣/ ٥٦٤-٥٦٥] .

ومن ذلك قيل : العدو لميله عمن يعاديه ، وسمي الظلم اعتداءا ؛ لأنه ميل عن الحق ، كما سمي جورا ؛ لأنه ميل .

وهو في القرآن على وجهين :

أولهما : التجاوز ، قال الله تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا﴾ [سورة البقرة آية ٢٢٩] . أي : لا تجاوزوها إلى غيرها ، : ﴿وَمَنْ يَتَعَدَ حُدُودَ اللهِ﴾ [سورة البقرة آية ٢٢٩] أي : يتجاوزها ، ومثله : ﴿وَمَنْ يَتَعَدَ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [سورة الطلاق آية ١] .

الثاني : الظلم ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] . أي : فمن ظلمكم فجازوه بظلمه ، فسمي الجزاء على الظلم ظلما .

قال الشاعر :

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَـــــدٌ عَلَينَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الجَـــاهِلِينَا

لم يفتخر هذا الشاعر بالجهل وإنما أراد الجزاء على الجهل .

والجهل هاهنا : ركون الرأس في الشر ، وليس هو ضد العلم .

وأول الآية : ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] .

والمعنى : أن المشركين سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن القتال في الشهر الحرام ، فأنزل الله : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ [وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ]﴾ [سورة البقرة آية ٢١٧] . فأرادوا أن يغزوه في الشهر الحرام طمعا أن تكف عنهم فسألوا منه ، فأنزل الله : ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ . أي : إن استحلوا منك في الشهر الحرام شيئا فاستحل منهم مثله فيه ، وأكده ذلك بقوله : ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ . أي : لا يجوز ذلك بالمسلمين إلا قصاصا . ثم قال : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] . والمعنى : إنهم إن اعتدوا فقاتلوكم في الشهر الحرام فلا تقصروا عن قتالهم فيهم ، فيكون الاعتداء من المشركين الظلم ، ومن المسلمين الانتقام .

وقوله : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة آية ٩٤] . أي : فمن قبل الدية ثم قتل فله العذاب ؛ لأنه ظالم . وفي قوله تعالى : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ . دليل على أن الحر يقتل بالعبد ؛ لأن من قتل وليه فقد اعتدى عليه .

obeikandl.com

الأمر بالمعروف(١)

يعبر عن كل شيء بالأمر ، وأصله في اللغة : الظهور ، ومنه قيل للعلامة : أمارة ؛ لظهورها ، والإمرة ؛ لظهور أمرها ، والأمير ظاهر الأمر على ما يعلم ، وأمر الشيء إذا كثر ، ومع الكثرة ظهور الشأن .

والمعروف كله : ما تقبله النفس وتحبه ، والمنكر كل ما تكرهه وترده .

وأصل العرفان والمعروف واحد ؛ وهو الطمأنينة والسكون ، وذلك أنك إذا عرفت الشيء سكنت إليه إن كان محبوبا ، وإن كان مكروها عملت في إزالته لتسكن .

والعرف الريح الطيبة ؛ لأن النفس تسكن إليها .

والعرف الصبر ؛ لأنه يعقب ما يسكن معه ، ورجل عروف : صبور ، والعرف والمعروف سواء ، والعرف ، عرف الدابة معروف .

---

(١) أمر : الأمْرُ : نَقِيْضُ النَّهْيِ ، والجَمِيْعُ الأُمُوْرُ . وائْتَمَرَ الرَّجُلُ ائْتِمَاراً : اسْتَبَدَّ برَأْيِه . ولا يَأْتَمِرُ رُشْداً : أي لا يَأْتِيْه . وأمَرْتُ فلاناً أمْرَه : أي أمَرْتُه بما يَنْبَغِي . وإنَّه لأَمُوْرٌ بالمَعْرُوْفِ من قَوْمٍ أُمُرٍ .
والأَمَرَةُ : البَرَكَةُ والنَّمَاءُ . وامْرَأَةٌ أَمِرَةٌ : مُبَارَكَةٌ على زَوْجِها .
وأَمِرَ الشَّيْءُ والقَوْمُ : كَثُرُوا ؛ أَمَارَةً وأمَراً ؛ فهو أَمِرٌ ، وكذلك إذا وَلَدَتْ نَعَمُهُم . وآمَرْتُه : أكْثَرْته ؛ وأمَرْتُه : مِثْلُه . وما لَهُمْ أَمَارَةٌ كَثِيْرَةٌ . وزَرْعٌ إمَّرٌ : كَثِيْرٌ ؛ وإمَرٌ بالتَّخْفِيفِ ؛ وأَمِرٌ بوَزْنِ كَبِدٍ . و " في وَجْهِ مالِكَ تَعْرِفُ أَمَرَتَه " : أي زِيَادَتَه وخَيْرَه ، وفي الدُّعَاءِ إذا أرَادُوا بالرَّجُلِ خَيْراً : أَلْقَى اللهُ في مالِكَ الأَمَرَةَ . وأَمَرَهُ مالَهُ فهو مَأْمُوْرٌ وآمَرَه فهو مُؤْمَرٌ : أي كَثَّرَه . وفي الحَدِيْثِ : " خَيْرُ المالِ سِكَّةٌ مَأْبُوْرَةٌ أو مُهْرَةٌ مَأْمُوْرَةٌ " وهي الكَثِيْرَةُ النِّتَاجِ . ومَثَلٌ : " مَنْ أَمِرَ فَلَّ " أي مَنْ كَثُرَ غَلَبَ .
والأَمَرَةُ بِنَاءٌ كالرَّابِيَةِ ، والجَمِيْعُ الأَمَرُ . والإِمْرَةُ : الإِمَارَةُ ، وأمِيْرٌ مُؤَمَّرٌ ، وأَمَرَ علينا فلانٌ : وَلِيَ ، ولكَ عَلَيَّ أمْرَةٌ مُطَاعَةٌ . والأَمَارُ : المَوْعِدُ . والأَمَارَةُ : العَلاَمَةُ ، والأَمَرَةُ : مِثْلُه . وأَمَرَ أَمَرَةً وأمَارَةً : أي صَيَّرَ عَلَماً ، وأمَّرَ تَأْمِيْراً : مِثْلُه . والإِمْرُ : العَجِيْبُ من الأُمُوْرِ . والإِمَّرُ : الصَّغِيْرُ من أوْلاَدِ الضَّأْنِ ، والأُنْثى إمَّرَةٌ . وقيل : الإِمَّرَةُ الرَّجُلُ الذي لا عَقْلَ له ولا رَأْيَ ، ومنه قَوْلُ السَّاجِعِ :

إذا طَلَعَتِ الشِّعْرى سَفَرا ** فلا تُرْسِلْ فيها إمَّرَةً ولا إمَّرا

وقيل : هو الأُنْثى من الحِمْلاَنِ . وسِنَانٌ مُؤَمَّرٌ : أي مُحَدَّدٌ .
والمُؤَامَرَةُ : المُشَاوَرَةُ ، آمَرْتُ الرَّجُلَ ، ومُرْنِي : أي أَشِرْ عَلَيَّ ، ومنه قَوْلُه عَزَّ وجَلَّ : " إنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُوْنَ بك " .
والمِئْمَرَةُ : المَشْوَرَةُ . والمُؤْتَمِرُ من أسْمَاءِ الشُّهُوْرِ : المُحَرَّمُ ، وجَمْعُه مُؤْتَمِرَاتٌ .
والآمِرُ : اسْمُ أوَّلِ يَوْمٍ من أيّامِ العَجُوْزِ ، وسُمِّيَ بذلك لأنَّه يَأْمُرُ النَّاسَ بالحَذَرِ منه . والمؤتَمِرُ : اليَوْمُ الثاني ؛ لأنَّه يَأْتَمِرُ بالنّاسِ أي يُؤْذِيهم ببَرْدِه . [المحيط في اللغة : ٢/ ٤٤٤] .

obeikandi.com

وهو في القرآن على وجهين :

الوجه الأول : الأمر بتوحيد الله ، [سورة والنهي آية عن] الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة آل عمران آية آية ١١٠] . جاء في التفسير أنه أراد توحيد الله ، : ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . يعني : الشرك بالله ، ومثله قوله : ﴿ يَا بني أَقِمِ الصلاةَ وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة لقمان آية ١٧] . أي : بتوحيد الله : ﴿ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة لقمان آية ١٧] . أي : عن الشرك .

الوجه الثاني : قيل : هو اتباع الرسول ، قال الله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ الله آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٣] ، ثم قال : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٤] . أي : باتباع الرسول ، : ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٤] . أي : عن التكذيب به ، هكذا قالوا .

قال أبو هلال رحمه الله : وعندنا أن أحد هذين الوجهين داخل في الآخر ، وهما جميعا يكونان الأمر بوجوه المحاسن والطاعات كلها .

والنهي عن المنكر : النهي عن المعاصي والقبائح جميعها .

obeikandl.com

أدنى[1]

أفعل ، من الدنو وهو القرب ، وتأنيث أدنى : دنيا ، وتجمع : دنى ، مثل : كبرى وكبر ، وسميت الدنيا دنيا ؛ لأنها تؤدي إلى آخرة .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : بمعنى : أجدر ، قال الله تعالى : ﴿وَأَدْنَى أَلا تَرْتَابُوا﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٢] . أي : أجدر أن لا تشكوا إذا رأيتم خطوطكم يخاطب الشهود . وقال : ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٢] . يعني : الكتب . وأقسط : أعدل ؛ لأنه أبعد من التظالم وأقوم للشهادة ؛ يعني : أنها إذا كانت مكتوبة كانت أثبت وأبعد من اعتراض شك فيه ؛ لأن صاحبها إذا رأى خطه بها لم يشك في صحتها في أكثر الحال .

ومثله : ﴿أَدْنَى أَلا تَعُولُوا﴾ [سورة النساء آية ٣] . أي : أجدر ألا تجوروا وتميلوا ، والعول : الميل عن الحق ، والعول : النفقة على العيال ، عالهم عولا .

وأول الآية : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء آية ٣] الآية ، والمراد : أن أحدهم كان فيما مضى يتزوج عشر نسوة فتعظم المؤونة عليه ، فيمد يده إلى مال اليتامى الذي يلي أمرهم وهو مشفق من ذلك ، فقيل له : كما خفت على نفسك في أموال اليتامى فخف عليها في حقوق النساء ، فإنهن أيضا إلى الضعف والحاجة إلى مالهن ، ولا يتزوج منهن أكثر مما يتسع له ، ثم قال : ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا﴾ . أي : تزوجكم الواحدة أقرب ألا تجوروا .

وقيل : كانوا يتزوجون العشر من اليتامى رغبة في مالهن ، فربما عجزوا عن التسوية بينهن في النفقة والفراش ، فقال الله : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ [سورة النساء آية

---

(١)(د ن و) : (دَنَا) مِنْهُ قَرُبَ وَأَدْنَاهُ غَيْرُهُ (وَمِنْهُ) أَدْنَتْ الْمَرْأَةُ ثَوْبَهَا عَلَيْهَا إذَا أَرْخَتْهُ وَتَسَتَّرَتْ بِهِ (وَفِي التَّنْزِيلِ) ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى﴾ أَيْ أَوْلَى مِنْ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُتَعَرَّضَ لَهُنَّ (وَرَجُلٌ دَنِيٌّ) خَسِيسٌ (وَالدَّنِيَّةُ) النَّقِيصَةُ (وَمِنْهَا) قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنَّ اللهَ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ فَلِمَ نُعْطِي (الدَّنِيَّةَ) فِي دِينِنَا . [المغرب : الدال مع النون] .

٣] . أي : في نكاح اليتامى ؛ فحذف النكاح ودل عليه بقوله : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء آية ٣] . يعني : من هؤلاء اليتامى ، ولم يقل : ما طاب لكم منهن ؛ لأن لا يظن أن الخطاب مقصور عليهن دون سائر النساء ، وأراد أن يبين أن هذا ينبغي أن يستعمل فيهن وفي غيرهن من النساء ، وإذا ذكر النساء دخل اليتامى فيهن ، وإذا ذكر اليتامى لم يدخل فيه غيرهن .

الثاني : بمعنى : أقرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى ﴾ [سورة السجدة آية ٢١] . يعني : الجوع والضر والخوف في الدنيا ، : ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ ﴾ [سورة السجدة آية ٢١] في الآخرة وهي النار . هكذا قالوا (١) .

وهو عندنا بمعنى أيسر ؛ لأنه جعله مع أكبر ، وقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [سورة النجم آية ٩] . أي : أقرب لا غير .

الثالث : بمعنى : أقل ، قال الله تعالى : ﴿ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ ﴾ [سورة المجادلة آية ٧] . أي : أقل .

الرابع : بمعنى : أدون ، قال الله تعالى : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [سورة البقرة آية ٦١] . أي : الأرفع وهو المن والسلوى بالأوضع ، هو ما طلبوه من نبات

---

(١) قوله تعالى : ﴿ ولَنُذيقنَّهم مِنَ العذاب الأدنى ﴾ وفيه ستة أقوال .
أحدها : أنه ما أصابهم يوم بدر ، رواه مسروق عن ابن مسعود ، وبه قال قتادة ، والسدي .
والثاني : سنون أُخذوا بها ، رواه أبو عبيدة عن ابن مسعود ، وبه قال النخعي . وقال مقاتل : أُخذوا بالجوع سبع سنين .
والثالث : مصائب الدنيا ، قاله أُبيُّ بن كعب ، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة ، وأبو العالية ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك .
والرابع : الحدود ، رواه عكرمة عن ابن عباس .
والخامس : عذاب القبر ، قاله البراء .
والسادس : القتل والجوع ، قاله مجاهد .
قوله تعالى : ﴿ دون العذاب الأكبر ﴾ أي : قَبْل العذاب الأكبر ؛ وفيه قولان .
أحدهما : أنه عذاب يوم القيامة ، قاله ابن مسعود .
والثاني : أنه القتل ببدر ، قاله مقاتل . [زاد المسير : ٥/ ١١٧] .

الأرض ، و : ﴿خَيْرٌ﴾ هاهنا بمعنى أفعل ؛ وجعل المن والسلوى أرفع من غيرهما ، إذ لم يكن في نيلهما تعب ولا إثم .

obeikandl.com

الإسلام[1]

أصله السكون ، ومنه قيل : السلم خلاف الحرب ؛ لما فيها من السكون . ثم استعمل في الخضوع ، فقيل : أسلم الرجل واستسلم إذا خضع وتواضع ؛ لأن مع الخضوع سكون الأطراف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [سورة الحجرات آية ١٤] .

---

(١) [سلم] السلْمُ : ضَرْبٌ من الدِّلاء مُسْتَطِيلٌ لها عُرْوَةٌ واحِدَةٌ . ولَذْغُ الحَيَةِ ، والمَلْدُوغُ : سَلِيم ومَسْلُوم . ورَجُل سَلِيمٌ : سالِمٌ ؛ سَلِمَ سَلَامَةً .

وقَوْلُهم : السلامُ عليكم : أي السلَامَةُ من اللهِ عليكم . والسلاَمُ : السدَادُ ، من قَوْلِه عَزَ وجَلَّ : " وإذا خاطَبَهم الجاهِلُونَ قالوا سَلاَما " أي صَوَاباً . وقيل : سَلِمَ من العَيْبِ . وقَوْلُه : " اللهُ يَدْعُو إلى دارِ السَّلام " ، السَّلَامُ : اللهُ ، ودارُه : الجَنَّةُ . وقيل : هي السلَامَةُ .

وقُرِئَ : " ورَجُلاً سالِماً لرَجُلٍ " أي خالِصاً . والمُسْلِمُ : المُخْلِصُ لله عِبَادَتَه . والسلَامُ : الحِجَارَةُ ، والواحِدَةُ سَلِمَةٌ .

والسلَامُ : ضَرْبٌ من دِق الشَّجَرِ . والسُلامى : عِظَامُ الأصابِعِ والأشاجِعِ والأكارِعِ ، والجَمِيعُ سُلَامَيَاتٌ . وهو آخِرُما يَبْقى من المُخِّ في السُّلامى والعَيْنِ . والسلَمُ : ضَرْبٌ من الشَجَرِ ، الواحِدَةُ سَلَمَةٌ . والمَسْلُومُ : المَذْبُوغُ به . وأرْضٌ مَسْلُومَاءُ : كثيرةُ السلَمِ . والإسْلَامُ : الاسْتِسْلامُ لأمْرِ اللهِ والانْقِيَادُ لطاعَتِه . ويقولونَ : سَلِمْنا للهِ رَبنا : أي اسْتَسْلَمْنا له وأسْلَمْنا . والسلَمُ - أيضاً - : الإسْلَامُ .

والمُسْلِمُ : المُسْتَسْلِمُ . والمَسَالِيمُ : جَمْعُ المُسْلِمِ . وكانَ كافِراً ثُم تَمَسْلَمَ : أي أسْلَمَ . وأسْلَمْتُ فلاناً : خَذَلْته . وأسْلَمْتُ إليه ثَوْباً ، وسَلَّمْتُ له وإليه . ويقولونَ : المَظْلُومُ عِنْدَنا يُسْلَمُ ظُلَامَتَه : أي يُعْطى ظُلَامَتَه . وتَسَلمْتُ حاجَتي من فلانٍ : أي نَجَزَتْ وقُضِيَتْ . ولا يُسْتَلَمُ على سُخْطِه : أي لا يُصْطَلَحُ على ما يَكْرَهُه . وكُلُ تارِكٍ لشَيْءٍ فهو مُسْلِمٌ له . واسْتِلامُ الحَجَرِ : تَنَاوُلُه باليَدِ أو بالقُبْلَةِ . والسلْمُ والسَّلَمُ والسلْمُ والسلَامُ والمُسَالَمَةُ : واحِد ؛ وهو الصُّلْحُ . وأخَذَه سِلْماً : أي أسْرَه . وإنَه لَحَسَنُ السلْمِ : أي الإسْلام والدِيْنِ .

والسلَمُ - بفَتْحَتَيْنِ - : الأمْرُ . وهوَ الأسِيرُ أيضاً .

وأسْلَمَ الرجُلُ بعد جُنُونِه : إذا تَرَكَ ما كانَ عليه من جُنُونِ الشبَابِ . ويقولون للرجُلِ الكاذِب : " ما تَسَالَمُ خَيْلاه كِذْباً " .

وكَلِمَةٌ سالِمَةُ العَيْنَيْنِ : أي حَسَنَةٌ .

والسلَمُ : ما أسْلَفْتَ فيه . وفي الحَدِيث : " لا باسَ بالسَّلَم " ، يُقال : أسْلَمَ فيه . والسُلَّمُ : السيْرُ ، والمَرْقى ، والجَمِيعُ السلَالِيمُ . والسُلمُ : كَواكِبُ أسْفَلَ من العَانة عن يَمِينِها . والسلِيمُ من حافِرِ الفَرَسِ : بَيْنَ الأمْعَرِ والصحْنِ من باطِنِه . والأسَيْلِمُ : عِرْقٌ في اليَدِ . والأسْلُومُ : بَطْنٌ من حِمْيَرَ . وامْرَأة سَلِمَة وسَلِبَةٌ : إذا كانَتْ لَيِنَةَ الأطْرافِ ناعِمَتَها . وفلانٌ مُسْتَلَمُ القَدَمَيْنِ : أي لَيِنُهما . واسْتَسْلَمَ نَكَمَ الطرِيقِ : أخَذَه ولم يُخْطِئْه . وأبُو سَلْمَانَ : أعْظَمُ الجِعْلاَنِ ذو رَأسٍ عَظِيم . وأبو سَلْمى : هو الوَزَغُ .

والسَّلَامَانَةُ : مِثْلُ الأَلاءةِ ، وتُجْمَعُ على السلاَمَانِ ، وقد سَمَتِ العَرَبُ سَلَامَانَ ، وقيل : هو شَجَرٌ أطْوَلُ من الشيْحِ . والسَّلَامُ - أيضاً - : شَجَر . [المحيط في اللغة : ٢/ ٢٦٥] .

ثم استعمل في الإخلاص ، فيقال : أسلم الرجل إذا أخلص لله ، وسلم الغلام في صناعة كذا إذا أخلصه لها ، وسلم فلان على فلان كأنه عرفه خلوص سريرته ، وقد سلم العبد أمره لله ؛ أي : فوضه إليه وأخلص التوكل فيه عليه .

والسلامة : الخلاص من الشر ، وقوله : ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لله﴾ [سورة آل عمران آية ٢٠] . أي : أخلصت ديني .

ومثله : ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله﴾ [سورة لقمان آية ٢٢] . أي : يخلص دينه له .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

أولها : الإخلاص ، قال الله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ [سورة البقرة آية ١٣١] . أي : أخلص ، : ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [سورة البقرة آية ١٣١] . أي : أخلصت .

الثاني : الإقرار ، قال الله تعالى : ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [سورة آل عمران آية ٨٣] . أي : أقر بالعبادة طوعا باللسان أو كرها ؛ لما فيه من الدلالة على صنع الله فيه ، على سبيل ما قال الحكماء : كل صامت ناطق . وهذا يقوم مقام الإقرار وإن لم يكن به .

وقال تعالى : ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾[1] [سورة التوبة آية ٧٤] . أي : إقرارهم بالإسلام ؛ يعني : المنافقين ، فسمى الإقرار إسلاما ؛ لأنه من شرائط الإسلام .

---

(١) قال أبو حيان : نزلت في أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل وفيهما ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، فغيروه وكفروا بعد إيمانهم بنبوّته ، قاله الحسن وروى عطية قريباً منه عن ابن عباس وقال مقاتل : في عشرة رهط ارتدوا فيهم الحارث بن سويد الأنصاري ، فندم ورجع ، ورواه أبو صالح عن ابن عباس ، وذكر مجاهد ، والسدّي : أن الحارث كان يظهر الإسلام ، فلما كان يوم أحد قتل المجذر بن زياد بدم كان له عليه ، وقتل زيد بن قيس ، وارتد ولحق بالمشركين ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر أن يقتله إن ظفر به ، ففاته ، ثم بعث إلى أخيه من مكة يطلب التوبة ، فنزلت إلى قوله : ﴿إلا الذين تابوا﴾ فكتب بها قومه ، إليه فرجع تائباً .

ورواه عكرمة عن ابن عباس ، ولم يسمه ، ولم يذكر سوى أنه رجل من الأنصار ارتد فلحق بالمشركين ، وخرجه النسائي عن ابن عباس مطولاً وقيل : لحق بالروم وقيل : ارتد الحارث في أحد عشر رجلاً ، وسمى

الثالث : الخضوع والاستسلام ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [سورة الحجرات آية ١٤] وخضعنا مخافة السبي والقتل ، وهذه الآية خاصة في قوم من الأعراب ، وإن كان لفظها عاما فيهم ، إذ كان منهم من أخلص ، كما قال : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٧٣] . وإنما قال لهم ذلك نفر ، وقيل : بل رجل واحد .

منهم الزمخشري : طعمة بن أبيرق ، والحارث بن سويد بن الصامت ، ووحوح بن الأسلت ، وذكر عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ، وسمى منهم : أبا عامر الراهب ، والحارث ووجوهاً .
وقال النقاش : نزلت في طعمة بن أبيرق . ألفاظ الآية تعم كل من ذكر وغيرهم . وقيل : هي في عامة المشركين وقال مجاهد : حمل الآيات إلى الحارث رجل من قومه فقرأها عليه فقال له الحارث : إنك والله ما علمت لصدوق ، وإن رسول الله لأصدق منك ، وإن الله تعالى لأصدق الثلاثة . قال فرجع الحارث فأسلم وحسن إسلامه .
كيف : سؤال عن الأحوال ، وهي هنا للتعجيب والتعظيم لكفرهم بعد الإيمان ، أي : كيف يستحق الهداية من أتى بما ينافيها بعد التباسه بها ووضوحها ؟ فاستبعد حصولها لهم مع شدّة الجرائم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « كيف تفلح أمة أدمت وجه نبيها » ؟ .
وقال الزمخشري : كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ؟ انتهى .
وهذه نزعة إعتزالية ، إذ ليس المعنى عنده : إن الله يخلق الهداية فيهم كما لا يخلق الضلال فيهم ، بل هما مخلوقان للعبد .
وقيل : الاستفهام هنا يراد به الجحد ، والمعنى : ليس يهدي ، ونظيره قول الشاعر :

فهذي سيوف ، يا صديّ بن مالك *** كثير ، ولكن : أين بالسيف ضارب ؟

وقول الآخر :

كيف نَومي على الفراش ولما *** يشمل الشام غارة شعواء ؟

والهداية هنا هي إلى الإيمان واتباع الحق ، وأبعد من زعم أن المعنى : لا يهديهم إلى الجنة إلاَّ إن تجوَّز ، فأطلق المسبب على السبب ، لأن دخول الجنة مسبب عن الإيمان ، فيعود إلى القول الأول . [البحر المحيط : ٣/ ٣١١] .

الإيمان[1]

أصل الإيمان السكون والطمأنينة ، ومن أمنك فقد سكن إليك ، ولهذا لا يصح أن يقال : إن الله يأتمن أنبيائه إذ لا يوصف بأنه يسكن إليهم ، ولا يوصف الأنبياء بأنهم يأتمنونه ، كما لا يوصفون بأنهم يسكنون إليه .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ [سورة يوسف آية ١٧] . أي : بساكن إلينا .

والمؤمن في أسماء الله بمعنى أنه يؤمن عباده من ظلمه ، ويسكن قلوبهم حتى لا يخافوا ذلك منه .

ثم استعمل الإيمان بمعنى التصديق ؛ لأنك لا تصدق الرجل إلا وقد سكنت إلى خبره .

ويكون المؤمن في أسماء الله تعالى بمعنى أنه مصدق لأوليائه ، وتصديقه لهم تسكين عباده إلى قولهم ، ويقال : آمنت لرجل إذا صدقته ، ومنه قول الشاعر :

وَمِنْ قَبْلُ آمَنَّا وَقَدْ كَانَ قَوْمُنَا يُصَلُّونَ الْأَوْثَانَ قَبْلَ مُحَمَّدَا

ويجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ [سورة يوسف آية ١٧] . أي : بمصدق قولنا .

وقوله تعالى : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ ﴾ [سورة طه آية ٧١] مفارق لقوله : ﴿ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٣٧] . معنى : ﴿ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ : صدقتموه . ومعنى : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ ﴾ : أظهرتم ما أظهرتموه من عجزكم عن معارضته إعانة له لأمر توافقتم عليه ، ولستم تعرفون صدقه .

---

(١) **الفرق بين الاسلام والايمان** : لا يخفى أن الاسلام أعم من الايمان مطلقا ، كما نطقت به الاخبار الصحاح ، والروايات الصراح المروية عن أهل بيت العصمة ، صلوات الله عليهم ، وهي كثيرة جدا ، فلا يلتفت أحد إلى قول من قال من المتكلمين : إنهما مترادفان ، فمنها ما رواه ثقة الاسلام في موثقة سماعه قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : أخبرني عن الاسلام والايمان أهما مختلفان ؟ فقال : " إن الايمان يشارك الاسلام ، والاسلام لا يشارك الايمان . [الفروق اللغوية : ١/ ٣١٧] .

وهذا كما تقول : فعلت ذلك لفلان . أي : ميلا إليه وإعانة له ، وإنما قال فرعون هذا القول ليوهم غيرهم أنهم على اعتقاد التكذيب لموسى ؛ لأن لا يكون ما ظهر منهم داعية لغيرهم إلى الإيمان به .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بمعنى : الإقرار باللسان من غير اعتقاد ؛ قال الله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُم كَفَرُوا﴾ [سورة المنافقون آية ٣] . يعني : أقروا علانية وكفروا سرا . وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿[سورة يَأَيهَا آية الذِينَ آمَنُوا] لا تَتَوَلوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الممتحنة آية ١٣]هكذا جاء في التفسير .

ويجوز عندنا أن تكون المخاطبة في هذه الآية وما قبلها مخاطبة للمؤمنين حقا يأمرهم بخشوع القلوب وترك تولي المغضوب عليهم فيما يستقبل من أعمارهم .

وقيل : قوله : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾ [سورة الحديد آية ١٦] أن هؤلاء قوم من المؤمنين قصروا بعض التقصير ولم يظهر عليهم أثر الإسلام ؛ خشوعه ووقاره فاستعتبهم الله بهذه الآية .

وقال بعضهم : كانوا بمكة مجتهدين فلما هاجروا أصابهم الزيف ففتروا عما كانوا عليه ، وأن الشيء يبين ، وأنى يأتي بمعنى دنا .

الثاني : التصديق سرا وعلانية ، قال الله تعالى : ﴿إِن الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيةِ﴾ [سورة البينة آية ٧] .

الثالث : التوحيد ، قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [سورة المائدة آية ٥] ، قالوا : أراد بالتوحيد ، والمعنى على هذا : ومن يكفر بالله الموحد ، ويجوز [أن يكون] الكفر هاهنا الجحد : أي : من جحد الإيمان بهذه الأحكام التي تقدم ذكرها فقد حبط عمله ، وفيه دليل على أن من نذر طاعة ثم ارتد بطل نذره .

الرابع : إقرار المشرك ببعض ما يوافق المسلم ، قال [الله تعالى] : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف آية ١٠٦] أي : إذا سألتم عن خالقهم قالوا : الله .

وهم بعد ذلك لا يعبدونه ويعبدون الأصنام ، [ونحو ذلك] قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُن اللهُ ﴾ [سورة لقمان آية ٢٥] ، وسمى بعض المفسرين هذا القول منهم إيمانا .

ونحن لا نطلق عليه اسم الإيمان ؛ لأنه لو كان إيمانا لكان صاحبه مؤمنا بالإطلاق ، ولكنا نقول : إنه إقرار بالله والمقر بالله يجوز أن يكون كافرا ولا يجوز أن يكون المشرك مؤمنا ، وكل ما كان من أسماء الدين مدحا فإنه لا يطلق إلا على من يستحق الثواب ، مثل المؤمن والمسلم والمتقي ويجري على غيره مقيدا ، فيقول : إن اليهودي مؤمن بالله وهو متق لكذا .

obeikandl.com

الاستغفار(١)

أصله في اللغة الستر ، ومنه قيل : للكمة من الزرد مغفر ؛ لأنها تستر الرأس ، وقد غفرت الشيء سترته ، وفي الحديث عن عمر رضي الله عنه " حصنوا المسجد فإنه أغفر للنخامة" وفي هذا جواز التنخم [في المسجد] .

والغفر منزل من منازل القمر ، وذلك أن القمر إذا نزل به ستره بضوئه .

والغفر أيضا النكس في المرض ؛ لأنه يحول بين صاحبه وبين العافية فكأنه سترها عنه .

والغفارة من الشعر الضفيرة ، عن أبي مالك ؛ لأنها تستر ما تحتها ، وقال غيره : الغفارة خرقة حمراء تشد على العمائم ، والجمع غفائر وهذا أصح .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : التوبة ، قال : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [سورة نوح آية ١٠] . أي : توبوا إليه ، وجعل الاستغفار التوبة ؛ لأن في التوبة الاستغفار .

والتوبة على الحقيقة : هي الندم على ما مضى والعزم على ترك مثله في المستقبل ، ولو قلت : إن الندم توبة . لم تقرنه بشيء آخر صح ؛ لأنه لا يجوز أن يندم على ما فات وهو يعزم

---

(١)غفر : المِغْفَر : وقاية للراس . وغَفِرَ الثَّوْبُ إذا ثار زئبرهُ غَفَراً .
والغِفارةُ : المِغْفَر ، ومِغْفَرُ البيضة : رفرفها من حلق الحديد قال الأعشى .
والشطبةُ القَوْداءُ تط *** فر بالمدججِ ذي الغِفارِ
والغِفارةُ : خِرْقةٌ تضَعُها المرأة للدُّهْنِ على هامتها .
والغِفارة : خِرْقةٌ تُلَفُّ على سِيَةِ القَوْسِ لتُلَفَّ فوقها إطنابةُ القَوْسُ ، وهو سَيْرُه الذي يشد به ، وحبل يسمى رأسه غِفارةً . واصل الغَفْر التَّغطية .
والمُغْفُورُ : دُودٌ يخرج من العُرْفُطِ حلو يضيح بالماء فيشرب . وصمغ الإجاصة مُغْفُورٌ . وخرجوا يَتَمغْفَرونَ أي يطلبون المَغافيرَ .
والغِفارةُ : الربابة التي تَغْفِرُ الغَمامَ عليكَ أي تُغَطِّيه لأنَّها تحت الغيث ، فهي تستره عنك . وجاء القوم جماء الغَفير أي بلفهم ولَفيفهم والغُفْرُ : ولد الأروية ، قال ذو الرمة :
وفَجَّ أبة أن يسلكَ الغُفْرُ بينه *** سلكت قرانَى من قراسيةٍ سُمْرا
والمُغْفِرُ : الأُرْوِيَّةُ ، ويقال لها : أُمُّ غُفْر . والغُفْر من مَنازِلِ القَمَرِ .
والله الغَفُور الغَفّارُ يَغْفِرُ الذنوب مَغْفِرةً وغُفْراناً وغَفْراً . [العين : باب الغين والراء والباء] .

على معاودة مثله ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُم تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [سورة هود آية ٣] . الاستغفار هاهنا التوبة وإنما فصل بينهما للتوكيد ، وتكرير الألفاظ على المعنى الواحد توكيد ، و : ﴿ثُم﴾ على هذا التأويل بمعنى الواو ، وهو قول الأخفش .

ويجوز [سورة أن آية يكون] قوله : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُم تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ . أي : استغفروه استغفارا بعد استغفار ، وعن علي عليه السلام أنه قال : الحمد لله ثم الحمد لله أي : الحمد لله مرة بعد أخرى .

ويجوز أن يكون المراد : أنكم كلما ذكرتم الذين استغفروا منه ، ويجوز أن يكون المعنى : أن استغفروا مما مضى وتوبوا مما تواقعون في المستقبل .

والفرق بين الاعتذار والتوبة ؛ أن التوبة ندم على ذنب تقر بأنه لم يكن لك في إتيانه عذر ، والاعتذار إظهار ندم على ذنب تذكر أنه كان لك في إتيانه عذر .

الثاني : الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [سورة آل عمران آية ١٧] ، وقال : ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الذاريات آية ١٨] هكذا جاء في التفسير .

ويجوز أن يكون معناه أنهم يصلون الليل ويستغفرون بالأسجار ، فجعل استغفارهم بالأسحار دليلا على صلاتهم بالليل ولم يذكرها .

وقالوا في قوله : ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٣] أنه يعني : يصلون كذا قيل .

ويجوز أن يكون المراد أن الله لا يبعث عليهم العذاب الذي طلبوه في قوله : ﴿أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٢] وأنت فيهم وليس بالصلاح لك ولهم أن يأمرك بالخروج عنهم ولا ينزل بهم العذاب أيضا ، ومنهم من يتوب في المستقبل . والاستغفار التوبة .

قال مجاهد : يستغفرون يسلمون أي : في المستقبل .

الثالث : طلب المغفرة وهو الأصل ، قال : ﴿اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [سورة يوسف آية ٩٧] والمعنى : سل الله أن يقبل استغفارنا ؛ لأنه لا يجوز أن يذنبوا هم ويستغفر لهم غيرهم إلا إذا تابوا ، وليس ذلك إلا سؤال قبولهم .

وقوله تعالى : ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾[1] [سورة يوسف آية ٢٩] . قالوا : معناه استغفري زوجك ؛ لأنها كانت مشركة ، وكانوا مع الإشراك يحرمون الزنا ، ويجوز عندنا أن يكون أمرها باستغفار الله ذنبها وإن كانت مشركة ؛ لأن المشرك يقال له ذلك لأجل شركه ولغير شركه من ذنوبه ، وعلى أنه لا يقال : استغفرت إلا الله واستغفرت الرجل ليس بمعروف ، وإن كان صحيحا في العربية .

---

(١)قوله تعالى : ﴿واستغفري لذنبك﴾ فيه قولان :
أحدهما : استعفي زوجك لئلا يعاقبَكِ ، قاله ابن عباس .
والثاني : توبي من ذنبكِ فإنكِ قد أثمتِ .
وفي القائل لهذا قولان . أحدهما : ابن عمها . والثاني : الزوج . [زاد المسير : ٣/ ٤٢١] .

obeikandl.com

الأجل[1]

أجل الشيء : وقته ، وحد الأجل هو الوقت المضروب لانقضاء الأمد ، [فهو أجل يجعل] جاعل له ، وما علم أنه يكون في وقت فلا أجل له إلا أن يحكم بأنه يكون فيه .

فأجل الإنسان هو وقت انقضاء عمره ، وأجل الدين محله ، وأجل الموت هو وقت حلوله ، وأجل الآخرة هو الوقت لانقضاء ما تقدم قبلها قبل ابتدائها ، هكذا وجدته عن بعض العلماء .

وأصله من التأخير ، وقد أجلته إذا أخرته .

والآجل نقيض العاجل ، والآجل : القطيع من بقر الوحش ، وذلك لتأخير بعضه على بعض حتى يجتمع .

وآجل المال يأجله أجلا إذا حبسه في المرعى كما يحتبس الآجل من البقر بعضه على بعض حتى يجتمع .

وآجل عليهم شرا : إذا جناه ؛ لأنه حبسه عليهم لإلحاقه بهم ، والمأجل حوض واسع يؤجل فيه الماء حتى يجتمع ثم يفجر في الزرع .

وللأجل في القرآن ثمانية مواضع :

الأول : أجل الدنيا ، قال تعالى : ﴿ثُم قَضَى أَجَلًا﴾ [سورة الأنعام آية : ٢] أي : أجل الدنيا ، : ﴿وَأَجَلٌ مُسَمى عِنْدَهُ﴾[سورة الأنعام آية : ٢] يعني : أجل الآخرة ، وقال الحسن

(١) [اجل] : الأَجَلُ : غَايَةُ الوَقْتِ في المَوْتِ . وأَجِلَ الشَّيْءُ يَأْجَلُ ، وهو آجِلٌ : نَقِيْضُ العاجِلِ . والأَجِيْلُ : المُرَجّى إلى وَقْتٍ . والآجِلَةُ : الآخِرَةُ . والأَجْلُ : مَصْدَرُ قَوْلِهِم أَجَلُّوا ما لَهم يَأْجِلُوْنَه أجْلاً : أي حَبَسُوْهُ في المَرْعى . وهو الضِّيْقُ أيضاً . ةأَجَلَ عليهم شَرّاً : أي جَنَاه وبَحَثه ؛ أَجْلاً . وهو يَأْجِلُ لِعيالِه : أي يَكْسِبُ . والتَّأَجُّلُ : الإِقْبَالُ والإِدْبَارُ . والمَجِيْءُ والذَّهَابُ في قَوْلِ لَبِيْدِ . والإجْلُ : وَجَعٌ في العُنُقِ . وأَجِلَ يَأْجَلُ أَجَلاً . وبي إِجْلٌ فَأَجِّلَوْني : أي داوُوْني منه ، وآجِلُوْني : مِثْلُه . والقَطِيْعُ من بَقَرِ الوَحْشِ : إجْلٌ ، والجَميعُ الآجالُ . وتَأَجَّلَ الصُّوَارُ : صارَ قَطِيعاً . والأَجْلُ : من قَوْلِكَ من أجْلِ كذا . وفَعَلْتُه من أجْلِ كذا : أي من جَرّاكَ ، ومن إِجْلِكَ : لُغَةٌ ، ومن أَجْلاَكَ ؛ وأَجْلِ أَنَّكَ نَعَلْته . والمُوْجَّلُ : شِبْهُ حَوْضٍ واسِعٍ يُؤجَّلُ فيه ماءُ البِئْرِ أيّاماً ثُمَّ يُفْجَرُ في الزَّرْعِ ، والجَميعُ المآجِلُ . ورُوِيَ قَوْلُ أبي النَّجْمِ : من عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُوْنَ الأُجَّلِ . أي الأُيَّلِ . . [المحيط في اللغة : ٢/ ١٣٨] .

والضحاك وقتادة : هو أجل الحياة إلى الموت ، وأجل الموت إلى البعث ، وهذه الآية دليل على صحة البعث ؛ لأن الذي قدر على الابتداء قادر على الإعادة .

وأولها : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾[1] [سورة الأنعام آية : ٢] أي : خلق آدم الذي أنتم ولده من الطين ، كما تقول لقريش اليوم : أنتم أصحاب يوم الفجار ، أي : أباؤكم أصحابه وليس هذا انقضاء ؛ لقوله : ﴿مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [سورة السجدة آية : ٨] ، لأنه أراد بذلك ولد آدم .

وقيل : أجلا أي : وقتا تحيون فيه ، : ﴿وَأَجَلٌ مُسَمى عِنْدَهُ﴾ يعني أجل الساعة ، وجعله عنده ؛ لأنه لا يعرفه غيره ، كما تقول : خبر فلان عندي . أي : أنا العالم به دون غيري .

وقيل : ﴿أَجلٌ مُسَمى عِنْدَهُ﴾ يعني أوقات حياتكم في الآخرة وجعله عنده ؛ لأنه حيث لا يحكم فيه غيره أيضا ، وقيل : قضى أجل الماضين ، وأجل مسمى عنده للباقين .

وقيل : أجل انقضاء الدنيا ، وأجل ابتداء الآخرة ، : ﴿ثُم أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢] أي : خلقكم من طين ، وجعل الظلمات والنور ، وضرب لكم هذه الآجال وأنتم مع هذا تشكون فيه فيعبدون غيره .

---

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿هُوَ الذى خَلَقَكُمْ مّن طِينٍ﴾ في معناه قولان : أحدهما ، وهو الأشهر ، وبه قال الجمهور أن المراد آدم عليه السلام ، وأخرج مخرج الخطاب للجميع ، لأنهم ولده ونسله . الثاني ، أن يكون المراد جميع البشر باعتبار أن النطفة التي خلقوا منها مخلوقة من الطين ، ذكر الله سبحانه خلق آدم وبنيه بعد خلق السموات والأرض إتباعاً للعالم الأصغر بالعالم الأكبر ، والمطلوب بذكر هذه الأمور دفع كفر الكافرين بالبعث ، وردّ لجحودهم بما هو مشاهد لهم لا يمترون فيه

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ﴿هُوَ الذى خَلَقَكُمْ مّن طِينٍ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾ يعني أجل الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ﴾ أجل الساعة والوقوف عند الله . وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، عنه في قوله : ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾ قال : أجل الدنيا ، وفي لفظ أجل موته ﴿وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ﴾ قال : الآخرة لا يعلمه إلا الله . وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عنه ﴿قَضَى أَجَلاً﴾ قال : هو اليوم يقبض فيه الروح ، ثم يرجع إلى صاحبه من اليقظة ﴿وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ﴾ قال : هو أجل موت الإنسان . [فتح القدير : ٢/ ٣٨٩-٣٩٠] .

obeikandl.com

والامتراء الشك ، وأصله من المري ؛ وهو استخراج اللبن من الضرع ، مرى الناقة يمريها مريا ، ومنه ماراه إذا استخرج ما عنده بالمناظرة ، وامترى امتراء إذا استخرج الشبه الموجبة له ، ونظيره : ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَى [إلى أجلٍ] مُسَمى﴾ [سورة الزمر آية ٤٢] . يقول : إلى أجل الموت .

الثاني : أجل العذاب قال : ﴿وَلِكُل أُمةٍ أَجَلٌ﴾ [سورة الأعراف آية ٣٤] . إن لم يؤمنوا إليه نزل عليهم العذاب . ومثله : ﴿إِن أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخرُ﴾ [سورة نوح آية ٤] . أي : أجل العذاب .

ومعنى أجل الله ، أي : الأجل الذي ضربه الله ، ولا يكون الأجل أجلا إلا بالإخبار والتوقيت ، وليس وقت كل شيء أجله ، إنما سمي وقت الشيء أجلا إذا كان على ما وصفنا .

الثالث : قوله تعالى : ﴿وَسَخرَ الشمْسَ وَالْقَمَرَ كُل يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمى﴾ [سورة لقمان آية ٢٩] . قالوا : يعني : أن مطالع الشمس والقمر لها غاية ، ولا يتجاوزاه في شتاء ولا صيف ، ويجوز أن يكون المراد أن لهما أجلا مسمى ينتهيان إليه وهو الساعة .

الرابع : محل الديون ، قال الله تعالى : ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمى فَاكْتُبُوهُ﴾ [سورة البقرة آية ١٨١] . أي : اكتبوا الأجل لأن لا يدعى فيه التقديم والتأخير غلطا أو عمدا ، وقد تكلمنا في ذلك

الخامس : قوله [تعالى] : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمى﴾ [سورة الحج آية ٣٣] . يقول : إلى أن تقلد فإذا قلدت لم تركب ولم تشرب ألبانها ، يعني : البدن .

السادس : أجل الولادة . قال [الله] تعالى : ﴿وَنُقِر فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمى﴾ [سورة الحج آية ٥] . أي : إلى وقت الولادة .

السابع : انقضاء العدة ، قال الله تعالى : ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُن فَلا تَعْضُلُوهُن﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٢] . والمخاطبة لأولياء النساء .

وبلوغ الأجل انقضاء العدة ، أي : لا تمنعوهن التزويج إذا انقضت عدتهن من مطلقتهن .

قال بعض الفقهاء : فيه دلالة على أن النكاح لا يصح إلا بولي ، ولو صح بغير ولي لم يكن لمخاطبة الولي بهذا الخطاب فائدة .

والعضل : المنع من التزويج ثم كثر حتى قيل : عضل الرجل امرأته إذا ضارها ؛ لأن مضارته إياها منع لها مما ينبغي عنده .

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣١] . فالأجل هاهنا مقاربة الخروج من العدة ، أي : إذا طلقتموهن تطليقة أو تطليقتين فقاربن الخروج من العدة فأمسكوهن بمعروف ، أي : إن أردتم حينئذ مراجعتهن فراجعوهن وأمسكوهن بجميل من الفعل أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن فيتزوجن .

ومثل الأول : ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٥] . والعزم : إيجابك فعل الشيء على غيرك أو على نفسك ، ويقال : عزمت عليك لتفعلن ، وقد وصف الله به ، فقيل : إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه . وهو مفارقة للإرادة عند أبي علي رضي الله عنه ؛ لأنك تريد خروج زيد ولا يجوز أن تعزم على خروجه . والعزم أيضا يصح على الإرادة ولا يجوز أن تريد الإرادة .

الثامن : قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [سورة الشورى آية ١٤] . لأن لا يعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال لأنزل بهم العذاب ، والكلمة : الساعة ، وهو قوله : ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [سورة القمر آية ٤٦] . والأجل المسمى هو الساعة أيضا ، فكأنه قال : فلولا أني جعلت موعد الانتقام منكم الساعة لانتقمت منكم الآن .

وقال الله تعالى لهم : ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف آية ٢٦] . قالوا أنزل : ﴿عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٢] .

إقام الصلاة

الأصل : إقامة الصلاة ، فأسقطوا الهاء تخفيفا ، ولا تسقط إلا عند الإضافة ليس .

يقال : أقام الصلاة إقاما ، ويجوز أن يكون معنى إقامة الصلاة إدامتها ، من قوله تعالى : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾[1] [سورة آل عمران آية ١٨] . أي : مديما لفعله ، وفلان يقيم أرزاق الجند أي : يجريها على إدامة . ويحتمل أن يكون عنى به اشتغالهم بها دون غيرها من قولهم : قامت الصلاة . أي : وقع الاشتغال بها .

وقيل : إقامتها إتمام الركوع والسجود ومراعاة المواقيت .

وقيل : هو مثل قوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة الرحمن آية ٩] . والإقامة والتقويم سواء ، وهما خلاف الميل والاعوجاج .

وأصل الصلاة : الدعاء ، وسميت صلاة ؛ لما فيها من الدعاء .

والصلاة أيضا الترحم ؛ لأنه دعاء ، ومنه : الصلاة على الميت ؛ لأنها دعاء لا ركوع فيها ولا سجود ، وصلى فلان على فلان إذا دعا له .

قال الأعشى :

وقَابَلَهَا الرِّيـــــــــحُ فِي دِنِّهَا ... وصلَّى على دِنِّهَـــــــــا وارْتَسَمْ

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الإقرار بالصلاة مع التصديق وغير التصديق ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصلاةَ وَآتَوُا الزكَاةَ فَخَلوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [سورة التوبة آية ٥] . أي : فإن أقروا بهما ، ولم يرد أنهم إذا أقاموها على اعتقاد صحيح فخلوا سبيلهم ؛ لأن ذلك لا يعلمه إلا الله ، وحقيقة

---

(١) قال الخازن : ﴿ قائماً بالقسط ﴾ أي بالعدل نصب على الحال والقطع أو المدح ومعناه أنه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال : فلان قائم بأمر فلان يعني أنه مدبر له ومتعهد له ومتعهد لأسبابه ، وفلان قائم بحق فلان ، أي أنه مجاز له فالله مدبر أمر خلقه وقائم بارزاقهم ومجاز لهم بأعمالهم . [لباب التأويل في معاني التنزيل : ١/ ٣٥٢] .

المراد دخولهم في الإسلام ، وإنما ذكر الصلاة والزكاة ؛ لأنهما من أجل شرائع الإسلام وأشهرها ومثله مع قوله : ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدينِ ﴾ [سورة التوبة آية ١١] .

الثاني : إتمام الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصلاةَ وَآتُوا الزكَاةَ ﴾ [سورة النور آية ٥٦] . أي : أتموها في أوقاتها ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصلاةَ ﴾ [سورة البقرة آية ٣] . ونحوه كثير .

obeikandl.com

الاستطاعة[1]

الاستطاعة : استفعال ، من الطوع ، وهو خلاف الكره ، وذلك أن الفعل يقع بها طوعا ولا يجوز أن يسمى الله مستطيعا ؛ لأنه من قولك : انطاع له الفعل بعد أن لم يكن كذلك ، وهذا لا يجوز على الله . والطوع بمعنى : الانقياد ، والانقياد بمعنى : الذل ، يقال : طاع له طوعا وأطاعه إطاعة : إذا انقاد له . والطاعة الانقياد لمن يعتقد تعظيمه .

---

(١)[طوع] : طاع يَطُوع طوعاً فهو طائع . والطَّوْعُ : نقيض الكَرْه ، تقول : لَتَفْعَلَنَّهُ طوعاً أو كَرْهاً . طائعاً أو كارِهاً ، وطاع له إذا انقاد له .

إذا مضَى في أمرِك فقد أطاعك ، وافقك فقد طاوعك . قال يصف دلواً :

أحلِفُ بالله لَتُخْرِجِنَّهْ
كارِهةً أو لتطاوِعِنَّهْ
أو لَتَرِينَّ بِيَ المُرِنَّهْ

أي : الصّائحة .

والطّاعة اسم لما يكون مصدره الإطاعة ، وهو الإنقياد ، والطّواعِيَةُ اسم لما يكون مصدره المطاوعة . يقال طاوعتِ المرأة زوجَها طَواعيةً حَسَنةً ، ولا يقال : للرعيّة ما أحسن طَواعِيَتَهُم للرّاعي ، لأنَّ فعلَهم الإطاعة ، وكذلك الطّاقة اسم الإطاقة والجابة اسم الإجابة ، وكذلك ما أشْبَهَهُ ، قال :

حَلَفْتُ بالبيتِ وما حَوْلَهُ *** من عائذٍ بالبيت أَوْ طاعي

أراد : أو طائع فقلبه ، مثل قِسِيّ ، جعل الياء في طائع بعد العين ، ويقال : بل طرح الياءَ أصلاً ، ولم يُعِدْها بعد العين ، إنّما هي : طاع ، كما تقول : رجلٌ مالٌ وقال ، يراد به : مائل ، وقائل ، مثل قول أبي ذؤيب :

وسوّد ماءُ المَرْدِ فاها فلونُهُ *** كلَوْنِ الرَّمادِ وهي أدماءُ سارُها

أي : سائرها . وقال أصحابُ التّصريف : هو مثل الحاجة ، أصلها : الحائجة . ألا ترى أنّهم يردّونها إلى الحوائج ، ويقولون : اشتُقّت الاستطاعة من الطّوع .

ويقال : تَطاوَعْ لهذا الأمر حتّى تستطيعه . وتطوّع : تكلّف استطاعته ، وقد تطوّع لك طوعاً إذا انقاد ، والعرب تحذف التّاء من استطاع ، فتقول : اسطاع يَسطيع بفتح الياء ، ومنهم من يضمّ الياء ، فيقول : يُسْطِيعُ ، مثل يُمِيق .

والتَّطَوُّعُ : ما تبرّعت به ممّا لا يلزمك فريضته . والمُطَوِّعة بكسر الواو وتثقيل الحرفين : القوم الذين يتطوّعون بالجهاد يخرجون إلى المُرابَطات . ويقال للإبل وغيرها : أطاعَ لها الكلأ إذا أصابتْ فأكلَتْ منه ما شاءت ، قال الطرمّاح :

فما سرحُ أبكارٍ أطاعَ لِسَرْحِهِ

والفَرَس يكون طوعَ العِنانِ ، أي : سَلِس العِنانِ . وتقول : أنا طَوْعُ يدِكَ ، أي : منقادٌ لكَ ، وإنّها لطوعُ الضّجيع . والطَّوْعُ : مصدرُ الطائع . قال :

طَوْعَ الشَّوامِتِ مِنْ خَوْفٍ ومِنْ صَرَدِ . [العين : طوع] .

والاستفعال في الأصل للطلب ثم استعمل في غير ذلك ، فقيل : استحسن الشيء واستقبحه . وقيل : فعلته طوعا ، أي : فعلته في سهولة ، ومثله : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٠] . أي : سهلته عليه ، ومن هذا الوجه أيضا لا يقال لله مستطيع ، كما لا يقال : أن هذا الفعل سهل عليه ، ومن أجل أن استطاع طلب ذلك ولا يوصف الله بأنه يطلب القدرة على الفعل ويطلب السهولة أو انطباع الفعل .

وقيل : طوعت : حسنت وزينت ، وهذا على المعنى وليس على اللفظ .

وقيل : طوعت : شجعت ، وطوعت السقاء ملأته ، وهو طواع الكف ، أي : ملؤها ، وطاع له الشيء إذا أتاه طوعا ، وقيل : طوعت : له أطاعته وتابعته ، وقرئ : ﴿فَطَاوَعَتْ﴾ .

والاستطاعة في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السعة في المال ، قال الله تعالى : ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة التوبة آية ٤٢] . أي : لخرجنا معكم إلى تبوك ، يعنون سعة ذات اليد للخروج وتخفيف النفقة للعيال . وقوله تعالى : ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾ [سورة آل عمران آية ٩٧] . وتدخل في هذا سعة ذات اليد ، وصحة البدن ، وأمن الطريق ، وتمام الوقت .

وقال : ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ [سورة النساء آية ٩٨] . أي : لا يجدون سعة يستعينون بها على الهجرة ، ويجوز أن يكون أراد عدم الصحة والقوة على السفر ، أو عنى أنهم ممنوعون من الخروج ببعض الموانع الكائنة من جهة الكفار .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلا﴾ [سورة النساء آية ٢٥] . والطول : السعة ، وتطول الرجل أفضل من سعة وليس فيه طائل يرجع إلى هذا ، أي : إذ لم تستطيعوا نكاح الحرائر لتعذر النفقة عليكم فانكحوا الأيامى ليقع الانتفاع لكم بهن وتكون نفقتهن على مواليهن ويقل مهرهن .

وقال بعضهم : لا يجوز نكاح الأمة مع وجود الطول . وليس كذلك ؛ لأن القدرة على نكاح امرأة لا تحرم نكاح أخرى ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] فعم .

الثاني : الطاقة ، قال تعالى : ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [سورة القلم آية ٤٢] . فلو كانت الاستطاعة مع الفعل لكانوا عاجزين إذ لم يفعلوا ؛ لأن الفعل معدوم ، وإذا عدم الفعل عدم الاستطاعة ، ولكان أيضا من وجد الزاد والراحلة وتمام الوقت ، وهو صحيح البدن وعطل الحج ثم مات لكان معذورا ؛ لأنه كان عاجزا وإنما يكون مستطيعا عند خصومنا في وقت وجود الحج ولا لوم على العاجز .

وقد أخبر الله تعالى أنهم لا يستطيعون السجود في الآخرة ، فدل على أنهم كانوا يستطيعونه في الدنيا ؛ لقوله : ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [سورة القلم آية ٤٣] . وإلا فليس للكلام معنى يفهم .

وقوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ [سورة الذاريات آية ٤٥] . أي : لم يطيقوا القيام لعذاب الله ، ومثله : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [سورة الكهف آية ٩٧] .

وقوله تعالى : ﴿فَاتقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن آية ١٦] . واسطاعوا : لغة في استطاعوا ، يقال : اسطعت الشيء واستطعته .

وقوله : ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النسَاءِ﴾ [سورة النساء آية ١٢٩] . أي : لا تطيقون ذلك في الحد ، هذا في الرجل له زوجتان وثلاث وأربع ، قال : وليس يستطيع أن يسوي بينهن في الشهوة ، فتشتهي هذه كما تشتهي تلك ؛ لأن الشهوة ليست من فعله فعذره فيما لا يستطيع واسع ، وليس كما يذهب إليه المجبرة في أنه تعالى كلفه العدل بينهن ، وهو لا يستطيعه ، ألا ترى أن قوله : ﴿فَلا تَمِيلُوا كُل الْمَيْلِ﴾[سورة النساء آية ١٢٩] . دلالة على أنه في بعض الميل معذور ، وهو الذي لا يستطيع خلافه ، والمعنى النهي عن إيثار إحداهن للشهوة فيها والانصراف عن الأخرى حتى تصير كالمعلقة لا المتزوجة ولا المطلقة .

وقال : ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا ﴾ [سورة الفرقان آية ١٩] . قال أبو علي رضي الله عنه : الخطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين بقوله : ﴿ فَقَدْ كَذَبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ [سورة الفرقان آية ١٩] . أي : كذبوك بما تقول من توحيد الله فلا يستطيعون صرف العذاب عن أنفسهم والانتصار لها .

وقال غيره : الخطاب للكفار يريد أن هؤلاء الذين اتخذتموهم آلهة إذا سئلوا هل كان عبادتكم إياها بدعاء منكم لها ، : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة الفرقان آية ١٨] . فظهر لهم حينئذ أنهم لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا على نصرهم مما يراد إنزاله بهم .

الثالث : الاستثقال ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَمْعَ ﴾ [سورة هود آية ٢٠] . أي : كانوا يستثقلون استماع القرآن والأمر بالإيمان ، وهو كقولك : لا أستطيع أن أسمع كلام فلان . أي : يثقل علي ذلك ، وهذا معروف .

الرابع : الاستطاعة ، بمعنى سؤال الفعل وطلبه ، قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبكَ أَنْ يُنَزلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَمَاءِ ﴾ [سورة المائدة آية ١١٢] . والمعنى : سؤال النزول كما تقول : هل يستطيع فلان أن يقوم معنا . وأنت تعلم أنه يستطيع ولكنك تجعل ذكر الاستطاعة سؤالا للقيام ؛ لأنه ألطف وقرئ : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبكَ ﴾ . أي : هل تقدر على أن تسأل ربك ، وكانوا يعلمون أنه قادر على سؤال ربه ، ولكن قالوا ذلك ؛ لأنه ألطف في السؤال ومجازه هل يجوز أن تسأل ربك .

الأحزاب[1]

جمع حزب ، وهو : الجماعة المتعاونة ، ومنه تحزب القوم إذا اجتمعوا وتعاونوا .

قال الراجز :

وكيف أضوي وبلال حزبي

أي : مغيثي .

وأصل الكلمة من الشدة ، ومنه يقال : حزبني إذا استبد علي ، والاسم : حزابة ، وأمر حازب وحزيب أي : شديد .

والأحزاب في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة ، وهو قوله : ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [سورة الرعد آية ٣٦] . هذا قول بعض المفسرين .

وقال غيره : ﴿الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾[سورة الرعد آية ٣٦] . النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون . والكتاب : القرآن ، أي : هم يفرحون به ، : ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾ أي : هم الباقون . وقال : منهم : ﴿مَنْ يُنْكِرُ بعضَهُ﴾ وهو المواضع التي تخالف دينهم ، وكانوا لا ينكرون ما فيه من الحكم والأمثال والدعاء إلى المكارم ، وليس في العقلاء من ينكر ذلك .

وسماهم أحزابا ؛ لاختلاف مذاهبهم ، وذلك أن اليهود فرقة ، والنصارى فرقة وعباد الأوثان فرقة .

---

(١) [حزب] : حَزَبَني الأمْرُ يَحْزُبُني حَزْباً إِذا نابَكَ . وأمْرٌ حازِبٌ وحَزِيبٌ أي شَديدٌ . والحِزْبُ أصْحابُ الرَّجُلِ مَعَه على رَأْيِه وأمْره ، والجَميعُ الأحْزَابُ . وتَحَزَّبَ القَوْمُ اجْتمعوا فصاروا أحْزاباً . وحَزَّبَهُم فلانٌ . وحازَبْتُه كُنْتَ من حِزْبِه . وَفلانٌ يُحازِبُ لفلانٍ أي يَعْصَبُ به ويَنْصُرُه . وهُذَيْلٌ تُسَمِّي السِّلاَحَ الحِزْبَ ؛ تَشْبِيْهاً وسَعَةً . والحِزْبُ الوِرْدُ من القُرآن والحَيْزَبُوْنُ العَجُوْزُ ، والنُّوْنُ زائدةٌ . وهي من النُّوقِ الشَّديدةُ . والحِزْباءَةُ أرْضٌ حَزْنَةٌ ، والجَميعُ الحَزَابي . والحَزَابِيَةُ في وَصْفِ الحِمار اسْتِدارَةُ خَلْقِه . ورَكَبٌ حَزَابِيَةٌ ضخمةٌ . [المحيط في اللغة : الحاء والطاء والراء] .

وقوله : ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾ [سورة ص آية ١١] . جاء في التفسير أنه عنى هؤلاء المذكورين أولا .

والوجه أن يكون من يحازب النبي صلى الله عليه من فرق المخالفين .

وفيه بشارة له عليه السلام ، أي : هؤلاء جند مهزوم بعد قليل ، وأنت هازم لهم وظافر بهم . و" ما " في قوله : ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ ﴾ . توكيد ، كأنه قال : هم جند . وأتى جندهم وعظم أمرهم ليكون أعظم لأمر هازمهم ؛ لأن غلب العدو القوي أبلغ في المدح .

الثاني : النصارى ، قال الله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ [سورة الزخرف آية ٦٥] .

الثالث : قوم عاد وثمود وشعيب وفرعون ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ ﴾ [سورة غافر آية ٥] . ويجوز أن يكون المعني بذلك جميع من كذب الرسل من هؤلاء ومن غيرهم من بعدهم . وقال : ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ ﴾ [سورة ص آية ١٢ ، ١٣] . ومثله : ﴿ إِنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴾ [سورة غافر آية ٣٠] . يعني : هؤلاء .

الرابع : أبو سفيان وأصحابه يوم الخندق ، قال : ﴿ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدوا ﴾ [سورة الأحزاب آية ٢٠] . يعينهم .

الأمر

قد مضى القول في أصله .

وهو في القرآن على سبعة عشر وجها :

الأول : الدين ، قال الله تعالى : ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ ﴾ [سورة التوبة آية ٤٨] . يعني : دينه ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ ﴾ [سورة المؤمنون آية ٥٣] . أي : الدين الذي جاء به نبيهم ، فنسبته إليهم ؛ لأنهم المتعبدون به والمندوبون إليه ، والمعنى : أن الله أعلمهم أن أمر الأمة واحد ، وأن دينه واحد وهو الإسلام وهم قد تقطعوا واختلفوا .

الثاني : القول ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ [سورة الكهف آية ٢١] . قال : ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ﴾ [سورة طه آية ٦٢] . أي : يتنازعون القول فيما يريدون العمل عليه ؛ لأن مثل ذلك الأمر لا يتنازع وإنما يتنازع القول فيه .

الثالث : وقت الوعيد ، قال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ [سورة هود آية ٤٠] . أي : حضر وقت وعيدنا ، ويجوز أن يكون على ظاهره أي : حتى جاء أمرنا بالعذاب ، أي : حتى أمرنا بتعذيبهم .

الرابع : العذاب ، قال : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة إبراهيم آية ٢٢] . أي : وجب العذاب ، ويجوز أن يكون قضاء الأمر هاهنا فضل الحساب ووقوف كل فريق على ما له عند الله من الخير والشر . ومثله : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾[1] [سورة مريم آية ٣٩] . أي : وجب العذاب .

---

(١) قوله تعالى : ﴿ وأنذِرهم ﴾ أي : خوِّف كفَّار مكة ﴿ يومَ الحسرة ﴾ يعني : يوم القيامة يتحسَّر المسيء إذ لم يُحْسِن ، والمقصِّر إذ لم يَزْدَدْ من الخير .

وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرةٌ ، فمن ذلك ما روى أبو سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قيل : يا أهل الجنة ، فيشرئبُّون وينظرون ، وقيل : يا أهل النار فيشرئبُّون وينظرون ، فيُجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : هذا الموت ، فيُذبَح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ؛ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وأنذِرهم يومَ الحسرة إذْ قُضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾

الخامس : تمام العذاب وبلوغ المراد منه ، قال : ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [سورة هود آية ٤٤] .

السادس : بمعنى الشيء ، قال : ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ [سورة البقرة آية ١١٧] . أي : إذا أراد إحكام شيء لم يتعذر عليه .

ومثله : ﴿أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [سورة الشورى آية ٥٣] أي : تصير الأشياء إلى حيث لا يحكم فيه سواه ولا يقدر عليه غيره .

وجاء في التفسير أنه أراد بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ . عيسى عليه السلام أنه يكون من غير أب .

السابع : هزيمة الكفار وقتلهم ببدر ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا﴾ ، ثم قال : ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا﴾ [سورة الأنفال آية ٤٤] أراد هزيمة الكفار وأسرهم جزاء لهم على كفرهم ونصرة المؤمنين عليهم .

الثامن : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة غافر آية ٧٨] . يعني : القيامة ، وقيل : أراد به قتل الكفار ببدر . والأول الوجه .

" . قال المفسرون : فهذه هي الحسرة إذا ذُبح الموت ، فلو مات أحد فرحاً مات أهل الجنة ، ولو مات أحد حزناً مات أهل النار .

ومن موجبات الحسرة ، ما روى عديُّ بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " «يؤتى يوم القيامة بناسٍ إلى الجنة ، حتى إذا دَنَوْا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها ، نودوا : أن اصرفوهم عنها ، لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرةٍ مَا رَجَعَ الأَوَّلُون بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتَنا النار قبل أن تُرِيَنا ما أريتَنا كان أهون علينا ؛ قال : ذلك أردتُ بكم ، كنتم إذا خَلَوْتُمْ بارزتموني بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ، تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم ، هِبْتم الناس ولم تهابوني ، وأجللتم الناس ولم تُجِلُّوني ، تركتم للناس ولم تتركوا لي ، فاليوم أُذيقكم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب " . ومن موجبات الحسرة ما روي عن ابن مسعود قال : ليس من نفس يوم القيامة إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ، وبيت في النار ، ثم يقال : يعني لهؤلاء : لو عملتم ، ولأهل الجنة : لولا أن منَّ الله عليكم . ومن موجبات الحسرة : قطع الرجاءِ عند إطباق النار على أهلها . [زاد المسير : ٢/ ٢٧٥-٢٧٦] .

وقوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [سورة النحل آية ١] . يعني : القيامة والإتيان هاهنا بمعنى الدنو كقول الشاعر :

وقيل المنادي أصبح القوم أدلجوا

أي : دنا الإصباح .

ومثله قوله : ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِي حَتى جَاءَ أَمْرُ اللهِ ﴾ [سورة الحديد آية ١٤] .

التاسع : فتح مكة ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَرَبصُوا حَتى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة التوبة آية ٢٤] . قالوا : أراد فتح مكة ، ويجوز أن يكون المراد ظهور الإسلام وقوة أهله .

العاشر : قتل قريظة وجلاء النضير ، قال الله وحده : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٠٩] . جاء في التفسير أنه أراد ذلك ، ويجوز أن يكون المراد القيامة أيضا ، ويجوز أن يكون أراد : اصفحوا عنهم إلى أن يأمركم الله بقتالهم فتنتقموا منهم .

الحادي عشر : بمعنى القضاء ، قال الله تعالى : ﴿ يُدَبرُ الأَمْرَ مِنَ السمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية ٥] ، وقال : ﴿ يُدَبرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [سورة يونس آية ٣] . أي : يقضي القضاء .

الثاني عشر : الوحي ، قال الله : ﴿ يُدَبرُ الأَمْرَ مِنَ السمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية ٥] . قال أهل التفسير : يعني : الوحي . وقال : ﴿ يَتَنَزلُ الأَمْرُ بَيْنَهُن ﴾ [سورة الطلاق آية ١٢] . يعني : الوحي .

الثالث عشر : بمعنى النصر والسلطان ، قال : ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِن الأَمْرَ كُلهُ للهِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٥٤] . يعني : أن الغلبة لأولياء الله .

الرابع عشر : الذنب ، قال الله تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ [سورة الطلاق آية ٩] أي : جزاء ذنبها .

وأصل الوبال من الطعام الوبل ، وهو الوخم الذي لا يمري ، وقيل : الوبيل الشديد ، وأصله من الكراهة ، يقال : استوبلت المنزل إذا كرهته لقلة موافقته لك ، قال الله : ﴿ فَذَاقُوا

وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة التغابن آية ٥] . أي : جزاء ذنبهم ، وقال : ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ [سورة المائدة آية ٩٥] .

الخامس عشر : الأمر خلاف النهي ، قال الله : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [سورة الإسراء آية ١٦] . أي : أمرناهم بالطاعة فعصوا ، وقرئ : ﴿أمرْنَا﴾ . أي : جعلناهم أمراء . وقيل : كثرناهم ، وأمر الشيء : كثر ، وقيل : أمرناه بالتخفيف معناه : كثرنا .

وروى الجرمي عن أبي زيد والأصمعي : أمره وأمره . أي : كثره ، وأمر هو ، فهو آمر ومأمور ومؤمر من آمره ، وأمرته أيضا : كثرته بالتثقيل ، وهو مأخوذ من أمرته بالتخفيف ؛ لأن فعلت بالتثقيل من فعلت بالتخفيف مثل : ضربت وضربت ، قال المبرد : ولا تكون ذلك من أمرت .

السادس عشر : إظهار أمر المنافقين ، قال الله تعالى : ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [سورة المائدة آية ٥٢] . أي : أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وآله بإظهار أمر المنافقين فيعاقبوا ، : ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة المائدة آية ٥٢] . ويجوز أن يكون المعنى في هذا : ظهور الإسلام .

السابع عشر : العلم ، قال الله تعالى : ﴿وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . قيل : يعني : العلماء ، وقيل : يعني : السلطان ، وإنما تجب طاعة السلطان إذا كان محقا .

وقال ابن عباس : أولو الفقه في الدين .

وقال أبو علي رحمه الله : هم الأمة وأمراؤهم ، وليس هم العلماء إلا أن يكونوا أمراء . وقال : ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . أي : إلى الكتاب والسنة ؛ لأنهما من الله ورسوله ، وفيه دليل على أن الإمامة ليست بحجة ، وفيه دليل أيضا على صحة القياس وذلك أن جميع ما يتنازع فيه المتنازعان لا يوجد في القرآن والسنة مشروحا ، ولكن يوجد أصل كل شيء فيهما أو في أحدهما ، فأمر بحمل الفروع على الأصول الموجودة فيهما ليظهر أحكامها ، ولا يأتى ذلك إلا بالقياس .

والآية عموم في وجوب الرد إلى الكتاب والسنة في حياة الرسول وبعد وفاته .

والذي يقتضيه فحوى الكلام الرد إليهما فيما لا نص فيه ؛ لأن المنصوص عليه لا احتمال فيه لغيره ولا يقع فيه التنازع من الصحابة مع علمهم باللغة ومعرفتهم بما فيه احتمال مما لا احتمال فيه .

وأما الأمر في قوله تعالى : ﴿لَعَلَ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [سورة الطلاق آية ١] . فهو تفسير الرجعة ، وذلك أنه إذا طلقها طلاق السنة ملك رجعتها .

وطلاق السنة عند الكوفيين يعتبر فيه معنيان :

أحدهما : الوقت . والآخر : العدد .

فالوقت : أن يطلقها طاهرا من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها . والعدد : ألا يزيد في الطهر الواحد على تطليقة واحدة ، فأما من لا عد عليها فيطلقها متى شاء في حيض أو طهر بغير المدخول بها .

obeikandl.com

الأرض[1]

من الأراضة وهي الخلاقة ، مكان أريض : أي : خليق المنبت . وسميت الأرضة أرضة ؛ لأنها تكون في بطن الأرض ، وسمي الرعدة أرضا من الأرضة ؛ لأنها إذا وقعت في الخشبة أكلتها فخفت فسميت الرعدة أرضا ؛ لأنها خفة تعتري الإنسان .

وتجمع الأرض أرضين على غير قياس . وكان الأصل في الأرض أرضة والشاهد أنها تجمع أرضات ، مثل : تمرة وتمرات ، وأسقطت الأرضة أصلا حتى أنها لا يقال ، وأدخلت الواو والنون في الأرضين عوضا من الساقط وإنما أسقطت ؛ لأن التمر ينفصل كل واحدة منهما بنفسها ، والأرض ليست كذلك ، وإنما هي اسم واحد يجمع أشياء لا ينفصل بعضها من بعض . وقولنا : أرض كقولنا : تمر . اسم للجنس ، وربما جمعت على أراض مثل : تمر وأتمار .

وهي في القرآن على تسعة أوجه :

الأول : أرض الجنة ، قال الله تعالى : ﴿أَن الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصالِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء آية ١٠٥] . يعني : أرض الجنة ، هكذا قيل . وقيل : إنها أرض الدنيا ، ودليل ذلك أن الأرض إذا جاءت مطلقة ، وهي الأرض المعروفة لا غير ، ولو لم يكن ذلك كذلك ، لم يعرف بإطلاق اللفظ شيء .

الثاني : الأرض المقدسة ، قال الله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ [سورة الأعراف آية ١٣٧] . أي : مشارق أرض الشام ومغاربها ؛ لأنها تعلم أن بني إسرائيل لم يملكوا أرض فارس ولا أرض خراسان ، ومنه قوله

---

(١) (أرض) : أرْضٌ وأرَضُوْنَ . ورَوْضَةٌ أَرِيْضَة : لَيِنَةُ المَوْطِىءِ واسِعَةٌ . وأرْض أَرِيْضَةٌ : طَيِبَةُ المَعْهِدِ لَيِّنَة ، وقيل : خَلِيقَةٌ للمَطَرِ والخَيْرِ . وكذلك رَجُل أَرِيْضٌ ، وما آرَضَه للخَيْرِ . وعليه أَرَاضَةُ ذاكَ : أي أمَارَتُه . وتَأَرَّضَ الرَّجُلُ : نَزَلَ ؛ مُشْتَقٌّ من الأرض . وهم يَتَارَضُوْنَ مَنْزِلاً : أي يَتَخَيَرُوْنَ أرْضاً أَرِيْضَةً للنزُول . وما في الحَوْضِ أَرُوْضٌ : أي شَيْءٌ يُوَارِي أرْضَه . والأَرُضُ : كَرَمُ الأرْضِ ، أَرِضَتْ تَأْرَضُ أَرَضاً . والأَرُضُ : الرَّعْدَةُ . والزُكامُ أيضاً ، و رَجُلٌ مَأْرُوْضٌ : أي مَزْكُومٌ . وقيل : هو الذي يُحرِكُ رَأْسَه وجَسَدَه على غَيْرِ عَمْدٍ . المحيط في اللغة : ٢/ ٢٠٢ .

تعالى : ﴿ الم غُلِبَتِ الرومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ ﴾ [سورة الروم آية ١ - ٣] . يعني : أرض الشام ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَجيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ التِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [سورة الأنبياء آية ٧١] . أي : أرض الشام .

الثالث : أرض المدينة خاصة ، قال الله : ﴿ إِن أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة العنكبوت آية ٥٦] . يأمرهم بالهجرة إليها ، ثم فيه دلالة على أن من لا يمكنه عبادة الله في أرض فينبغي أن ينتقل عنها إلى حيث يمكنه ذلك .

والمراد على هذا التأويل أن أرض مكة تسعكم لا تجدون فيها ما تجدون في غيرها من المعاشر فانتقلوا إليها ، ويجوز أن يكون المعنى أن الطرق غير مسدودة عليكم فاخرجوا إلى حيث تتمكنون من عبادة ربكم . ومثله قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . قالوا : يعني : أرض المدينة . وقال : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزونَكَ مِنَ الأَرْضِ ﴾ [سورة الإسراء آية ٧٦] . وقال : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [سورة النساء آية ١٠٠] . أي : مذهبا واسعا ، مأخوذ من الرغام ، والمراغمة أيضا المغايظة والمناغضة ، وأصله من الرغام وهو التراب . ويقال : راغمته إذا هاجرته وعاديته ولم لا تبال رغم أنفه أم لا .

الرابع : أرض مكة ، قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا كُنا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . يعني : أرض مكة ، : ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . أي : أليس في أرض المدينة متسع ومحتمل ، فليس لكم عذر في المقام بمكة على ذل وهوان .

الخامس : الأرض التي تفتح لأهل الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [سورة الرعد آية ٤١] . أي : أو لم تروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما يبين لهم صدق الدعوة ، وذلك أنه كان أخبره بفتحها عليهم ، ففتحها كان بعض

المعجزات ، وقيل : ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[1] موت أهلها وبنقص ثمارها ، وقيل : موت العلماء والأول الوجه .

السادس : أرض مصر خاصة ، وهو قوله : ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾ [سورة يوسف آية ٥٥] . وإنما طلب ذلك نظرا للناس ليوسع عليهم وينصفهم في القسمة ، وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة يوسف آية ٥٦] . وقال : ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾ [سورة يوسف آية ٨٠] . وقال : ﴿إِن فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾[سورة القصص آية ٤] وقال : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُن عَلَى الذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ [سورة القصص آية ٥] . وقوله : ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [سورة غافر آية ٢٦] . المعنى بهذا كله : أرض مصر . وكذلك قوله : ﴿إِن الأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [سورة الأعراف آية ١٢٨] . ويجوز أن يكون المعنى في هذا جميع الأرض المسكونة .

السابع : أرض الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٣] قال أهل التفسير : يقاتلون حيث توجهوا من الأرض ولا يتركون فارين في شيء من أرض المسلمين ، وقيل : معناه أن دمائهم مباحة فمن يقتلهم لم يؤخذ بهم ، ويقال : نفيت الشيء نفيا ، والنفاية ما ينفى مثل : النحاتة والبراية .

الثامن : جميع الأرضين ، قال الله : ﴿وَمَا مِنْ دَابةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى الله رِزْقُهَا﴾ [سورة هود آية : ٦] ، وقال : ﴿وَلَوْ أَنمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ﴾ [سورة

---

(١) قال الشوكاني : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني أهل مكة ، والاستفهام للإنكار ، أي : أولم ينظروا ﴿أَنَّا نَأْتِي الأرض نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي : نأتي أرض الكفر كمكة ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها شيئاً فشيئاً . قال الزجاج : أعلم الله أن بيان ما وعد المشركين من قهرهم قد ظهر ، يقول : أولم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم ، فكيف لا يعتبرون ؟ وقيل : إن معنى الآية : موت العلماء والصلحاء . قال القشيري : وعلى هذا فالأطراف الأشراف . وقد قال ابن الأعرابي : الطرف الرجل الكريم . قال القرطبي : وهذا القول بعيد ؛ لأن مقصود الآية : أنا أريناهم النقصان في أمرهم ليعلموا أن تأخير العقاب عنهم ليس عن عجز إلاّ أن يحمل على موت أحبار اليهود والنصارى . وقيل : المراد من الآية خراب الأرض المعمورة حتى يكون العمران في ناحية منها . وقيل : المراد بالآية هلاك من هلك من الأمم . وقيل : المراد نقص ثمرات الأرض . وقيل : المراد جور ولاتها حتى تنقص . [فتح القدير : ٤/ ١٢٣] .

لقمان آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿إِنا مَكنا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٤] ، والفرق بين مكنا له ومكناه أن معنى مكنا له : جعلنا له ما يتمكن به في الأرض ، ومعنى مكناه : أقدرناه على ملك الأرض .

وقوله : ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [سورة الكهف آية : ٤٧] والمراد : أنا نسير الجبال فيحلوا منها وجه الأرض فتراها بارزة أي : ظاهرة لا شيء فيها ، ويجوز أن تكون بارزة بمعنى : مبرزة أي : قد أبرز جميع ما في بطنها ، وجاءت على فاعلة على النسبة كما قيل : الحاسة وهي من أحسست على النسبة لا على طلب الفعل ، أي : هي ذات كذا ، ويجوز أن يكون المعنى أنك ترى أهل الأرض بارزين كما قال : ﴿وَبَرَزُوا لله جَمِيعًا﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢١] ، وقال : ﴿وَبَرَزُوا لله الْوَاحِدِ الْقَهارِ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٤٨] .

التاسع : محي الأرض مثلا ، وهو قوله : ﴿مَا دَامَتِ السمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [سورة هود آية : ١٠٧ ، ١٠٨] . لم يرد أرضا بعينها وإنما هو على حسب قول العرب في معنى الأبد : لا أفعل ذاك ما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وما أقام الجبل ومَا دَامَتِ السمَوَاتُ وَالأَرْضُ .

هذا وإن كان اللفظ الليل والنهار والجبل والأرض والسماء ، فإنما المراد به الأبد ، وإنما جعلوا هذه الأشياء أمثالا في الأبد ؛ لأنها عندهم لا تتغير ، ويجوز أن يكون المراد أرض الجنة والنار .

الاشتراء

أصل الشراء من الإمالة ومنه الشرى وهو الناحية ، فقولهم : اشتريت الشيء . كأنك جعلته في شراءك ، أي : ناحيتك ، كما تقول : احتقبته إذا جعلته في حقيبتك ، وهو من الأضداد ، اشتريته إذا أخذته بثمن واشتريته إذا بعته ، وكذلك شريته إنما سمي المشتري والبائع باسم واحد ؛ لأن كل واحد منهما يأخذ شيئا ويعطي شيئا فلتماثلهما من هذا الوجه اشتركا في الاسم الواحد ، ويجوز أن يكون من قولك : شريت به . إذا لهجت به ، ومنه يقال : شرى البرق إذا كثر لمعانه كأنه لهج بذلك .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الاختيار ، قال : ﴿ اشْتَرَوُا الضلالَةَ بِالْهُدَى ﴾[1] [سورة البقرة آية : ١٦ ، ١٧٥] . أي : اختاروا الكفر على الإيمان ، ومنه : ﴿ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٤] . أي : اختاروا على الإيمان ما نالوه من حطام الدنيا ، وسماه قليلا ؛ لأن كل شيء من الدنيا قليل لانقطاعه .

وقال : ﴿ وَمِنَ الناسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾[سورة لقمان آية : ٦] . يعني : يختار باطل الحديث على القرآن .

وعلى هذا التقدير يصح هذا التأويل ؛ لأن الاختيار : إيثار الشيء على غيره وهو ضرب من الإرادة واقع على هذا الوجه ، وإذا لم يقع كذلك لم يسم اختيارا .

---

(١) قال الخازن : ﴿ الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان وإنما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعاً على سبيل الاستعارة لأن الشراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر . فإن قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى ؟ قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها . والضلالة الجوز عن القصد وفقد الاهتداء ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ أي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ أي مصيبين في تجارتهم ، لأن رأس المال هو الإيمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى . وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم . [لباب التأويل : ١/ ١٦] .

وأصله من الخير كأنك تؤثر خير الشيئين عندك ، وقالوا : هو الحديث الغناء ؛ لأنه يلهي عن الذكر ، قالوا : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرى المرأة المغنية .

وقيل : هو جميع ما يلهي عن الذكر ، وقيل : نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة الداري وكان يشتري من كتب الأعاجم فارس والروم ويقرأوها على قريش فيستحسنونها ويعجبهم ما يسمعون من أخبارهم فيها فيشتغلون بها عن استماعَ القرآن .

وقوله : ﴿وَيَتخِذَهَا هُزُوًا﴾ [سورة لقمان آية : ٦] . يعني : سبيل الله ، ومعناه الإسلام .

الثاني : الابتياع ، قال الله : ﴿إِن اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَن لَهُمُ الْجَنَةَ﴾ [سورة التوبة آية : ١١١] . هكذا قيل ، وهو مجاز وحقيقته أنه جعل الجنة ثوابا لهم على بذلهم نفوسهم وأموالهم في سبيل الله ، وسمي ذلك اشتراء ؛ لأنه جعل الجنة بدلا من ذلك كما أن ثمن السلعة بدل منها .

الثالث : بمعنى البيع ، قال تعالى : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] أي : باعوها ، وهذا أيضا مجاز ، ومعناه أنهم أذنبوا فاستحقوا النار فإذا صاروا إليها لم ينتفعوا لنفوسهم فكأنهم باعوها ؛ لأن من باع الشيء حرم الانتفاع به .

الأحد(١)

أصله الانفراد ، يقال : رجل وحد إذا كان منفردا ، ولهذا قالوا : مررت برجل وحده . لما أرادوا معنى الانفراد ، كأنهم أرادوا برجل أفرادا ، وأفرادا منصوب نصب المصدر فنصبوا وحده ؛ لأنه جعل موضع أفراد .

(١) [وحد] : الوَحَدُ : المُنْفَرِدُ . رجلٌ وَحَدٌ ، وثورٌ وَحَدٌ . وتفسير الرّجلِ الوَحِد : الذي لا يُعْرَفُ له أَصْلٌ . قال :

بذي الليل على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ

والوَحْدُ - خفيفٌ - : حِدَةُ كل شيءٍ . والوَحْدُ : منصوب في كلّ شيء لأنّه يَجري مَجْرَى المصدر خارجاً من الوَصْف ، ليس بنعتٍ فيَتْبَعُ الاسْمَ . وليس بخبرٍ فيُقْصَدَ إليه دون ما أُضيف إليه ، فكان النّصب أولى به ، إلاّ أنّ العربَ قد أضافتْ إليه ، فقالت : هو نَسِيجُ وَحْدِه ، وهما نسيجا وَحْدِهما ، وهم نُسَجاءُ وَحْدِهِمْ ، وهي نسيجةُ وَحْدِها ، وهنّ نَسائجُ وَحْدِهِنَّ : وهو الرّجل المصيب الرأي . وكذلك قريعُ وَحْدِهِ وكذلك صَرْفُه ، وهو الذي لا يقارعه في الفضل أحد .

ووَحَدَ الشَّيْءُ فهو يَحِدُ حِدَةً ، وكل شيء على حدةٍ بائنٌ من آخر . يقال : ذلك على حِدَتِه وهما على حِدَتِهما ، وهم على حِدَتهم ، والرّجلُ الوحيد ذو الوَحْدَة ، وهو المنفرد لا أنيس معه ، وقد وَحُدَ يَوْحُدُ وحادَةً وَوَحْدَةً ووَحَداً .

والتَّوْحِيدُ : الإيمانُ بالله وحدَهُ لا شَريكَ له ، واللهُ الواحدُ الأحَدُ ذو التَّوَحُّدِ والوَحْدانيةِ . والواحدُ : أوّلُ عَدَدٍ منَ الحِسابِ . تقولُ في ابتداء العدد : واحد ، اثنان ، ثلاثة إلى عَشَرَة . وإن شئت قلت : أَحَد ، اثنان ، ثلاثة ، وفي التّأنيث : واحدة وإحدى . ولا يقال غير أحد ، وإحدى في أَحَدَ عَشَرَ ، وإحدَى عَشْرَةَ . ويقال : واحدٌ وعشرون ، وواحدة وعشرون ، فإذا حملوا الأَحَدَ على الفاعل أجري مُجْرى الثّاني والثالث ، وقالوا : هذا حاديَ عَشَرهم ، وثاني عَشَرهم وهذه الليلةُ الحاديةَ عَشْرَةَ واليومُ الحادي عَشَرَ . وهذا مَقْلوبٌ كجَذَبَ وجَبَذَ .

والوُحْدانُ : جماعةُ الواحِدِ .

وتقول : هو أَحَدُهُم ، وهي إحداهُنّ ، فإذا كانت امرأةٌ مع رِجال لم يستقم أن تقولَ : إحداهم ، ولا أحدهم ، إلا أن تقولَ : هي كأَحَدِهم ، أو هي واحدة منهم .

وتقول : الجلوس والقعود واحد ، وأصحابك وأصحابي واحد .

والمَوْحَد كالمَثْنَى والمَثْلَث ، تقول : جاءوا مَثْنَى ومَثْلَثَ ومَوْحَد ، وجاءوا ثُناءَ وثُلاثَ وأحادَ . والميحادُ كالمِعْشارِ ، وهو جُزءٌ واحد ، كما أنّ المِعْشارَ عُشْرٌ .

والمَواحيدُ : جماعة الميحاد ، ولو رأيت أَكَماتٍ مُنْفَرداتٍ كلّ واحدةٍ بائنةٌ عن الأُخرَى كانت ميحاداً أو مواحيد .

وتقول : ذاكَ أمرٌ لستُ فيه بأوحدَ ، أي : لستُ على حِدَةٍ . والحدة أصلها الواو . [العين : وحد] .

يقولون : واحد الرجلين ، ولزموا أحدا وإحدى في العدد .

ولو استعملوا في أحد وعشرين وإحدى وعشرين واحدا وعشرين وواحدة وعشرين كان جائزا ولكن لما كان باب العدد وباب التعبير لزموا فيه أحدا وإحدى وهما مغيران عن الأصل ، وقالوا : واحد ولم يقولوا في التثنية : واحدان ؛ لأن واحدا اسم لما لا ثاني له ، وقالوا : اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر .

وأحد في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : يعني : الله سبحانه وتعالى ، وهو قوله : ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [سورة البلد آية : ٥] يعني : أن لن يقدر عليه الله ، أو أن يحسب أن لن يقدر الله أن يبعثه .

وكذا قوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [سورة البلد آية : ٧] وأول الآية : ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا﴾ [سورة البلد آية : ٦] أي : أنفقت المال الكثير في وجوه كثيرة ، ومن أحصاه علي فيحاسبني به ، فقال الله : ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أي : لم يره الله .

الثاني : النبي صلى الله عليه وآله ، قال : ﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ [سورة الحشر آية : ١١] يعنون النبي صلى الله عليه ، وكذلك قوله : ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٥٣] يعني : على النبي عليه السلام ؛ لأنه ثبت حين انهزموا فمروا على وجوههم ، ولم يقيموا عليه ، ويجوز أن يكون المعنى أن بعضكم لم يقم على بعض .

الثالث : قوله : ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [سورة الليل آية : ١٩] جاء في التفسير أنه عني بلالا مولى أبي بكر رضي الله عنه وأراد أنه لم تكن لبلال نعمة عند أبي بكر يعتقه من أجلها ، وإنما أعتقه لوجه الله ، ويجوز أن تكون الآية فيه وفي غيره ممن يفعل الخير لا ليد يجازي بها ولكنها لله تعالى .

الآل[1]

أصل الآل من الأول وهو الرجوع ؛ والآل الشخص يرفع في الصحاري للناظر فيراه ليس بشيء ، وسمي آلاء ؛ لأنه يخفى ثم يرجع فيظهر ، وبه سمي شخص الرجل آلاء . والأله الشدة من شدائد الدهر ؛ لأنها تذهب ثم ترجع ، قالت الخنساء :

سَأَحمِلُ نَفْسِي عَلَى آلَــــــةٍ فَــ ــإمَّا عَلَيهَا وَإِمَّا لَهَـــــــا

والآلة : الحالة ؛ لأنها لا تبقى .

والآل ربما جاء بمعنى الأهل ، وبينهما فرق يقال : أهل العلم وأهل البلد ، ولا يقال : آل العلم وآل البلد ، ويقال : أهل الرجل لأقاربه وهم آله أيضا وآله أتباعه ، فكان الآل من جهة القرابة والصحبة ، والأهل من جهة النسب والاختصاص .

وقيل : العرب تقول في تصغير آل : أهيل فهذا يدل على أن أصل الهمزة في آل هاء .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى الأتباع ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُذُرُ﴾ [سورة القمر آية : ٤١] يعني : أتباعه ، والمعنى : جاءته النذر وجاءتهم أيضا ، ومثله : ﴿آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [سورة غافر آية : ٤٦] فاكتفى بذكرهم عن ذكره لدلالته عليه ، ومعلوم أنها إذا جاءتهم لأجل كفرهم وهو كافر مثلهم ، فقد جاء به وهذا من الإيجاز المحمود .

الثاني : أهل بيت الرجل ، قال الله تعالى : ﴿إِلا آلَ لُوطٍ نَجيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [سورة القمر آية : ٣٤] وهذا مثل الأول ؛ لأنه نجاه ونجى أهل بيته فاكتفى بذكر أهل بيته لبيان المعنى ، ومثله : ﴿إِلا آلَ لُوطٍ إِنا لَمُنَجوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر آية : ٥٩] .

---

(١) الفرق بين الآل والشخص : أن الآل هو الشخص الذى يظهر لك من بعيد ، شبه بالآل الذي يرتفع في الصحاري ، وهو غير السراب وإنما السراب سبخة تطلع عليها الشمس فتبرق كأنها ماء ، والآل شخوص ترتفع في الصحاري للناظر وليست بشيء ، وقيل الآل من الشخوص ما لم يشتبه وقال بعضهم " الآل من الاجسام ما طال ولهذا سمي الخشب آلا " . [الفروق اللغوية : ١/٧] .

الثالث : الذرية ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٣] يعني : إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، و : ﴿ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٣] يعني : موسى وهارون ؛ اختارهم على عالمي زمانهم .

والفرق بين الولد والذرية : أن الذرية يقع على أولاد الرجل الذكور والإناث ، وعلى أولاد بنيه وبناته من الذكور والإناث ، والدليل على ذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٤] ثم عد عيسى مع المذكورين ، وولد الرجل هم من ولدهم لا يدخل أولاد البنات فيهم ؛ لأن أولاد البنات منسوبون إلى آبائهم ، قال الشاعر :

بنُونَا بنـــو أبنَائِنَا وبَنَاتِنَا   بَنُوهُنَّ أبنَاءُ الرِّجَالِ الأبَاعِـــدِ

فأما تسميته الحسن والحسين عليهما السلام ولدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك شيء خصا به دون غيرهما تكريما لهما واختصاصا .

obeikandl.com

أوى[1]

أصله الميل ، ومأوى الرجل منزله الذي يميل إليه ويقيم فيه ، أويت أنا وأويت غيري إذا ضممته إليك كأنك أملته إليك بعطفك ورحمتك .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الضم ، قال : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] أي : ضمهما .

الثاني : الانتهاء ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصخْرَةِ ﴾ [سورة الكهف آية : ٦٣] ، وقال : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ [سورة الكهف آية : ١٦] أي : انتهوا ، ويجوز أن يكون أراد الميل في الوجهين ، : ﴿ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ أملناهما ، : ﴿ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصخْرَةِ ﴾ ملنا ، : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ مالوا .والمعين : الماء الطاهر التي تناله العين وهو من قولك : عنته إذا أبصرته واختار لهم الربوة ؛ لأنها أبعد من اللثق وما يكون فيها من الماء والخضرة فهو أحسن والعرب تقول : أحسن من رياض الحزن ، قال الأعشى :

مَا رَوضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشَبَـــــةٌ خَضْرَاء جَارَ عليهَا مِسْبَلٌ هَطْـــــلُ

والحزن : ما ارتفع من الأرض في غلظ .

---

(١) [أوى] : تقول العرب : أوى الإنسان إلى منزله يأوي أُوِيّاً وإواء والأُوِيُّ : أحسن ، وآويتُهُ إيواءً .
والتّآوّي : التّجمّع . . . وتأوّتِ الطَّير ، إذا انضمّ بعضُها إلى بعض ، فهنّ أُوِيٌّ ، ومُتأوّيات قال العجاج : كما تَدانَى الحِدَأُ الأُوِيُّ يصف الأثافي ، وقد شبّه كلّ أثفيةٍ بحِدَأة بوزن فِعَلة .
وتقول : أويت لفلانٍ آوي أويةً وأيّةً ومأويةً ومأواةً إذا رحمته ورثيت له ، قال :

على أمرِ من لم يُشوِني ضَرٌّ أمره *** ولو أنّني استأويتُه ما أوى ليا

وابن آوى : لا يصرف على حال ، ويُحْمَلُ على أفعل مثل : أحْوَى . [العين : أوى] .

الأول[1]

أول كل شيء ما ابتدئ فيه واشتقاقه من الأول ، وهو الرجوع ، كأن كل شيء ترجع صفته إلى ما بدئ منه ، والأول في أسماء الله تعالى بمعنى أنه لا شيء قبله .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : أول من كفر من أهل الكتاب ، وهو قوله : ﴿ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤١] أي : أول من كفر به من أهل الكتاب ؛ لأن قريشا كفروا به قبلهم ، ودلهم هذا على أن جميع من كفر منهم بعد فإنه سببه ويلزمهم مثل وزره .

قال أبو العباس المبرد : أول يضاف إلى ما بعده على وجهين :

أحدهما : أن يكون ما بعده متصلا به .

والآخر : أن يكون مقدرا لذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ إنما قال هذا للمخاطبين ؛ لأنهم قبل غيرهم ممن يلزمهم ما لزمهم فقيل لهم : أنتم أيها المخاطبون لا تكفروا بما سمعتم فيكون بعدكم الكافر والمؤمن فلا تكونوا أول الكفار ، وكافر في موضع الجماعة إذا كانوا واحدا واحدا ، وقبيلا قبيلا ، يقول : كل رجل في الدار فأعطه درهما ، أي : أعطهم رجلا رجلا حتى يعطي كلهم ، ولو قال قائل : أول من يأتني فله درهم فأتاه واحد ولم يأت غيره لوقع عليه اسم الأول ؛ لأنه في التقدير أن يأتي غيره ، ولو قال : آخر رجل يأتيني وآخر عبدا ملكه لم يعلم إلا بعد موته ؛ لأن الأول مقدر لما بعده ، والآخر لا يقع عليه هذا الاسم ، وكذلك إذا قال : أول عبد لي حر فأول عبد يشتريه يعتق ، فإذا قال : آخر عبد لم يعلم ذلك إلا بعد موته .

---

(١)(أ و ل) : (الْأَوَّلُ) الرُّجُوعُ وَقَوْلُهُمْ آلَتْ الضَّرْبَةُ إلَى النَّفْسِ أَيْ رَجَعَتْ إلَى إهْلَاكِهَا يَعْنِي أَدَّى أَثَرُهَا إلَى الْقَتْلِ يُقَالُ طَبَخْتُ النَّبِيذَ حَتَّى آلَ الْمَنَّانِ مَنًّا وَاحِدًا أَيْ صَارَ وَفَعَلْتُ هَذَا عَامًا أَوَّلَ عَلَى الْوَصْفِ وَعَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْإِضَافَةِ وَقَوْلُهُ أَيُّ رَجُلٍ دَخَلَ أَوَّلُ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ كَمَا فِي مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَمَعْنَاهُ دَخَلَ أَوَّلَ كُلِّ أَحَدٍ وَقَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ وَمَوْضِعُهُ بَابُ الْوَاوِ وَأَلِفًا فِي (ف ج) . [المغرب : الهمزة مع الواو] .

الثاني : النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨١] قيل : أول الموحدين لله من أهل زمانه ، ومثله : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الزمر آية : ١٢] أي : ابتدئ بإظهار الإسلام ليتلو في الناس .

الثالث : أول المؤمنين ، أي : أول المؤمنين بذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه أول المؤمنين بهذا وبغيره مما هو من دين الله ليس أنه لم يكن مؤمنا به قبل ذلك وإنما أراد أنه يجدد له إيمان بعد إيمان قبل أن يتجدد ذلك لغيره فهو أول فيه .

الرابع : قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء آية : ٥١] أي : أول المؤمنين من اتباع فرعون ، وقيل : كانوا أول مؤمني أهل دهرهم ، وذلك غلط ؛ لأن موسى وهارون عليهما السلام كانا مؤمنين قبلهم ، وقوله تعالى : ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٠٥] دليل على أن موسى كان قد علم أن من بني إسرائيل من هو مؤمن ، وكان فرعون يتعبدهم فطلب منه إرساله إياه .

obeikandl.com

الاستئناس(١)

أصله طلب الأنس ، والإيناس من الرؤية يفيد الأنس بما يراه المؤنس ، ولهذا لا يقال لله تعالى يؤنس كما يقال : أنه يرى .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الاستئذان ، قال الله تعالى : ﴿حَتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [سورة النور آية : ٢٧] ونسق التلاوة يدل على أنه أراد الاستئذان ، وهو قوله : ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة النور آية : ٥٩] .

وقرأ ابن عباس رحمه الله : ﴿حَتَّى تستأذِنُوا﴾ ، وقال : غلط الكاتب وإنما سمي استئذانهم استئناسا ؛ لأنهم إذا استأنسوا أنس بعضهم ببعض .

---

(١) الأنَس : جَمَاعَةُ النَّاسِ ، وهُمُ الإنِسُ . والانَاسُ : جَمَاعَةُ النّاسِ ؛ وجَمْعُ الإنسِ أيضاً - بمنزلَةِ إجْلٍ وآجَالٍ - .
وقيل : سُميَ الإنسانُ إنْسَاناً لظُهُوْرهم وإدراكِ البَصَرِ إيّاهم ، وهو فِعْلاَن ، ويُصَغرُ : أُنَيسِيَانٌ وأنَيْسِيَّنٌ .
ويقولون : هذه إنْسَانَةٌ للمَرْأةِ . وطَيِّءٌ تقولُ في الإنسا نِ : إيْسَانٌ - بالياء - ، ويُجْمَعُ أياسِيْنَ .
وقَوْلُه عَزَ وجَل : " ياسِيْنُ والقُرآنِ الحَكِيمِ " يُرِيْدُ : يا إنْسَان . وقَوْلُه : " يا أَيُها الإنْسَانُ ما غَرَّكَ " أي يا أيُّها الناسُ ، يُقال : ما هو مِنَ الإنْسَانِ : أيْ مِنَ النّاسِ . وتَأنسَتِ الأرْضُ : نَبَتَتْ .
وفي المَثَل الخاص بأخِيْه قَوْلُهُم : " فلانٌ ابنُ أُنسِ فلانٍ " . والإنسَانُ : الأنمُلَةُ . إنْسِيُ القَدَمِ : ما أقْبَلَ عَلَيْكَ .
وإنْسِي الإنْسَانِ : شِقُه الأيْسَرُ . والأنَسُ : الاسْتِئْنَاسُ والتَّأَنُّسُ ، وقد أَنِسْتُ بفلانٍ وأنَسْتُ به - بفَتحِ النُّوْنِ -
والآنِسَةُ : الجارِيَةُ الطَّيِّبَةُ النَفْسِ التي تُحِب حَدِيْثَها . ويقولون : كَيْفَ أُنْسُكَ وإنْسُكَ ، و " كَيْفَ تَرى ابْنَ أُنسِكَ " أي نَفْسَك ، وقيل : هو خاصتُه وخَلِيْلُه . ويُقال للسلاحِ : المُؤْنِسَاتُ ؛ لأنَ الرَّجُلَ يَسْتَأْنِسُ بسلَاحِه .
وآنَسْتُ فَزَعاً وشَخْصاً وضعفاً من مَكانٍ : أي رَأيْتُ . وكذلك آنَسْتُ : إذا أحْسَسْت شَيْئاً .
والبازِيُ يَتَأنسُ : إذا جَلّى ونَظَرَ رافِعاً رَأسَه . والأنِيْسَةُ : النّارُ ؛ لأنَّها آنَسُ الأشْياءِ ، وقيل : هو من أنها تُؤْنَسُ أي تبصر .
ومَوْضِعٌ مَأْنُوسٌ : فيه إنْسٌ والاسْتِئْناسُ : الاسْتِئْذَانُ . وتَأَنَّسَ للشيْءِ : إذا تَسَمعَ له . [المحيط في الغة : ٢/ ٢٧٩] .

وفي قوله تعالى : ﴿ حَتى تَسْتَأْنِسُوا ﴾ جواز الدخول بعد الاستئذان وإن لم يكن صاحب الدار أذن ، ولذلك قال مجاهد : هو التنحم والتنحنح كأنه أراد أن يعلمهم بدخوله .

وهذا الحكم ثابت فيمن جرت عادته بالدخول من غير إذن ومعلوم أن الإذن مشروط في إباحة الدخول ، ويدل عليه أيضا قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتى يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٢٨] فحظر الدخول إلا بالإذن .

الثاني : طلب الأنس بالحديث ، قال الله تعالى : ﴿ وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٣] ، وقال عمر رضي الله عنه : أأستأنس يا رسول الله ، فقال له : استأنس يعني : استئناس الحديث .

ومستأنسين نصب على الحال من محذوف ، أي : فلا تدخلوها مستأنسين أو لا تجلسوا بعد الفراغ من الأكل ، وقيل : موضعه خفض مستأنسين على اتباع : ﴿ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ .

الآية[1]

أصل الآية العلامة الثابتة من قولك : تأييت بالمكان إذا أقمت به وثبت فيه ، ومن ثم يقال : لأجعلنك آية ، أي : علامة ، وسميت الآية من القرآن آية ؛ لأنها بمفارقتها كلام البشر علامة على صدق الدعوة ، وقيل : الآية جماعة حروف من قولهم : خرج القوم على آيتهم أي : بجماعتهم .

وهي في القرآن على وجهين :

الأول : العبرة ، قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] أي : عبرة يعتبر بها ، وتكون علامة لصدقه وشاهدا على أن الله تعالى قادر على ما يريده ، ويجوز أن يكون قولهم : لأجعلنك آية من ذلك أي : عبرة ، ومثله : ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٥] ولم يقل : وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين ؛ لأن الأمر فيهما يؤول إلى شيء واحد .

الثاني : العلامة ، قال : ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [سورة يس آية : ٤١] ، وقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة الروم آية : ٢٥] ، وقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة الشورى آية : ٢٩ ، الروم :

---

(١) الآيَةُ : العَلامَةُ ، وجَمْعُها آيٌ ثُمَّ آياتٌ . والجَماعَةُ من النّاسِ ، وخَرَجَ القَوْمُ بآيَتِهم . والغَايَةُ . والآياتُ من القُرْآنِ ، والجَمِيعُ الآيُ ، وآيَةٌ مُؤَيَاةٌ وقد أُيِيْتَ ، وسُمِّيَتْ آيَةً لأنَّها عَلامَةٌ لانْقِطاعِ الكلامِ ، وقيل : لأنَّها عَجَبٌ ، وإذا أَضَفْتَ إلى آيَةٍ قُلْتَ : آوِيٌّ وآيِيٌّ .

وآيَةُ الرَّجُلِ : شَخْصُه ، يُقال : تَأَيَّيْتُ آيَتَه : أي تَعَمَّدْت شَخْصَه .

وآيُ الدّارِ : عَلامَاتُها .

والآءُ : الواحِدَةُ آءَةٌ شَجَرَةٌ لها حَمْلٌ تَأْكُلُه النَّعَامُ ، وثَمَرَتُها الآءُ ، وتَصْغِيرُها أُوَيْآةٌ بوَزْنِ عُوَيْعَةٍ . وأَرْضٌ مَآءَةٌ على مَفْعَلَةٍ .

والتَّأَيِّي : التَّنَظُّرُ والتُّؤَدَةُ ، تَأَيَّا الرَّجُلُ يَتَأَيَّا ، ولَيْسَتْ بِدَارِتَئِيَّةٍ : أي انْتِظَارٍ للمَقَامِ بها .

وتَأَيَيْتُ بالمَدِّ : تَعَمَّدْت .

وتَأَيَيْتُ القَوْمَ : لَحِقْتُهم وأَدْرَكْتُهم وتَلاَقَيْتُهم .

وتَأَيَّيْتُ الأَثَرَ : الْتَمَسْته وتَعَرَّفْته .

وأَيَايَا : في الزَّجْرِ ، أَيَّيْتُ بالإِبِلِ أُيَيِّي تَأْيِيَةً ، وأَيَا يُؤَيِّي تَأْيِيَةً . [المحيط في اللغة : ٢/ ٤٩٠] .

٢٢] ، وقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾[1] [سورة الروم آية : ٢١] أي : ومن العلامات على ربوبيته .

والوجهان متقاربان يصلح استعمال أحدهما في موضع الآخر ، وإنما أوردناهما على حسب ما جاء في التفسير .

(١) قال الشوكاني : ﴿والله جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ قال المفسرون : يعني النساء فإنه خلق حوّاء من ضلع آدم . أو المعنى : خلق لكم من جنسكم أزواجاً لتستأنسوا بها ، لأن الجنس يأنس إلى جنسه ، ويستوحش من غير جنسه ، وبسبب هذه الأنسة يقع بين الرجال والنساء ما هو سبب للنسل الذي هو المقصود بالزواج ، ولهذا قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أزواجكم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ . [فتح القدير : ٤/٢٤٢] .

obeikandl.com

الآخرة

سميت الآخرة آخرة ؛ لأن الدنيا تؤدي إليها ، وآخر الشيء خلاف أوله ، فأوله ما بدئ منه وآخره ما ينقطع عند تمامه .

وقد يجوز مع ذلك أن يجعل أول الشيء آخره ، وآخر الشيء أوله إذ قدر غير التقدير الأول ، وقد استقصينا ذلك في كتاب الفرق .

وآخر الشيء منه كما أن أوله منه ، وليست الآخرة من الدنيا على أنه لولا الدنيا لم يقل آخره ، وأنثت الآخرة على تأنيث الدار .

وهي في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿وإِن الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٠ ، المؤمنون : ٧٤] يعني : القيامة .

الثاني : الجنة بعينها ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] أي : ما لهم في الجنة من نصيب ، والخلاق النصيب وسمي خلاقا ؛ لأنه قدر لصاحبه ، وأصل الخلق التقدير وسنذكره ، وقال تعالى : ﴿وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبكَ لِلْمُتقِينَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٥] ، وقال : ﴿تِلْكَ الدارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ [سورة القصص آية : ٨٣] ، ونظير الأول قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [سورة الشورى آية : ٢٠] .

الثالث : جهنم خاصة ، قال : ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِهِ﴾ [سورة الزمر آية : ٩] أي : يحذر جهنم .

الرابع : قوله تعالى : ﴿يُثَبتُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٧] وجاء في التفسير أنه أراد القبر حين يأتيه منكر ونكير ، ويجوز أن يكون معناه القيامة يثبته الله فيها على الصراط .

الخامس : قوله تعالى : ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾[1] [سورة ص آية : ٧] وهي ملة عيسى عليه السلام ، كذا قيل ، ويجوز عندنا أن يكون معناه : ما سمعنا أن مثل ما تأتي به يكون في آخر الزمان .

obeikandl.com

---

(١) قال ابن الجوزي : ﴿في المِلَّة الآخِرةِ﴾ وفيها ثلاثة أقوال :

أحدها : النصرانية ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وإبراهيم بن المهاجر عن مجاهد ، وبه قال محمد بن كعب القرظي ، ومقاتل .

والثاني : أنها مِلَّة قريش ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وبه قال قتادة .

والثالث : اليهودية والنصرانية ، قاله الفراء ، والزجاج ؛ والمعنى أن اليهود أشركت بعُزَير ، والنصارى قالت : ثالث ثلاثة ، فلهذا أنكَرَتِ التوحيدَ . [زاد المسير : ٥/٢٢٧] .

الأخ[1]

أصل الأخ أخو على وزن فعل ، ودليل ذلك أنك تقول في التثنية أخوان ، وكذلك الأب ؛ لأنك تقول في تثنيته أبوان .

قال المبرد : إنما حذفوا الواو من أخ علامة للتضمين ، ومعنى التضمين عندنا أنك إذا قلت : أخ فقد ضمنت شيئا معلوما وهو أخ آخر ، وكذلك إذا قلت : أب وابن وليس كذلك في مثل قولك : رأس ؛ لأنك إذا قلت : رأس جاز أن تريد رأس عصا ورأس رجل ورأس بقرة ، وليس يدل قولك : رأس على شيء بعينه ، والمضمون في قولك : أخ وابن معلوم ، وأصل اشتقاق الأخ من القصد ، ومن ثم قيل : توخيت الشيء إذا قصدته وأصله تأخيت

---

(١) الأخ ، وكان أصل تأليف بنائه على بناء فعل بثلاث حركات ، وكذلك : الأب ، فاستثقلوا ذلك وفيها ثلاثة أشياء : حرف وصوت وصرف ، فربما ألقوا الواو والياء لصرفها وابقوا منها الصوت فاعتمد الصوت على حركة ما قبله فإذا كانتِ الحركة فتحةٌ صار الصوت معها ألفاً ليفة ، وإن كانت ضمة صار معها واو لينة ، وإن كانت كسرةً صار معها ياءٌ لينةً ، فاعتمد صوت واو الأخ على فتحةٍ فصار معها ألفاً لينة : أخا ، وكذلك أبا كألف رمى وغزا ونحوهما .

ثم ألقوا الألفَ استخفافاً لكثرة استعمالهم إياها وبقيت الخاء على حركتها فَجَرَتْ على وجوه النحو لقصر الأسم .

فإذا لم يُضيفوه قَوَّوْه بالتنوين ، وإذا أضافُوه لم يحسن التنوين فقوَّوْه بالمد في حالات الإضافة ، فإذا ثنوا قالوا أَخَوان وأَبَوان ، لأن الأسم متحرك الحشو فلو تصر حركته خلفاً من الواو والساقطة كما صارت حركة الدالِ في اليد ، وحركة الميم فيْ الدم ، فقالوا يدانِ ودمانِ ، لأن حشوهما ساكن فصار تحرك الدال والميم خلفاً من الحرف الساقط ، فقالوا : دَمان ويدان ، وجاء في الشعر دميان ، قال :

فلو أنّا على حَجَر ذَبَحنا *** جَرَى الدَّمَيان بِالخَبَرِ اليَقينِ

وإنما قالوا : دَمَيان على الدِّماء كقولك : دَمِيَ وَجْهُ فلانٍ أشد الدِّماء ، فحرك الحشو ، وكذلك قالوا إخوان ، وهم الإخوةُ إذا كانوا لأبٍ ، وهم الإخوانُ إذا لم يكونوا لأبٍ . وفي القرآن : " فأصلحوا بينَ أَخَوَيْكُم " .

والتَّآخي : اتِّخاذُ الأخَوانِ بينهما إخاءً وأُخُوَّةً .

والأُخْتُ : كانَ حَدُّها أَخَة والأعرابُ على الهاء والخاء في موضع الرفعِ ولكنها انفتحت لحال هاء التأنيث ، لأنها لا تعتمد إلا على حرفٍ متحركٍ بالفتحة ، وأسكنت الخاء فحول صرفها على الألف ، وصارت الهاء تاء كانها من أصلِ الكلمة ، ووقع الإعراب على التاء ، وألزمت الضمة التي كانت في الخاء الألف ، وكذلك نحو ذلك .

أخخ : أخّ : فارسيةٌ يتوجع بها عند التوجع من شيء . [العين : الخاء والقاف] .

الشيء وتأخيت أخا للفرق بين المعنيين ، ويجوز أن يكون توخيت الشيء مأخوذا من الوحي ، وهو الطريق القاصد وهذا أجود الوجهين .

وهو في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الأخ من الأب والأم ، قال : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٠] ، وقال : ﴿فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [سورة المائدة آية : ٣١] ونحوه كثير ، وسماها سوأة ؛ لأنها جيفة .

الثاني : الأخ في النسب ، قال الله تعالى : ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [سورة الأعراف آية : ٦٥] ، وقوله : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[سورة الأعراف آية : ٧٣] ، وقوله : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٥] ، وقال : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] فإن قيل : فلم سمي ولي الدم أخا القاتل في هذه الآية ، والقاتل فاسق والفاسق لا يكون أخا لمؤمن ، قلنا : سماه بذلك كما سمي هودا أخا عاد ، والقوم إذا كانوا من جيل واحد وقبيلة واحدة سموا أخوة ؛ لأنهم ينتهون إلى أب واحد قريب أو بعيد ، وسنفسر هذه الآية فيما بعد إن شاء الله .

الثالث : الأخ في الكفر والشرك ، قال الله : ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾[1] [سورة الأعراف آية : ٢٠٢] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٢٧] ، ونحوه : ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٨] .

---

(١) قال الخازن : ﴿وإخوانهم﴾ يعني وإخوان الشياطين من المشركين ﴿يمدونهم﴾ أي يمدهم الشياطين ﴿في الغي﴾ قال الكلبي لكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أي يطيلون لهم في الإغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم في الضلالة ﴿ثم لا يقصرون﴾ يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لأن المؤمن إذا أصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي . وقال ابن عباس : لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الإنس والشياطين جميعاً . [لباب التأويل : ٣/ ١٥٠] .

الرابع : الأخ في الإسلام ، قال : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات آية : ١٠] ، وقال : ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [سورة آل عمران آية : ١٠٣] .

الخامس : الأخ في المودة ، قال في وصف أهل الجنة : ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٧] .

السادس : الأخ بمعنى الصاحب ، قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [سورة ص آية : ٢٣] ، وقوله : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [سورة الحجرات آية : ١٢] أي : لحم صاحبه .

ويجوز أن يكون معناه الأخ في الدين ، فجعل الغيبة أكل اللحم ، قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال : "ذكر أخيك بما يكره" ، قال : قلت : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته "[1] .

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٢٥٩١) ، وأخرجه الترمذي أيضا (١٩٣٤) ، وأخرجه أبو داود (٤٨٧٤) ، وأخرجه أحمد (٨٧٥٩) ، وأخرجه الدارمي (٢٧١٤) .

الإثم[1]

الإثم عند العرب الذنب ، وسميت الخمر إثما لأنها توقع في الذنوب ، ويقال : أثم فهو آثم وأثيم مبالغة كما تقول : علم فهو عالم وعليم مبالغة .

وقال ابن السكيت : إن الإثم في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] يعني : به : الخمر ، وأنشد :

شَرِبتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَـــلَّ عَقْلِي كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُـــــولِ

وجاء في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الكذب ، قال تعالى : ﴿ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الربانِيونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٦٣] أي : الكذب بأن عزيرا ابن الله وأن يد الله مغلولة .

الثاني : المعصية ، قال الله تعالى : ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] أي : مائل إلى المعصية ، والجنف الميل .

وقال بعض الفقهاء : الإثم أن يأكل منه أكثر مما يحتاج إليه لسد جوعه ، وقال غيره : له أن يأكل منه ما يريد ويتزوده فإذا استغنى عنه طرحه ، والضرورة المذكورة في الآية تدفع ذلك ، والأول قول أصحابنا .

وقال : ﴿ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] ولا يكون البغي إلا بالحق ، وإنما هو مثل قولك : بغى علي ظلما ، ولا يجوز أن يبغي عليه عدلا ، وإنما هو تأكيد في الكلام .

---

(١) [أثم] : أَثِمَ : وَقَعَ في الإِثْمِ . وتَأَثَّمَ : تَحَرَّجَ منه وكَفَّ عنه . والأَثَامُ : عُقُوبَةُ الإِثْمِ ، والآثَامُ جَمْعُه . وفلانٌ مُؤْثِمٌ : أي ادَّعى الإِثْمَ . والأَثِيمُ والأَثِيمَةُ : في كَثْرَةِ رُكُوبِ الإِثْمِ . والآثِمُ : الفاعِلُ . ويَقُولُونَ : لا يَأْثِمُني اللهُ في كذا ولا يُؤْثِمُني بمَعْنىً واحِدٍ : أي لا يَجْزِيني الأَثَامَ .
والإِثْمُ : من أَسْماءِ الخَمْرِ ؛ في قَوْلِه عَزَّ وجَلَّ : " ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ والإِثْمَ " .
والمُؤَاثِمُ : الذي يَكْذِبُ في السَّيْرِ . [المحيط في اللغة : ٢/ ٤٢٤] .

وقال تعالى : ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[سورة المائدة آية : ٢] هو الإثم وكذلك البغي .

وإنما كرر المعنى بغير لفظه أراد التأكيد على ما بيننا ، ومثله : ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾[سورة الأنعام آية : ١٢٠] يعني : ظاهر المعصية وباطنها .

وقال بعضهم : أراد الزنا وليس له أن يقصره على الزنا وحده إلا بدليل ولدليل فإن كان ما روي أن العرب كانت تحل الزنا باطنا وتحرمه ظاهرا فأخبر الله تعالى بأن ذلك كله محرم صحيحا فهو الدليل .

الثالث : الحرج والضيق ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ تَعَجلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[سورة البقرة آية : ٢٠٣] أي : إن نفر الحاج من مكة اليوم الأول من أيام التشريق أو الثاني أو تأخر بمنى إلى اليوم الثالث فلا حرج عليه : ﴿لِمَنِ اتقَى﴾ أي : لمن توخى التقوى .

وهذا دليل على أن أعمال البر لا تنفع إلا مع الإيمان والتقوى والإثم الحرام ، قال الله تعالى : ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[سورة النساء آية : ٢٠] أي : حراما بينا ، والبهتان : الباطل الذي يتحير في بطلانه ، وأصله من قولهم : بهت الرجل إذا تحير ، وقال الله : ﴿فَبُهِتَ الذِي كَفَرَ﴾[سورة البقرة آية : ٢٥٨] .

الرابع : قوله تعالى : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾[سورة البقرة آية : ١٨٢] جاء في بعض التفسير أنه أراد بالإثم الخطأ ، وقيل : الجنف هاهنا الخطأ ، وقيل : المعنى من علم من الموصي ميلا إلى ما هو إثم وجور في الوصية مما يعود بالضر على ورثته فسبيله أن يصلح بينه وبينهم حتى يرجع أمرهم إلى السداد ، ولما قال : ﴿جَنَفًا﴾ دل على معدول عنه ومعدول إليه ، وهم الموصي والورثة ، فقال تعالى : ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾[سورة البقرة آية : ١٨٢]

والفرق بين الجنف والحيف : أن الجنف هو العدول عن الحق والحيف الحمل على الشيء حتى تنقصه ، وتحيفت الشيء تنقصته من حافاته[1] .

فإن قيل : لم قال : ﴿ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٢] وهو محسن ؟ قلنا : لأن المتوسط من أنهن لا يعدم أن ينقص أحدهما بعض حقه الذي في ذلك من الصلاح ، والصلح لا يكون إلا كذلك فبين أنه لا إثم عليه في النقصان والزيادة .

(١) الجَنَف : المَيلُ في الكلام ، وفي الأمور كُلِّها ، تقول : جَنَفَ فلانٌ علينا ، وأجنَفَ في حُكمه ، وهو شبيهٌ بالحَيفِ ، إلا أنَّ الحَيفَ من الحاكِم خاصَّةً ، والجَنَفُ عامٌ . ومنه قول اللهُ عز وجلَّ : " فمن خافَ من مُوصٍ جَنَفاً" . وقوله جلَّ وعزَّ " " غيرُ مُتجايفٍ لإثمٍ ، أي مُتمايلٍ مُتعمدٍ " . [العين : الجنف] .

obeikandl.com

أنى[1]

يكون على وجهين :

يكون بمعنى كيف في قوله تعالى : ﴿أنى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[سورة البقرة آية : ٢٥٩] أي : كيف يحييها ؟ ! ، وقوله : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أنى شِئْتُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢٢٣] إلا أنه في القبل لقوله : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ ، ولقوله : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٣] إذ لا تعبر عن الدبر بالحرث ، ويكون المعنى من أين في قولك : أنى لك هذا ، أي : من أين لك هذا ، وقوله : ﴿أنى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾[سورة الأنعام آية : ١٠١] ، وقوله : ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أنى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٠] .

والمعنيان متقاربان يجوز أن يتأول كل واحد منهما على ما يتأول عليه الآخر .

قال الكميت :

أَنَّى ومِنْ أينَ آبَكِ الطَّـــــرَبَ   مِنْ حيثُ لا صَبْـــــوَة ولا رَيْبَ

فجاء بالمعنيين .

(١) " أَنَّى " بمعنى " كَيْفَ " كقوله جلّ ثناؤه : " أَنَّى يُحيي هذهِ اللهُ ؟ " .
وتكون بمعنى : " مِنْ أينَ " كقوله : " أَنَّى يكون لَهُ ولد ؟ " أي من أين . والأَجْودُ أن يقال فِي هَذَا أيضاً كَيْفَ . قال الكميت :

أَنَّى ومن أَيْنَ آبَكَ الطربُ *** من حَيْثُ لا صَبْوةٌ ولا رِيَبُ

فجاء بالمعنيين جميعاً . [الصاحبي في فقه اللغة : باب أنى] .

obeikandl.com

أو

قالوا : تجيء في القرآن على ثلاثة أوجه ، وتأتي في غير القرآن للشك تقول : رأيت عبد الله أو محمدا ، أو تكون للتخيير بين الشيئين كقوله : ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٨٩] ، وقوله : ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٦] .

قالوا : وتجيء بمعنى واو النسق ، قال الله : ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [سورة المرسلات آية : ٥ ، ٦] ، وقوله : ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان آية : ٢٤] ، وليس كذلك .

قال المبرد : أصل أو في الكلام واحد ثم تنقسم قسمين التخيير والإباحة ، والتخيير قولك : خذ مني دينارا أو ثوبا فإنه وفاء بحقك وليس لك أن تأخذهما ، وقولك : اضرب زيدا أو عمرا أي : كل واحد منهما أهل أن يضرب وأنت مخير في واحد لا تزيد عليه ، وكذلك إذا شك المخير فقال : جاءني زيد وعمرو ولم يرد أنهما جاءه إلا أنه يعلم أن أحدهما جاء فهذا باب واحد .

والإباحة قولك : جالس زيدا أو عمرا أو خالدا وارو عن الحسن أو ابن سيرين ، أي : جالس هذا الضرب وارو عن هذا الضرب من الناس ، وإذا جالس واحدا منهم أو جالسهم جميعا فقد أطاعني ؛ لأني أردت هذا الضرب ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ولو قال : وكفورا فأطاع أحدهما ولم يطع الآخر لم يكن عاصيا ، وإذا قال : أو كفورا صار كل واحد منهما لا يطاع على حياله ، وأما قوله : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ فمعناه أن الْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا تجمع بين الإعذار والإنذار فتعذر في وقت وتنذر في وقت كما نقول : جاءني زيد وعمرو فتعلم بذلك أن كل واحد يجوز أن يجيء إلا أن قصدي في هذه الحال واحد منهما ﴿عُرْفًا﴾ [سورة المرسلات آية : ١] أي : تباعا بعرف الفرس ، و : ﴿الْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة ، وقيل : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ جمع عذير ونذير ، قال حاتم :

وقدْ عَذَرَتْني في طِلَابِكُمُ العُذْرُ

قال : وتقول في الاستفهام : أتأخذ دينارا أو ثوبا ، وليس معناه أن يلزمه أحدهما ، ولكن معناه أتأخذ هذين ؟ فجواب هذا لا أو نعم ، ولو أراد أن يلزمه واحدا لا محالة ، يقال : أتأخذ دينارا أو درهما فجواب هذا لا يكون لا ولا نعم ، ولكن تقول : دينارا أو درهما ، وتقول : لا دينارا آخذ ولا درهما ، وتكون أو بمعنى بل في قول الفراء وأبي عبيدة قال : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٧] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ الساعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [سورة النحل آية : ٧٧] ، وقوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [سورة النجم آية : ٩] ، وأنشد شاهدا على ما تقدم :

قَضَى عنكُما شَهْـــــرَينِ أو نِصْفَ ثَا لِثٍ إلى ذَاكَ مَا قدْ غَيَّبْتَنِي غِيابِيـــــا

أي : ونصف ثالث لا يجوز هاهنا بل وكذلك في قوله : ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ ، وقيل : ﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ أي : أو يزيدون في تقديركم إذ رآهم رائي ، قال هولا : ﴿ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ فهذا هو القول ؛ لأنه على أصل ، أو وكذلك قوله : ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [سورة النحل آية ٧٧] أي : لو رأى الرائي قدرة الله على إماتة الخلق وإحيائهم ، لقال : وذلك يكون في قدر لمح البصر أو أقل ، والساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم وليس يذكر أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر .

وكذلك يقال : أو أدنى أقل عندكم لو رأيتموه لقلتم أنه كذلك ، والمراد أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب أن يرى جبريل صلوات الله عليه على صورته الحقيقية ، وكان يهبط للوحي على صورة رجل فاستوى جبريل في الأفق على صورته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ ثُم دَنَا فَتَدَلى ﴾ [سورة النجم آية : ٨] جبريل فصار بينه وبين النبي صلوات الله عليهما القدر المذكور .

والمراد أنه دنا فتدلى فزاد قربا ، وقيل : دنا فتدلى أي : تدلى فدنا على القلب ، وهو في كلامهم واسع .

أم[1]

إذا قلت : أزيد في الدار أم عمرو ؟ فأنت لا تدري أيهما في الدار ، ولا تدري أن أحدهما فيها أو لا ، ويصلح في جوابه لا ونعم ؛ لأنك تسأل عن الكينونة هل حصلت في الدار أم لا فإذا علمت أن أحدهما في الدار ولست تدري أيهما هو قلت : أزيد في الدار أم عمرو ، ولا يصلح في جوابه لا ولا نعم ؛ لأنك تسأل عن أحد الكائنين ففيه معنى أيهما .

قيل : وأم في القرآن على وجهين :

الأول : يكون بمعنى أو ، قال الله تعالى : ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٩] . وقوله تعالى : ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [سورة الملك آية : ١٧] .

قال بعض أهل العربية : هي في هذين الموضعين بمعنى أو ، والمراد التحذير ، أي : لا تأمنوا ذلك واحذروه ما دمتم على الشرك .

الثاني : مجيئه بمعنى ألف الاستفهام ، قال الله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، والاستفهام هاهنا بمعنى النهي ، وقال الله تعالى : ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾[سورة الطور آية : ٣٩] أراد له البنات ، وهذا الاستفهام بمعنى الزجر والتبكيت ، قال : وليس من هذا : ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾ [سورة ص آية : ٦٣] فإن قيل : لم سوى بين السخري وبين زاغت الأبصار عنهم ؟ ، قلنا : لأن المعنى أظلمناهم بما قلنا فيهم وبما سخرنا منهم أم هم مستحقون له وقد زاغت أبصارنا عنهم وهم في النار ، فهذا حق التسوية .

والصحيح في هذه الآيات أنه لما جاء بلفظ الاستفهام في أول الكلام جاء بأم بعده لأنه للاستفهام ، والمراد بالاستفهام فيها التبكيت أو التعريف والتوقيف على ما ذكرناه ، وقال :

---

(١)" أَمْ " : حَرْفٌ في مَعْنى " أَوْ " ، ويكونُ في المَعْنى كأَنَّه اسْتِفْهَامٌ بَعْدَ اسْتِفْهَامٍ . ويكونُ في مَعْنى " بَلْ " . ويقولونَ : أَمْ عِنْدَكَ غَدَاءٌ حاضِرٌ : وأَنْتَ تُرِيْدُ : أَعِنْدَكَ ؟ . ويكونُ مُبْتَدَأَ الكَلاَمِ في الخَبَرِ . ويكونُ زائداً كقَوْلِكَ : جاءَكَ أَمْ زَيْدٌ : مَعْنَاه جاءَكَ زَيْدٌ . [المحيط في اللغة : ما أوله الألف] .

﴿الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَب الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَق مِنْ رَبكَ﴾ [سورة السجدة آية : ١ – ٣] ، ولم يتقدم في الكلام أيقولون كذا فنرد عليه أم يقولون ، وقيل : إنما أراد أيقولون افتراه ، والصحيح أن أم هاهنا بمعنى بل فرد قولهم ، ثم قال : ﴿هُوَ الْحَق﴾ .

قال المبرد : لأم موضعان ، وكلاهما استفهام ، فأحدهما : أن تسأل عن شيء من شيئين أو أكثر من ذلك تدعي من الاثنين والجميع واحدا ولا تدري أيهما هو وذلك قولك : أزيد في الدار أم عمرو ، وأزيد أفضل أم خالد ، وعبد الله عندك أم عمرو وأنت الآن مدع أن أحدهما عنده ولا تدري أيهما هو ، ولا يصلح في جوابه لا ولا نعم على ما تقدم قبل ، وإنما جوابه أن تقول : فلان عندي أو تقول : كلاهما عندي ، أو تقول : لا زيد عندي ولا عمرو فإذا قلت : ليت شعري أزيد في الدار أم عمرو فإنما أخبرت أنهما قد استويا عندك في الكون هناك ، وكذلك قولك : لا أبالي عمرا ضربت أم زيدا وسواء ذلك علي إن أدبر زيد أم أقبل .

وكل هذا تسوية وعلم في تقديره أنه سيقع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَد خَلْقًا أَمِ السمَاءُ بناهَا﴾ [سورة النازعات آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبعٍ﴾[سورة الدخان آية : ٣٧] خرج مخرج التوقيف والتوبيخ ، قال : واعتبر هذا يأتي فإنها تكون لأحد شيئين أو لأحد أشياء تقول : ما أبالي أي : ذلك كان وسواء علي أي : ذلك كان ، وعلمت أي : ذلك كان ، وأتى غير عامل فيها ما قبلها وإنما هي كقولك قد علمت أزيد في الدار أم عمرو .

وإذا قلت : أيهما في الدار فمعناه هذا أم هذا فمن ذلك قوله تعالى : ﴿أي : الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [سورة الكهف آية : ١٢] ، وأما قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أي مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[سورة الشعراء آية : ٢٢٧] فأي منصوبة بينقلبون ، كما يقول : علمت أيهم في الدار .

والوجه الثاني : أن أم تجيء للإضراب عن الشيء إلى الشيء فتكون منقطعة عما قبلها خبرا كان أو استفهاما وذلك يكون لوجهين :

أحدهما : الشك .

والآخر : ترك خبر إلى خبر من غير شك أو غلط ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ ، وقوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، وقوله : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا﴾[سورة الطور آية : ٣٢] وقوله : ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾[سورة الطور آية : ٤٠] ، وقوله : ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِما يَخْلُقُ بناتٍ وَأَصْفَاكُمْ﴾[سورة الزخرف آية : ١٦] ، وفي هذه الوجوه ومع ما ذكرنا أنه يترك خبرا إلى خبر آخر معنى التوبيخ والتوقيف .

ومثله قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة فصلت آية : ٤٠] .

ومثله قولك للرجل : السعادة خير أم الشقاء ، وإنما يراد بذلك التنبيه على ترك اختيار ما يصيره إلى الشقاء .

الإذن(١)

أصله من العلم ، أذنت الشيء إذا علمته ، وآذنته غيري أي : أعلمته ، وفي القرآن : ﴿ فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾[سورة الأنبياء آية : ١٠٩] ، ثم استعمل في الاستفهام لما يقع من الاستماع من العلم ، أذن له إذا استمع له ، قال الشاعر وهو عدي بن زيد :

وسَماعٍ يَأْذَنُ الشيْخُ لَـــــهُ وحديثٍ مثلِ ماذِيٍّ مُشَـــارْ

ومن الأول : الآذان ؛ لأنه إعلام بالصلاة .

وهو في القرآن على وجهين :

---

(١) أذن : الأُذُنُ : مَوْضِعُ السَّمْعِ . وأَذَنْتُه أَذْناً : ضَرَبْت أُذُنَه . ورَجُلٌ أُذُنٌ وامْرَأَةٌ كذلك : إذا اسْتَمَعَ من كُلِّ أَحَدٍ .
والأُذُنُ : عُرْوَةُ الكُوْزِ ونَحْوِه . وسُمِعَ من العَرَبِ : أُذُنَةٌ ؛ في الأُذُنِ .
ورَجُلٌ أُذَانِيٌّ : عَظِيْمُ الأُذُنِ . وكَبْشٌ آذَنُ ونَعْجَةٌ أَذْنَاءُ .
وفي القَلْبِ أُذُنَانِ : وهُما زَنَمَتَانِ في أعْلاه . وجاءَ ناشِراً أُذُنَيْه : إذا جاءَ طامِعاً .
وفي مَثَلٍ : " أنَا أعْرِفُ الأرْنَبَ وأُذُنَيْها " .
والأَذَنُ : مَصْدَرُ قَوْلِكَ أَذِنْتُ للشَّيْءِ أَذَناً : إذا تَسَمَّعْتَ له وأصْغَيْتَ إليه .
وأذِنْتُ أيضاً : عَلِمْتُ ، وما آذَنَني : أي ما أعْلَمَني ، وفَعَلَه بأذْني .
وإذا أذِنْتَ له في الدُّخُوْلِ ، والآذِنُ : الحاجِبُ .
والأَذَانُ : اسْمُ التَّأْذِيْنِ . والمِئْذَنَةُ : المَنَارَةُ .
والتَّأَذُّنُ : من قَوْلِكَ لأَفْعَلَنَّ كذا ، من قَوْلِهِ عَزَّ وجَلَّ : " وإذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُم " .
والأَذَنَةُ : نَسْلُ المالِ وصِغَارُ الماشِيَةِ والصِّبْيَانُ ما داموا يَرْضَعُوْنَ .
وأَذَنَةٌ من ثُمام : غَضُّ النَّبْتَةِ .
وفي المَثَلِ : " لِكُلِّ جابِهٍ جَوْزَةٌ ثُمَّ يُؤْذَنُ " أي يُمْنَعُ ، ويُرْوى : يُؤَذَّنُ .
وتَأَذَّنَ القَوْمُ بإرْسَالِ إبِلِهم : أي تَكَلَّمُوا به ، وهو التَّأْذِيْنُ . وآذَنُوا به أيضاً .
وكُلُّ مَنْ تَقَدَّمَ : فَقَدْ تَأَذَّنَ . والأَذِيْنُ : الزَّعِيْمُ . وأُذَيْنَةُ : اسْمُ مَلِكِ العَمالِيْقِ .
ذين : مُهْمَلٌ عنده .
الخارزنجيُّ : ذانَه يَذِيْنُه : إذا عابَهُ . وهو الذّانُ والذّامُ .
ذون : أيضاً مُهْمَلٌ عنده .
الذُّؤْنُوْنُ : نَبْتٌ مُسْتَطِيْلٌ ، وجَمْعُه ذَآنِيْنُ . وخَرَجُوا يَتَذَأْنَنُوْنَ . ومن أمْثَالِهِم : " أطُرْثُوْثَ ولا رَمْلَةَ ، أذُؤْنُوْن ولا شَوْكَ له " ، وله حَدِيْثٌ . [المحيط في اللغة : الذال والباء] .

الأول : العلم ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾[سورة البقرة آية : ١٠٢] يعني : والله يعلم ذلك ، وهو مجاز لهم عليه .

الثاني : الأمر ، قال الله تعالى : ﴿فَهَدَى اللهُ الذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾[سورة البقرة آية : ٢١٣] أي : فدل الله المؤمنين إلى الحق من جملة ما اختلفوا فيه فلزموه بأمره ، وقيل : بعلمه ، وقال أبو علي رحمه الله : هداهم بإذنه أي : هداهم فاهتدوا بإذنه ؛ لأن هدايته فعله ، والله لا يفعل بإذن فحذف فاهتدوا لدلالة قوله : ﴿بِإِذْنِهِ﴾ عليه ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾[سورة آل عمران آية : ١٤٥] والمعنى : أنهم لا يموتون دون الأجل فلا تجبنوا عن الجهاد ، وفي الآية دليل على أن غير الله لا يقدر على الموت ، وقال : ﴿وَاللهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾[سورة البقرة آية : ٢٢١] أي : بأمره الذي امتثلوه ، وقال : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾[سورة الرعد آية : ٣٨] ، وقوله : ﴿لِتُخْرِجَ الناسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النورِ بِإِذْنِ رَبِهِمْ﴾[سورة إبراهيم آية : ١] ، وقال : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِهِمْ﴾[سورة إبراهيم آية : ٢٣] أي : بأمره وإذنه في ذلك ، وقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾[سورة النساء آية : ٦٤] أي : بأمره ، وذلك أنه أمر أن يطاع ، وقيل : أرسله لأن يطاع ؛ لأنه يقول ما يقول بإذن الله ، وقيل : بإذنه بجميل صنعه وحسن توفيقه .

إلا

قالوا : هي على أربعة أوجه :

أولها : الاستثناء ، كقوله تعالى : ﴿الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُو إِلا الْمُتقِينَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٦٧] فاستثنى المتقين ؛ لأنهم ليسوا بأعداء .

الثاني : بمعنى لكن ، في قوله تعالى : ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلناسِ عَلَيْكُمْ حُجةٌ إِلا الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٥] أي : لكن الذين ظلموا يحتجون عليكم بغير حجة لجهلهم ، وقيل : معناه لكن الذين ظلموا فلا تخشوهم .

قال أبو عبيدة : إلا هاهنا بمعنى الواو وإليه ذهب أبو علي رحمه الله ، أي : ولا الذين ظلموا عليكم حجة وهم من جملة الناس إلا أنه خصهم لشدة عبادهم كما خص النخل والرمان لفضلهما على غيرهما ، وقال المبرد : هذا خطأ ؛ لأن الواو للعطف ، والإشراك ، وإلا للاستثناء ولا يدخل أحدهما في باب الآخر .

قال : والأول صحيح ؛ لأن حق الاستثناء أن يكون كله على معنى لكن ، وفيه كلام كثير ليس هذا موضع ذكره .

واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :

إلا كَنَاشِرَةَ الَّـــــذِي ضَيَّعْتُمُ كالغُصْنِ في غَلْوَائِـــــهِ المُتَنَبِّتِ

قال المبرد : معنى هذا لكن ناشرة الذي ضيعتم والكاف زائدة ، وناشرة اسم رجل أي : خرج عنكم وادعى في بني أسد فتركتموه يخاطب بني مازن .

واحتج أبو عبيدة أيضا بقول الأعشى :

إلا كخَارِجَةَ المُكَلِّفِ نَفْسِـــــهِ وابْنَي قُبَيصَةَ أَنْ أَغِيبَ وتَشْهَـــــدَا

قال : يعني وكخارجة ، وقال المبرد : أراد ولكن كخارجة المتكلف خلاف ما عليه العشيرة .

وقال في قوله : ﴿إلا الذِينَ ظَلَمُوا﴾ لكن الذين ظلموا أيقولون أن لهم حجة فالمعنى أنه لا أحد له حجة ، والظالم يحتج بها لا حجة له فيه ، قال : ومن كلامهم : ما لأحد علي سبيل إلا من بغى فتأويله أنه لم يستثنه من باب سبيل ، ولكن معناه لكن من بغى مخطئ ببغيه فلا يكون هذا الباب منفردا من الأول البتة .

وقوله تعالى : ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إلا قَوْمَ يُونُسَ﴾(١) [سورة يونس آية : ٩٨] ، وقوله : ﴿لا يُحِب اللهُ الْجَهْرَ بِالسوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلا مَنْ ظُلِمَ﴾ [سورة النساء آية : ١٤٨] أي : لكن من ظلم ، ومثله كثير .

الثالث : بمعنى غير ، قال الله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢٢] أي : غير الله ، وقوله : ﴿لا إِلَهَ إلا هُوَ﴾ أي : لا إله غيره ، هكذا جاء في التفسير .

والفرق بين إلا وغير أن إلا حرف وغير اسم وينوب مناب إلا في الاستثناء ، وقد يكون صفة ، تقول : هذا درهم غير قيراط معناه : إلا قيراطا ، وغير قيراط على الصفة ولا يكون إلا مضافا ، ولا معنى له إلا مخالفة ما يضاف إليه ، ويكون فاعلا ومفعولا وظرفا ووصفا

---

(١) قال ابن الجوزي : قوله تعالى : ﴿فلولا كانت قرية آمنت﴾ أي : أهل قرية . وفي «لولا» قولان :
أحدهما : أنه بمعنى : لم تكن قرية آمنت ﴿فنفعها إيمانها﴾ أي : قُبِلَ منها ﴿إلا قوم يونس﴾ ، قاله ابن عباس . وقال قتادة : لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب ، إلا لقوم يونس .
والثاني : أنها بمعنى : فهلاّ ، قاله أبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج . قال الزجاج : والمعنى : فهلاّ كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها ، إلا قوم يونس ؟ و «إلا» هاهنا استثناء ليس من الأول ، كأنه قال : لكن قومُ يونس . قال الفراء : نُصب القوم على الانقطاع مما قبله ، ألا ترى أن «ما» بعد «إلا» في الجحد يتبع ما قبلها ؟ تقول : ما قام أحد إلا أخوك ، فإذا قلت : ما فيها أحد إلا كلباً أو حماراً ، نصبتَ ، لانقطاعهم من الجنس ، كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أمم الأنبياء ، ولو كان الاستثناء وقع على طائفة منهم لكان رفعاً . وذكر ابن الأنباري في قوله : «إلا» قولين آخرين :
أحدهما : أنها بمعنى الواو ، والمعنى : وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا ، وهذا مروي عن أبي عبيدة ، والفراء ينكره .
والثاني : أن الاستثناء من الآية التي قبل هذه ، تقديره : حتى يروا العذاب الأليم إلا قوم يونس ، فالاستثناء على هذا متصل غير منقطع . [زاد المسير : ٣/ ٣١٠] .

واستثناء ، تقول : جاءني غيرك فيكون فاعلا ، وضربت غيرك يكون مفعول ، ومررت برجل غيرك وصف ، وجاءني زيد غير راكب حال ، وجئتك غير يوم ظرف زمان ، أما من المكان فطلبتك غير موضع ، وجاءني القوم غير زيد ، وما جاءني أحد غير زيد استثناء فتجريها في الإعراب مجرى الاسم الذي يجيء بعد إلا .

الرابع : ابتداء الكلام ، قال : ﴿ثُم رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ﴾[سورة التين آية : ٥ ، ٦] وأسفل السافلين مثل أرذل العمر أي : الكبر ، والمعنى : والذين آمنوا فلهم أجر غير ممنون ، ولا يكون مستثنى ؛ لأن الذين آمنوا قد رد بعضهم إلى الكبر ، وقيل : معنى أسفل سافلين : جهنم ، والذين آمنوا مستثنون ، فأما قوله تعالى : ﴿فَإِنهُمْ عَدُو لِي إِلا رَب الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء آية : ٧٧] . فمعناه لكن ؛ لأن الله لا يستثنى من المخلوقين ، وكذلك : ﴿إِنني بَرَاءٌ مِما تَعْبُدُونَ إِلا الذِي فَطَرَنِي﴾[سورة الزخرف آية : ٢٦ ، ٢٧] ، وكذلك : ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إِبْلِيسَ﴾ [سورة الحجر آية : ٣٠ ، ٣١] ويجوز أن يقال : استثنى إبليس منهم ؛ لأنه كان معهم في الأمر ، وقوله : ﴿لا يَخَافُ لَدَي الْمُرْسَلُونَ إِلا مَنْ ظَلَمَ ثُم بَدلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ [سورة النمل آية : ١٠ ، ١١] . أي : لكن من ظلم ، وثم هاهنا بمعنى الابتداء كما تقول : أريد أن أحسن إليك ثم أكرمك ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَا﴾[سورة النساء آية : ٩٢] .

قال قطرب : معناه إلا ما يسعه ؛ لأن الخطأ واسع له ؛ لأنه لا حيلة له فيه ، وقوله : ﴿إِلا اللمَمَ﴾[1] [سورة النجم آية : ٣٢] مستثنى صحيح ومعناه إلا أن يكون العبد قد ألم

---

(١) قال ابن الجوزي : اللَّمم في كلام العرب : المُقارَبة للشيء . وفي المراد به هاهنا ستة أقوال .
أحدها : ما أَلُّوا به من الإثم والفواحش في الجاهلية ، فإنه يُغْفَر في الإسلام ، قاله زيد بن ثابت .
والثاني : أن يُلِمَّ بالذَّنب مَرَّةً ثم يتوب ولا يعود ، قاله ابن عباس ، والحسن ، والسدي .
والثالث : أنه صِغار الذُّنوب ، كالنَّظرة والقُبلة وما كان دون الزِّنا ، قاله ابن مسعود ، وأبو هريرة ، والشعبي ، ومسروق ، ويؤيِّد هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنَّ الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزِّنا ، فزِنا العينين النَّظر ، وزِنا اللسان النُّطق ، والنفس تشتهي وتتمنَّى ، ويصدِّق ذلك ويكذِّبه الفَرْج ، فإن تقدَّم بفَرْجه كان الزِّنا ، وإلا فهو اللَّمم " . والرابع : أنه ما يَهُمُّ به الإنسان ، قاله محمد بن الحنفية .

بفاحشة ثم تاب ، ويجوز أن يكون معناه إلا أن يلم بذنب ويحسب أنه صغير أو يلم بذنب ويحسب أنه ليس بذنب ، وقوله تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ ثم قال : ﴿إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ﴾[سورة الممتحنة آية : ٤] معناه أن أصحاب إبراهيم تبرأوا من كفار قومهم وعادوهم على الدين ما خلا : ﴿قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَن لَكَ﴾ فإن ذلك كان : ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُو لله تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [سورة التوبة آية : ١١٤] فقول إبراهيم هو استثناء من قول أصحابه ، كأن معنى قوله : إذ قالوا لقومهم قولهم لقومهم .

وقيل : معناه لكن قال إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ، المعنى أن إبراهيم لم يقل ما قالوه ولكن قال : ﴿لأَسْتَغْفِرَن لَكَ﴾ ، وقوله : ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ [سورة الدخان آية : ٥٦] والموتة الأولى لم تكن في الجنة ، ولكن المعنى على البدل كأنه قال : لا يذوقون إلا الموتة الأولى كما تقول : لقيت زيدا في الدار ولقيت عمرا فلما كررت الفعل جاز أن لا يكون عمرو ملقيا في الدار وإذا لم تكرر وقلت : ظننت زيدا في الدار وعمرا لم يجز أن يكون عمرو إلا مظنونا في الدار كذلك .

قال قطرب : وفيه نظر .

وأما قوله تعالى : ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلا سَلامًا﴾[سورة مريم آية : ٦٢] وهذا أيضا يدل على البدل ولا يكون استثناء ؛ لأن اللغو ليس بسلام كأنه قال : لا يسمعون فيها إلا سلاما .

ومثله قول سعد بن مالك :

والحربُ لا يبقى لجَـــــا ـــحِمِهَا التخَيُّلُ والمـــــراحُ
إلا الفَتَى الصَبَّـــــارُ في النَّـ ــجَدَاتِ والفَرَسُ الوَقَّـــاحُ

والخامس : أنه ألَمَّ بالقلب ، أي : خَطَر ، قاله سعيد بن المسيّب .
والسادس : أنه النَّظر من غير تعمُّد ، قاله الحسين بن الفضل . فعلى القولين [الأولين] يكون الاستثناء من الجنس ، وعلى باقي الأقوال ليس من الجنس . [زاد المسير : ٥/ ٤٤٤] .

كأنه قال : لا يبقى إلا الفتى وليس باستثناء ؛ لأن الفتى ليس من التخيل والمراح ، وأما قوله تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتبَاعَ الظن ﴾ [سورة النساء آية : ١٥٧] وليس العلم من اتباع الظن فمعناه إلا أنهم يتبعون الظن ، وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ الله مِنْ شَيْءٍ إِلا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾[سورة يوسف آية : ٦٨] فمعنى ذلك : لكن حاجة ، وكذلك قوله : ﴿ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلا رَحْمَةً مِنا ﴾ [سورة يس آية : ٤٣ ، ٤٤] أي : لكن رحمة .

وقال المبرد : لكن أن يرحمهم ، وقوله : ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ إِلا مَنْ تَوَلى وَكَفَرَ ﴾ [سورة الغاشية آية : ٢٢ ، ٢٣] أي : لكن من تولى فإنك مسلط عليه بالقتل ، وكذلك قوله : ﴿ إِن عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتبَعَكَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٢] أي : لكن لك على من اتبعك سلطان ، ويجوز أن تكون إلا في قوله تعالى : ﴿ إِلا مَنْ تَوَلى وَكَفَرَ ﴾ بمعنى الواو عند من يقول بذلك ، وقوله : ﴿ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ الله إِلا مَنْ رَحِمَ ﴾ [سورة هود آية : ٤٣] معناه : لا معصوم من أمر الله إلا من رحم يريد المؤمنين الذين مع نوح عليه السلام في السفينة كأنه قال : لا معصوم اليوم : ﴿ مِنْ أَمرِ الله ﴾ أي : من عذابه إلا المؤمن ، وفاعل بمعنى مفعول كثير في العربية يقولون : سر كاتم أَي : مكتوم ، والراحلة بمعنى مرحولة ، وأمر عارف بمعنى معروف ، ويقولون : العارضة لما تعرض له داء من الذكارة والإناث وإنما هي معروض لها ، وكذلك تطليقة بائنة أي : مبانة ، والعائذ الذي يعوذ بها ولدها ، وعيشة راضية أي : مرضية ، وجاء الآشر بمعنى الماشورة ، ومثل هذا يجيء في مواضع لا يقع فيها إلتباس ، ويجوز أن يكون المراد بإلا من رحمه الله أي : لا عاصم غير الله ، ويجوز أن يكون المراد به نوح ؛ لأنه يعصم بأمر الله كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٩] .

قال المبرد : ﴿ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ الله إِلا مَنْ رَحِمَ ﴾ أي : لا عاصم يعصم الناس من أمر الله إلا من رحم فإنه تناله الرحمة ، والعاصم الفاعل ، ومن رحم معصوم ، ولكن لذكره العصمة فهم المعنى ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَن بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾

[سورة النساء آية : ١٥٩] فاستثنى من لفظه ، والمعنى : إن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ، قال الراجز :

لَوْ قُلتَ مَا في قومِهَـــــا لم تِيثَمِ يَفْضُلُهَا في حَسَبٍ ومَيْسَـــــمِ

أي : لو قلت ما في قومها أحد يفضلها ، وقال تعالى : ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبهِ الأَعْلَى﴾ [سورة الليل آية : ١٩ ، ٢٠] أي : لا يقصد لذلك ، ولكنه يقصد ابتغاء وجه ربه .

ومما يجري مع هذا الباب ما قاله المبرد : أن الاختيار في قوله : ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلا أَنْ قَالُوا رَبنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[سورة آل عمران آية : ١٤٧] أن يكون الاسم ما بعد إلا وليس مثل قوله : ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[سورة الأنفال آية : ٣٥] ؛ لأن مكاء نكرة مصدر ، والاسم فيها مضى معرفة والخبر معرفة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ حُجتَهُمْ إلا أَنْ قَالُوا﴾ [سورة الجاثية آية : ٢٥] : ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلا أَنْ قَالُوا﴾[سورة الأعراف آية : ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿ثُم لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلا أَنْ قَالُوا﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٣] وذلك أن إلا موجبة فاختاروا أن يجعلوا الموجب الاسم وهذا كله جائز إلا إذا كان الاسم والخبر معرفتين ، وينشدون بيت الفرزدق :

وقد شَهِدَتْ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَـــا قُتَيبَةَ إلاّ عَضَّهَا بالأَبَاهِـــمِ

على الوجهين .

إلى

قال سيبويه : إلى منتهى لابتداء الغاية ، تقول : من كذا إلى كذا ، ويقول الرجل : إنما أنا إليك أي : أنت غايتي ، وتقول : قمت إليه فتجعله منتهاك من مكانك .

وقال غيره : تقول : سرت إلى الكوفة فجائز أن تكون بلغت إليها ولم تدخلها ، وجائز أن تدخلها ولم تجاوزها ؛ لأن إلى غاية وما بعده شيء فليس بغاية .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : غاية ، كقوله تعالى : ﴿أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[1] [سورة الشورى آية : ٥٣] أي : تصير إلى حيث لا يحكم غيره .

الثاني : على ما قيل : بمعنى مع ، قال : ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾[سورة النساء آية : ٢] أي : مع أموالكم كذا قيل .

والوجه أن يقال : لا تضيفوها إلى أموالكم فتأكلوها معها ولم يتح لهم أن يأكلوها مفردة وإنما هو نهي عام كما تقول : لا تشتم زيدا فيمن يشتمه ، والمعنى : لا تشتمه مشاركا في شتمه ولا منفردا به ، وأنه راجع إلى الأكل أي : أكله حوب كبير ، والحوب : الإثم والمصدر الحوب حاب يحوب حوبا ، وذكر الأكل وأراد النفقة ؛ لأن أكثر النفقة وأشهرها يكون فيما يؤكل ، وسماهم بعد البلوغ يتامى بالاسم الأول .

والأصل أن يسقط عنه اسم اليتيم عند البلوغ ، واليتم في الناس من قبل الأباء وفي البهائم من قبل الأمهات .

---

(١) قال الطبري : قوله جلّ ثناؤه :(أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) يقول جلّ ثناؤه : ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة ، فيقضي بينكم بالعدل .

فإن قال قائل : أو ليست أمورهم في الدنيا إليه ؟ قيل : هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك ، فإن لهم حكاما وولاة ينظرون بينهم ، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره ، فلذلك قيل : إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه وبيده قضاؤها وتدبيرها في كلّ حال . [جامع البيان : ٢١/ ٥٦١] .

الاستواء(١)

أكثر ما يستعمل في الاستقامة ونتكلم في أصله بعد إن شاء الله .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : القصد ، قال الله تعالى : ﴿ثُم اسْتَوَى إِلَى السمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾(٢) [سورة فصلت آية : ١١] أي : قصد لإخراجها من كونها دخانا إلى ما هي عليه من صلابة الخلقة ، قال ابن عباس : استوى هاهنا علا أمره .

(١) [سوي] : سوّيت الشيء فاستوى وقوله في البيع : لا يَسوَى ولا يساوي ، أي : لا يكون هذا مع هذا سيَّيْنِ من السّواء . وساويت هذا بهذا ، أي : رفعته حتّى بلغ قدرَهُ ومَبلَغَه ، كما قال الله عزّ وجلّ : " حتّى إذا ساوى بين الصَّدَفَيْنِ " ، أي : الجَبَلين ، أي : ردم طريقي يأجوج وماجوج بالقِطْر ، أي سوّى أحَدَهما بالآخر ، أيك رفعه حتّى بلغ طوله طُولَهما .
والمساواةُ والاستواءُ واحدٌ ، فأمّا يَسْوَى فإنّها نادرة ، لا يقال منه سَوِي ولا سَوَى ، وكما أنّ نَكَرَ جاءت نادرة ، ولا يُقال منه ينكر ، وإذا رجعوا إلى الفِعل قالوا : يُنْكِرُ ، كذلك إذا رجعوا إلى الفعل من يَسْوَى قالوا : ساوَى ، وقال بعضهم : يُساوي ويَسْوَى واحد ، إلاّ أنّ يَسوى مُوَلَّد ، ولا يقال منه فَعَل ولا يفعل ، ولا يصَرّف ويُجْمَع السِّيّ : أسواء ، كما قال :

النّاس أسواءٌ وشتّى في الشِّيَمْ *** وكلّهم يجمعهم بَيتُ الأدَمْ

أي : على اختلاف أخلاقهم ، أي : هم كبيت فيه الأدَم فمنه الجيّد والوسط والرّديء .
والسَّواء ، ممدود : وسط كلّ شيء .
وسوى ، مقصور ، إذا كان في موضع غير ففيها لغتان بكسر السّين ، مقصور ، وبفتحها ممدود .
ويقال : هما على سَوِيّةٍ من الأمر ، أي : على سَواء وتَسويةٍ واستواء .
والسّيّ : موضع بالبادية أملس .
والسَويّة : قَتَبٌ أعجميٌّ للبعير ، والجميعُ : السَّوايا .
والسَّويّ : الذي سوّى الله خَلقَه ، لا دَمامةَ فيه ولا داء .
وقوله جلّ وعز : " مكاناً سُوَى " ، أي : معلما قد عَلِمَ القومُ به ، وقال الضّرير في قوله تعالى : " مكاناً سوى " : سُوى وسِوَى واحد ، أي : مُسْتَوِياً تُدرِكُه الأبْصار .
وتصغير سواء وسوى : سُوَيّ ، ويُجمَع على سواسية وأسواء . [العين : سوى] .
(٢) قال أبو جعفر : اختلفوا في تأويل قوله :"ثم استوى إلى السَّماء" .
فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان مقبلا على فلان ، ثم استوَى عليّ يشاتمني – واستوَى إلي يشاتمني . بمعنى : أقبل عليّ وإليّ يشاتمني . واستُشْهِد على أنّ الاستواء بمعنى الإقبال .

الثاني : الاستيلاء ، قال الله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[سورة طه آية : ٥] ، ومنه قول الشاعر :

فَلَمَّا عَلَونَا واستَوَيْنَـــــا عَلَيهِمْ تَرَكْنَاهُم صَرْعَى لِنِسْرٍ وكَـــــاسِرِ

الثالث : الاستقرار ، قال الله : ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِي﴾[سورة هود آية : ٤٤] أي : استقرت .

الرابع : التماثل ، قال الله : ﴿لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطيبُ﴾[سورة المائدة آية : ١٠٠] أي : ليسا مثلين ، وأما قوله تعالى : ﴿ذُو مِرةٍ فَاسْتَوَى﴾[سورة النجم آية : ٦] أي : استوت

وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوُّل ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ، ثم تحوَّل إلى الشام . إنما يريد : تحوّل فِعله . [وقال بعضهم : قوله :"ثم استوى إلى السماء" يعني به : استوت]

وقال بعضهم :"ثم استوى إلى السماء" ، عمدَ لها . وقال : بل كلُّ تارك عملا كان فيه إلى آخر ، فهو مستو لما عمد له ، ومستوٍ إليه .

وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلوّ هو الارتفاع . وممن قال ذلك الربيع بن أنس . ثم اختلف متأوّلو الاستواء بمعنى العلوّ والارتفاع ، في الذي استوى إلى السّماء . فقال بعضهم : الذي استوى إلى السماء وعلا عليها ، هو خالقُها ومنشئها . وقال بعضهم : بل العالي عليها : الدُّخَانُ الذي جعله الله للأرض سماء (٥) .

قال أبو جعفر : الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه : منها انتهاءُ شباب الرجل وقوّته ، فيقال ، إذا صار كذلك : قد استوى الرّجُل . ومنها استقامة ما كان فيه أوَدٌ من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى لفلان أمرُه . إذا استقام بعد أوَدٍ .

وأوْلى المعاني بقول الله جل ثناؤه :"ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن" ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهنّ بقدرته ، وخلقهنّ سبع سموات .

والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله :"ثم استوى إلى السماء" ، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع ، هربًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه -إذا تأوله بمعناه المفهم كذلك- أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها - إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر . ثم لم يَنْجُ مما هرَب منه ! فيقال له : زعمت أن تأويل قوله"استوى" أقبلَ ، أفكان مُدْبِرًا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أنّ ذلك ليس بإقبال فعل ، ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك فقُلْ : علا عليها علوّ مُلْك وسُلْطان ، لا علوّ انتقال وزَوال . ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله . ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولا لقول أهل الحق فيه مخالفًا . وفيما بينا منه ما يُشرِف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى . [جامع البيان : ١/ ٤٣٠] .

صورته يعني : جبريل فرآه النبي صلى الله عليه على ما هو عليه من استواء الصورة إلا كما ينزل بالوحي على صورة زجل .

obeikandl.com

الاستفهام[1]

أصل الاستفهام الاستخبار بما جاء بمعنى التوقيف والإنكار فأما الإنكار[2] فقوله تعالى : ﴿ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾[سورة الكهف آية : ٧١] والدليل على أنه إنكار قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾[سورة الكهف آية : ٧١] ، وهكذا قوله : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾[سورة الكهف آية : ٧٤] ، ومثله كثير .

وأما التوقيف والتعريف فقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[سورة الشرح آية : ١] وتأويله أنا قد فعلنا ذلك ، ولولا ذلك لم يعطف على : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ، قوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾[سورة الشرح آية : ٢] ؛ لأن لم عامله لا يقع على الفعل الماضي .

ومن التقرير قوله عز وجل : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ ﴾[سورة النحل آية : ١٧] ، وأنزل تعالى قبل ذلك : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾[سورة الزخرف آية : ٨٧] ثم قال : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ ﴾ وجاء على وجه التوبيخ ، وذلك أنه لما كان البنون مرغوبا فيهم والبنات مكروهات ونسبوا إلى الخالق ما يكرهون ويحهم فقال : ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِما

---

(١) قال الجُرجاني : الاستفهام : استعلام ما في ضمير المخاطب ، وقيل : هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن ، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين ، أو لا وقوعها ، فحصولها هو التصديق ، وإلا فهو التصور . [التعريفات : أسماء الأفعال] .

(٢)قال المناوى : التوقيفُ العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع أو هو صفة توجب تمييز الا يحتمل النقيض أو هو حصول صورة الشئ في العقل والاول أخص وفي البصائر المعرفة ادراك الشئ بتفكر وتدبر لاثره وهى أخص من العلم والفرق بينها وبين العلم من وجوه لفظا ومعنى أما اللفظ ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد وفعل العلم يقتضى مفعولين وإذا وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة وأما من جهة المعنى فمن وجوه أحدها ان المعرفة تتعلق بذات الشئ والعلم يتعلق بأحواله والثانى أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه فإذا أدركه قيل عرفه بخلاف العلم فالمعرفة نسبة الذكر النفسي وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر ولهذا كان ضدها الانكار وضد العلم الجهل والثالث أن المعرفة علم لعين الشئ مفصلا عما سواه بخلاف العلم فانه قد يتعلق بالشئ مجملا ولهم فروق أخر غير ما ذكرنا وقوله (وعلم هو في نفسه) هكذا في سائر النسخ وصريحه انه كسمع لانه لم يضبطه فهو كالاول وعليه مشى شيخنا في حاشيته فانه قال وانه يتعدى بنفسه في المعنيين الاولين والصواب أنه من حد كرم كما هو في المحكم و نصه وعلم هو نفسه . انظر تاج العروس (ع ل م) .

يَخْلُقُ بناتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾[سورة الزخرف آية : ١٦] والدليل على أنه أراد التوبيخ قوله في مثل هذه القصة : ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلا تَذَكرُونَ﴾[سورة الصافات آية : ١٥٤ ، ١٥٥] .

وقوله للمسيح : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلناسِ اتخِذُونِي﴾ [سورة المائدة آية : ١١٦] تقرير وتوبيخ لقومه ، وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَاج إِبْرَاهِيمَ فِي رَبهِ﴾[سورة البقرة آية : ٢٥٨] توقيف له وإخبار ببطلان دعوى هذا المحاج .

opeikandl.com

الباب الثاني

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله باء

البوء[1]

باؤوا : أصل البواء الرجوع ، ومبوأ الرجل : منزله الذي يرجع إليه إذا فرغ من أموره ، ثم كثر حتى سمي الإنزال التبوئة ، قال الله تعالى : ﴿مُبَوأَ صِدْقٍ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقال عمر بن معدي كرب :

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأْتُهُ بِيَدِيَّ لَحْدا

ثم كثر حتى سمي التسوية بين الشيئين : بواء ، يقال : هذا بواء لهذا إذا كان مثله ، وفلان بواء بفلان ، إذا قتل به فرضي .

وجاءت هذه الكلمة وما يتصرف منها في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] أي : احتملوا وزرا على وزر .وقيل : استوجبوا غضب الله والغضب من الله : العقاب ، وقال : ﴿بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾[سورة أل عمران آية : ١٦٢]

الثاني : الرجوع ، قال الله تعالى : ﴿أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٩] أي ترجع إلى الله بإثم قتلي ، وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك .

---

(١)(ب و ء) : بَاءَ يَبُوءُ رَجَعَ وَبَاءَ بِحَقِّهِ اعْتَرَفَ بِهِ وَبَاءَ بِذَنْبِهِ ثَقُلَ بِهِ وَالْبَاءَةُ بِالْمَدِّ النِّكَاحُ وَالتَّزَوُّجُ وَقَدْ تُطْلَقُ الْبَاءَةُ عَلَى الْجِمَاعِ نَفْسِهِ وَيُقَالُ أَيْضًا الْبَاهَةُ وِزَانُ الْعَاهَةِ وَالْبَاهُ بِالْأَلِفِ مَعَ الْهَاءِ وَابْنُ قُتَيْبَةَ يَجْعَلُ هَذِهِ الْأَخِيرَةَ تَصْحِيفًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ حَكَاهَا الْأَزْهَرِيُّ عَنْ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : الْهَاءُ مُبْدَلَةٌ مِنْ الْهَمْزَةِ يُقَالُ فُلَانٌ حَرِيصٌ عَلَى الْبَاءَةِ وَالْبَاءِ وَالْبَاهِ بِالْهَاءِ وَالْقَصْرِ أَيْ عَلَى النِّكَاحِ قَالَ يَعْنِي ابْنَ الْأَنْبَارِيِّ الْبَاهُ الْوَاحِدَةُ وَالْبَاءُ الْجَمْعُ ثُمَّ حَكَاهَا عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَيْضًا وَيُقَالُ إنَّ الْبَاءَةَ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تَبُوءُ إلَيْهِ الْإِبِلُ ثُمَّ جُعِلَ عِبَارَةً عَنْ الْمَنْزِلِ ثُمَّ كُنِيَ بِهِ عَنْ الْجِمَاعِ إمَّا لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إلَّا فِي الْبَاءَةِ غَالِبًا أَوْ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَتَبَوَّأُ مِنْ أَهْلِهِ أَيْ يَسْتَكِنُّ كَمَا يَتَبَوَّأُ مِنْ دَارِهِ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ﴾ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ وَالتَّقْدِيرُ مَنْ وَجَدَ مُؤَنَ النِّكَاحِ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَيْ مَنْ لَمْ يَجِدْ أُهْبَةَ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ . [المصباح المنير : الباء مع الواو] .

ويجوز أن يكون المعنى في هذا ، وفي قوله : ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] واحدا وسمي الحصول في القيامة جوعا إلى الله تعالى ، وحقيقة ذلك الرجوع في الخلقة ، لأنهم يخلقون في القيامة بعد الفناء .

الثالث : التبوء من النزول· قال تعالى : ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقال : ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [سورة يوسف آية : ٥٦] ، في"الحشر" : ﴿تَبَوَّءُوا الدارَ﴾[سورة الحشر آية : ٩] ، قالوا :معناه أوطنوا ، وهذا قريب من الأول

opeikandl.com

البصر[1]

أصله من الوضوح . ومنه : أبصرته لمحا باصرا ، أي : بصرا واضحا ، وقيل : نظرا صائبا بتحدق . ومن ثم سمي ضرب من الحجارة أبيض رخو بصرة ، لما في البياض من الوضوح . وبه سميت البصرة .

والبصرة : العلم ، لأن الأشياء تتبين بها وتصح وجوهها عند العالم . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٢] أي : مشرقه واضحة . وقيل : معناه : مبصرا ، أي : مضيئا .

---

(١) [بصر] : البَصَرُ : العَيْنُ - مُذَكَّرٌ - . ونَفَاذٌ في القَلْب . والبَصَارَةُ : مَصْدَرُ البَصِيرِ ، أبْصَرَ يُبْصِرُ ، وأبْصَرْتُ الشَّيْءَ ، وبَصُرْتُ به وبَصِرْتُ . وأبْصَرَ الطَّرِيْقُ والصُّبْحُ والنَهارُ : إذا أبْصَرْتَه . وتَبَصرْتُه : أي رَمَقْته .

واسْتَبْصَرَ في أمْرِه ودِيْنِه : إذا كانَ ذا بَصِيْرَةٍ وتَحْقِيقٍ من أمْرِه . واجْعَلْني بَصِيْرَةً عليهم : أي شَهِيداً .

ورَأى لَمحاً باصِراً : أي أمْراً مُفْزِعاً . وإذا فَتَحَ الجِرْوُ عَيْنَه قُلْتَ : بَصَّرَ تَبْصِيراً . ويُقال للفِرَاسَةِ الصَادِقَةِ : ذاتُ البَصائِرِ وذاتُ البَصِيْرَةِ . والبُصْرُ : القُطْنُ . والقِشْر أيضاً . والتَبصرُ : العَيْن نَفْسُها في قَوْلِ أبي زُبَيْدٍ :

كالجَمْرَتَيْنِ التَبَصُّرُ

ويقولون : لَقِيْته بين سَمْعِ الأرْض وبَصرِها : أي بأرْضٍ خَلَاءٍ ما بها أحَدٌ . ويُسَمُّوْنَ اللحْمَ : الباصُوْرَ ، أي أنه جَيِّدٌ للبَصَرِ يَزِيْدُ فيه . والمُبْصِرُ : الذي يُوَشُّ بِحِفْظِ الثمارِ . والبَصِيْرَةُ : الدِّرْعُ . وبَصَائِرُ الدَّمِ : طَرائِقُها على الجَسَدِ . والبَصِيْرَةُ : ما بَيْنَ شَقَّيِ البابِ ، وجَمْعُها بَصَائِرُ . وهي العِبْرَةُ - أيضاً - في قوله :

في الذاهِبِينَ الأوَّلين ***مِنَ من القُرُوْنِ لنا بَصَائِرْ

وهي الفِرَاسَةُ أيضاً .

والبُصْرُ : غِلَظُ الشَيْءِ ؛ كبُصْرِ الجَبَلِ والسَّمَاء . وهو جِلْدُ كُلِّ شَيْءٍ ، وجَمْعُه أبْصارٌ . ويقال : إنَه لَغَلِيْظُ البُصْرِ : أي جِلْد الوَجْهِ . وهو مَغْضُوْبُ البُصْرِ والبِصْرِ .

والبَصْرُ : أنْ يَضَمَّ أدِيْمٌ إلى أدِيْمَيْنِ يُخَاطانِ ، يُقال : بَصَرْتُ الأدِيْمَيْنِ أبْصُرُهما .

وبَصَرَه بالسيْفِ : قَطَعَه .

والبَصْرَة : أرْض حِجَارَتُها جص ، وهي البَصَرَةُ والبَصِرَةُ أيضاً ، وجَمْعُها بِصَار . فإذا حَذَفْتَ الهاءَ قُلْتَ : بِصْر - بالكَسْرِ - ؛ وبُصْرٌ : لُغَةٌ فيه . وأرْضٌ بني فلانٍ بُصْرَةٌ : إذا كانت طَيِّبَةً حَمْراءَ . والمبصِرَاتُ : الأرَضُوْنَ ذاتُ البَصْرَةِ . وأرْض بَصِرَة : فيها حِجَارَةٌ بِيْضٌ . وبَصرْتُ وأبْصَرْتُ : أتَيْت البَصْرَةَ . والبَصْرَتانِ : الكُوْفَةُ والبَصْرَةُ . والباصُوْرُ : رَحْلٌ دُوْنَ القِطْع ؛ وهي عِيْدَانٌ تُقَابَل شَبِيْهَة بأقْتَابِ البُخْتِ .

والباصِرُ : قَتَب صَغِيْر ، ويُجْمَعُ بَوَاصِرَ . [المحيط في اللغة : بصر] .

وقيل إذا صار الناس يبصرون فيه ، فهو مبصر ، كقولك : رجل مخبث ، إذا كان أهله خبثاء ، ورجل مضعف : دوابه ضعاف ، والنهار مبصر : أهله بصراء . ومبصر فيه أجود . وهو كقولهم : أحمق الرجل ، إذا جاء بأولاد حمقى ، وأصرم النخل ، إذا أذن بالصرام وألبن الرجل صار ذا لبن .

ويجوز أن يكون أصل الكلمة من الصلابة وبصر الشيء : حيث يغلظ ، تقول : هذا بصر الجبل والحائط ، وبصر السماء ؛ لأنه أقرب ما يبصر منها وهو أغلظها في رأى العين . وبصائر الدم : طرائقه على الجسد .

والبصر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول :البصر بالقلب ، قال الله : ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾[سورة يونس آية : ٤٣] يعني : عمى القلب وبصر القلب .

ونحوه قوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر آية : ٥٨] ، يعني : المؤمن الذي يعلم والكافر الذي لا يعلم ، ويجوز أن يكون بصر العين وعماها ، ويكون المراد التنبيه على المنفعة بالإيمان ، لأنه مشبه بالبصر ، والمضرة بالكفر ، لأنه مشبه بالعمى .

الثاني : بصر العين ، قال : ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة الإنسان آية : ٢] . وقال : ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [سورة يوسف آية : ٩٠] .

الثالث : البصر بالحجة ، وهو راجع إلى الوجه الأول ، قال تعالى : ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾[سورة طه آية : ١٢٥] . جاء في التفسير أنه أراد : لم جعلتني أعمى عن الحجة ، وكنت في الدنيا بصيرا بها ، ويجوز أن يكون من بصر العين ، وأن الله يحشره أعمى العين ليجعله نكالا لمن خلفه .

الباء

هي لإلصاق الشيء بالشيء وخلطه به ، فإذا قلت : مررت بزيد ، فقد أضفت المرور إلى زيد ، وألصقته به . وجائز أن يكون معه استعانة كقوله : كتب بالقلم .

وتزاد في خبر المنفي توكيدا وتثبيتا ، كقولك : ليس زيد بقائم . وجاءت زيادة في قولك : حسبك بزيد . هذا قول الفراء ومن يقول بقوله .

وعندنا أنها دخلت على معنى قولك : اكتف بزيد ، لأن معنى قولك : حسبك هذا ، أي : اكتف به ، وأحسبني الشيء : كفاني . وسنتكلم في ذلك .

قالوا : وهو في القرآن على الوجهين :

الإلصاق ، والزيادة في قول الفراء .

وعلى تقدير الإلصاق كقوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[سورة الفلق آية : ١] ، كأنك ألصقت الاستعانة به ، وقوله : ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [سورة البقرة آية : ٤] ، كأن إيقافهم التصق بالآخرة . ومثله كثير .

وأما الزيادة على قول من يقول بذلك ، فقوله : ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء آية : ٧٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الحج آية : ٢٥] ، قال : المعنى : ومن يرد فيه إلحادا ، وقوله : ﴿تَنْبُتُ بِالدهْنِ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٢٠] معناه : تنبت الدهن .

والصحيح أن ذلك لمعان ، وليس بزيادة . فأما قوله : ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ فمعناه : اكتف بالله شهيدا ، وكذلك : حسبك بزيد ، أي : اكتف بزيد ؛ لأن حسبك بمعنى يكفيك فالباء تدخل في هذا على التقدير . وقوله : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ فإنما تحمل هذا على مصدره ، والمراد : من كانت إرادته واقعة بالإلحاد ، فدخلت الباء للمصدر . وكذلك : ﴿تَنْبُتُ بِالدهْنِ﴾ معناه : تنبت نبتها بالدهن ، وقوله : ﴿وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ﴾ [سورة الزمر آية : ١٢]أي وقع الأمر لأن أكون .

وقال سيبويه : بحسبك زيد . ومعنا ـ على ما ذكرنا ـ أي : اكتف بزيد ، ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿تَنْبُتُ بِالدهْنِ﴾ : إنما تنبت ما يكون منه الدهن ، وهو ثمرها ، والتقدير : تنبت ثمرها بالدهن ، أي : ومعه الدهن .

ومعنى الباء هناك كمعناه في قولك : أذهبته ، إذا حملته على أن يذهب به . ويجوز أن يجعل أنبت هاهنا بمعنى نبت على ما يقوله أهل اللغه ، كما قال زهير

حتَّى إذَا أنبَتَ البَقْلُ

و أنبت ونبت عندنا لغتان فصيحتان .

obeikandl.com

البأس[1]

أصله : الشدة . وفي القرآن : عذابا بئيسا ، أي : شديدا .

وأكثر ما جاء عن العرب : البأس في الحرب ، والبؤس : الشدة في المعيشة . وكذلك البأساء .

وفي القرآن : ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضراءُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٤] ذكرهما للتوكيد ، وهما واحد ، كما قال : العدل والإحسان . هذا قول .

وأجود منه أن يقال : البأساء : الشدة في الحرب ، والضراء : الشدة في المعيشة ، والعدل : الإنصاف في الحكم والإحسان في ذلك ، وفي غيره من الأفعال الحسنة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[سورة هود آية : ٣٦ ، وسورة يوسف آية : ٦٩] أي : لا تغتم . والابتئاس : حزن في استكانة .

والبأس في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : العذاب ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [سورة المؤمن آية : ٨٤] أي : عذابنا ، وقال : ﴿ فَلَمَّا أَحَسوا بَأْسَنَا ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٢]وقال : ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ ﴾[سورة غافر آية : ٢٩]

الثاني : الحرب ، قال الله في البقرة : ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾[سورة البقرة آية : ١٧٧] يعني : الحرب .

---

(١) [بأس] : البَأْسُ : الحَرْبُ ، رَجُلٌ بَئِيسٌ ؛ قد بَؤُسَ بَآسَةً : وهو الشُّجاعُ . والبَأْسَاءُ : اسْمٌ للحَرْبِ ، والمَشَقَّةِ ، والفَقْرِ . [المحيط في اللغة : بأس] .

الفرق بين البأس والخوف : أن البأس يجري على العدة من السلاح وغيرها ونحوه قوله تعالى " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد " ويستعمل في موضع الخوف مجازا فيقال لا بأس عليك ولا بأس في هذا الفعل أي لا كراهة فيه[الفروق اللغوية : ١/ ٨٩] .

الثالث : السطوة والنكاية ، قال تعالى : ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الذِينَ كَفَرُوا﴾[سورة النساء آية : ٨٤] . وقوله : ﴿نَحْنُ أُولُو قُوةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[سورة النمل آية : ٣٣] أي : أولو سطوة ونكاية في العدو .

obeikandl.com

البطلان[1]

أصله من الذهاب . وسمي الباطل باطلا ؛ لأنه لا ثبات له مع الحق ، على حسب قوله تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[سورة الإسراء آية : ٨١] . ورجل بطل : شجاع ، لأنه إذا قاوم قرنا لم يقم له القرن . والبطل والباطل سواء .

وهذا الحرف وما يتشعب منه في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الكذب ، قال : ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[سورة فصلت آية : ٤٢] يعني : الكذب ، إذا لم يكن قبله كتاب يشهد بتكذيبه ، ولا يجيء بعده كتاب يكذبه .ويجوز أن يكون معناه : إن الله يحفظه من أن ينقض ، فيأتيه الباطل من بين يديه ، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه . وعلى هذا تأويل قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر آية : ٩] .

الثاني : الإحباط ، قال : ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢٦٤] [أي : لا تحبطوها] بالمن والأذى وقال : ﴿لا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [سورة محمد آية : ٣٣]

والثالث : خلاف الحق ، قال الله تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٨١] وقيل : يعني : به هاهنا الشرك . فإذا جعلته خلاف الحق كان أعم .

والمراد على القول الأول أن الإسلام قد جاء فهلك الكفر وذهب . والزهوق والزهق : الهلاك ، : ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [سورة الإسراء آية : ٨١] أي : من شأن الباطل إذا جاء الحق أن يذهب ويبطل ولا يثبت ، وذلك من شأنه في ما تقدم ، فكان هنا يفيد ما قلناه .

---

(١) [بطل] : بَطَلَ الشيء يَبطُلُ بُطْلاً ، أي : ذهب باطلاً .
والباطلُ : نقيضُ الحقّ ، قال النّابغة :
لعَمري ، وما عَمْري عليّ بهَيِّنٍ . . . لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليّ الأقارعُ
وأَبطلته : جعلته باطلاً . وأَبْطَلتُ : جئت بكَذِبٍ ، وادّعيتُ غَيْرَ الحقّ .
والتَّبطُّلُ : فِعْلُ البَطالة ، وهو اتّباعُ اللهو والجَهالة . [العين : بطل] .

الرابع : ما يعبد من دون الله ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٥٢] . وقال : ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾[سورة النحل آية : ٧٢] وسماه باطلا ، لأنه لا حجة لأهله يثبتون عبادتهم إياه بها .

والخامس : الظلم ، قال : ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾[سورة البقرة آية : ١٨٨] أي : بالظلم . وبطلان الشيء : ذهابه ، فسمي الظلم باطلا ، لأن الله حكم فيه بأن يبطل ولا يثبت .

والمعنى على ما قال الحسن : هو أن يكون للرجل على صاحبه حق فإذا طالبه دعاه إلى الحاكم ، فيحلف له ، ويبطل حقه ، والحاكم يحكم على الظاهر . وأصل الإدلاء : إلقاء الدلو في البئر . ويقال : أدليت الدلو ، إذ أنزلتها في البئر ، وفي القرآن : ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾[سورة يوسف آية : ١٩] ثم صار كل إلقاء إدلاء ، يقال : أدلى فلان حجته ، إذا أرسلها على صحة ، ودلوت الدلو ، إذا أخرجتها من البئر ، ومنه دلى فلان إلى فلان ، إذا توسل به ، قال الشاعر :

فَقَدْ جَعَلَت إِذَا مَا حَاجَـــةٌ عَرَضَتْ بِبَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْــــوَامِ

obeikandl.com

البر[1]

أصله : السعة . ومنه : البر ، خلاف البحر . ثم استعمل في الزيادة ، فقيل : أبر فلان على فلان ، إذا زاد عليه . والجواد المبر : السابق لكل ما سابقه ، كأنه اتسع لما يتسع له غيره .

وقيل : رجل بار وبر . وفعل بمعنى فاعل معروف . مثل رجل سمح ، ويوم قر . ونحوه : رجل ندب ، أي : منتدب للأمور . ثم استعمل في القبول ، فقيل : بر حجك ، أي : قبل ، وصدقت وبررت تأكيد للصدق .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الصلة ، قال تعالى : ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُوا﴾[سورة البقرة آية : ٢٢٤] يعني أن تصلوا القرابة . وقيل : معنى : ﴿أَنْ تَبَرُوا﴾ أن لا تبروا . وقيل : لا يجوز أن يكون حذف لا وإثباتها سواء في شيء في الكلام .

وإنما المعنى أنه نهاهم عن كثرة الإيمان ، وعن الجرأة على الله ، ليكونوا بررة أتقياء ، والمعنى : لأن تبروا . وكانوا ربما حلفوا ألا يبروا أقرباءهم ، ولا يتكلموا في صلح لأمر معرض لهم . فالذي تشتمل عليه الآية أمران :

أحدهما : النهي عن أن يجعل يمينه مانعة من البر والتقوى والإصلاح بين الناس ، فإذا طلب منه ذلك قال : قد حلفت ، والذي ينبغي في هذا أن يفعل ما حلف عليه ، ويكفر عن يمينه .

---

(١) [بر] : البَرُّ : خِلافُ البَحْرِ . وإنَّه لَبَحِرٌ مُبِرٌّ . وأَبَرَّ وأَبْحَرَ : رَكِبَ البَرَّ والبَحْرَ . والبَرِّيَّةُ : الصَّحْرَاءُ . وخَرَجْتُ بَرّاً : وهو ضِدُّ الكِنِّ .
وَيَقُولُوْنَ : " مَنْ أَصْلَحَ جَوّانِيَّه أَصْلَحَ اللهُ بَرّانِيَّه " أي مَنْ أَصْلَحَ سَرِيْرَتَه أَصْلَحَ اللهُ عَلاَنِيَتَه .
والبَرُّ : البَارُّ بذَوِي قَرَابَتِه ، وقَوْمٌ بَرَرَةٌ وأَبْرَارٌ ، والمَصْدَرُ : البِرُّ .
وصَدَقْتَ وبَرَرْتَ ، وبَرَّتْ يَمِيْنُه ، وأَبَرَّها اللهُ : أي أَمْضَاها على الصِّدْقِ . وبُرَّ حَجُّكَ فهو مَبْرُوْرٌ . وهو يَبَرُّ رَبَّه : أي يُطِيْعُه .
والبِرُّ : الحَجُّ ؛ في قَوْلِه : عَلَيْهِنَّ شُعْثٌ عامِدُوْنَ لِبِرِّهم
وبَرَّةُ : اسْمٌ للبِرِّ مَعْرِفَةٌ . [المحيط في اللغة : ٢/ ٤٢٨] .

و ثانيهما : كثرة الأيمان ، وهو ضرب من الجرأة على الله ، وابتذال لاسمه في كل حق وباطل ، وتقول : هذا الشيء عرضتي ، إذا كنت لا تزال معرض له ، وهو عرضة للناس ، إذا كانوا لا يزالون يقعون فيه ، والناقة عرضة أسفار ؛ إذا كان صاحبها لا يزال يسافر عليها ، وقال حسان :

هُمُ الأَنْظَارُ عُرضَتُهَا اللِّقَاءُ

وقال الله في الممتحنة : ﴿أَنْ تَبَروهُمْ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٨] .

الثاني : بمعنى الطاعة ؛ قال الله : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِ وَالتقْوَى﴾ [سورة المائدة آية : ٢] ، أي : على طاعة الله ، ومثله : ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِ وَالتقْوَى﴾ [سورة المجادلة آية : ٩] ، أي : بالطاعة دون المعصية ، وقال : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ [سورة مريم آية : ٣٢] ، أي : مطيعا لها ، وقال : ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [سورة عبس آية : ١٦] ، أي : مطيعون ، وقال : ﴿كَلا إِن كِتَابَ الأَبْرَارِ﴾ [سورة المطففين آية : ١٨] ، أي : المطيعين ، كذا جاء في التفسير ، وهو وجه ، ولو جعلت ذلك بمعنى الصلة واللطف .

الثالث : بمعنى الثواب ، قال الله : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِر حَتى تُنْفِقُوا مِما تُحِبونَ﴾ [سورة آل عمران آية : ٩٢] ، يعني : الثواب .

الرابع : التقوى ، قال : ﴿لَيْسَ الْبِر أَنْ تُوَلوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٧] ، يعني : التقوى ، وأراد توكيد ما احتج به على سفهاء أهل الكتاب في إنكارهم على المسلمين توجههم إلى الكعبة بعد توجههم إلى بيت المقدس ، فقال : ليس البر كله في التوجه إلى المشرق والمغرب في الصلاة : ﴿وَلَكِن الْبِر مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٧] ، أي : البر بر من آمن بالله ، وهو التقوى ، هكذا جاء في التفسير .

وليس ببعيد أن يكون البر هاهنا بمعنى الطاعة ، ويسمى الطاعة برا في قولهم : هذا من أعمال البر ، أي : مما يطاع الله به ، وحذف لبر الثاني لبيان المعنى ، كما قال الشاعر :

كَيْفَ تُخَالِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ ... خِلالَتُه كَأَبِي مرجب

أي كخلال أبي مرجب .

وهكذا في قوله : ﴿ وَلَكِنِ الْبِرِ مَنِ اتقَى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، أي : ولكن البر بر من اتقى .

وأول الآية : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرِ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، وهو مثل ضربه الله للمشركين في تأخيرهم أشهر الحرم فأخبر الله أن ذلك عكس البر ، كما أن من أتى البيت من ظهوره ؛ فقد عكس أمر الدخول .

وقيل : إن قوما من قريش وثقيف وخزاعة وطائفة من عامر بن صعصعة ؛ كانوا إذا حرموا لا يأقطون الأقط ، ولا يأكلون السمن ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ؛ ولكن من ظهورها وأدبارها ، وظهورها : سطوحها ، فسموا حماه ، والأحمى : المتشدد في دينه ، فأخبر الله أن ذلك ليس من البر ، وأن البر بر من اتقى معاصي الله .

obeikandl.com

البرهان[1]

قال علي بن عيسى -رحمه الله-: البرهان : شاهد صدق في نفسه وشهادته .

والبرهان : حق في نفسه وشهادته .

والبرهان : بيان صدق يظهر به صحة أمر .

والبرهان : ما ثبت المعنى في النفس على ثقة به ، وذلك بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما فصل الحق من الباطل ، وميز الصحيح من الفاسد بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما أوجب الثقة وأزال التهمة بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما أوصل النفس إلى إدراك الحق بالبيان الذي فيه ؛ فكأن البرهان آلة بها يتم إدراك النفس للحق .

وقيل : جاء البرهان بمعنى الدليل والدلالة .

والفرق بين الدلالة والبرهان أن الدلالة : ما أحضر المعنى النفس ، والبرهان : ما ثبت المعنى في النفس بالبيان الذي فيه ؛ فكأن الدلالة آلة الإحضار ، والبرهان آلة لتثبيته في النفس

---

(١) قال الجرجاني : البرهان : هو القياس المؤلف من اليقينيات ، سواء كانت ابتداءً ، وهي الضروريات أو بواسطة ، وهي النظريات . والحد الأوسط فيه لا بد أن يكون علّةً لنسبة الأكبر إلى الأصغر ، فإن كان مع ذلك علةً لوجود تلك النسبة في الخارج أيضاً ، فهو برهان لِمّي ، كقولنا : هذا متعفن الأخلاط ، وكل متعفّن الأخلاط محموم ، فهذا محموم ، فتعفن الأخلاط ، كما أنه علة لثبوت الحمى في الذهن ، كذلك علة لثبوت الحمى في الخارج ، وإن لم يكن كذلك كان لا يكون علة للنسبة إلا في الذهن ، فهو برهان إنّي ، كقولنا : هذا محموم ، متعفن الأخلاط ، فهذا متعفن الأخلاط ، فالحمى ، وإن كانت علةً لثبوت تعفن الأخلاط في الذهن ، إلا أنها ليست علة له في الخارج ، بل الأمر بالعكس .

وقد يقال على الاستدلال من العلة إلى المعلول : برهان لِمّيّ ، ومن المعلول إلى العلة : برهان إنّيّ .

البرهان التطبيقي : هو أن تفرض من المعلول الأخير إلى غير النهاية جملةً ، ومما قبله ، بواحد مثلاً ، إلى غير النهاية ، جملة أخرى ، ثم تطبق الجملتين ، بأن تجعل الأول من الجملة الأولى بإزاء الأول من الجملة الثانية ، والثاني بالثاني ، وهلم جرًّا ، فإن كان بإزاء كل واحد من الأولى واحد من الثانية ، كان الناقص كالزائد ، وهو محال ، وإن لم يكن فقد يوجد في الأولى ما لا يوجد في إزائه شيء في الثانية ، فتنقطع الثانية وتتناهى ، ويلزم منه تناهي الأولى ، لأنها لا تزيد على الثانية بقدر متناهٍ ، والزائد على المتناهي بقدرٍ متناهٍ يكون متناهياً بالضرورة . . [التعريفات : البرهان] .

على جهة الثقة به ، وكل برهان ففيه معنى الدلالة ، وليس كل دلالة فيها معنى البرهان ، ألا ترى أن الاسم دلالة على معناه ؛ وليس ببرهان على معناه ، وكذلك هداية الطريق دلالة عليه وليس ببرهان عليه ، وسمعت من يقول إنه فارس معرب ، ولا أعرف ما صحة ذلك .

ويجوز أن يكون أصله من البرهة ، وهي القطعة من الدهر ، كأن البرهان قطعة من القول ، أو هو قطع بين الحق والباطل وفصل ، كما أن البرهة فصل بين الزمانين ، والنون فيه زائدة ، كما زيدت في "السلطان" ؛ وهو من السليط .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الحجة ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ١١١] ، أي : حجتكم بأن معه آلهة ، وفي النمل : ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة النمل آية : ٦٤] .

الثاني : الآية ، قال الله تعالى : ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِكَ﴾ [سورة القصص آية : ٣٢] ، أي : آيتان ، وقال : ﴿لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِهِ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٤] ، يعني آية من آيات ربه .

البعل[1]

أصله من القيام بالأمر ، ومن ثم قيل للنخلة التي تستغني بماء السماء عن سقي العيون : بعل . وقد استبعل النخل : صار بعلا .

وهو في القرآن على وجهين :

أحدهما : الزوج[2] ، قال : ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [سورة هود آية : ٧٢] ، والزوجة : بعلة ، ولا يقال : هو بعلها حتى يدخل بها ، وهو زوجها على كل حال . وكذلك القول

---

(١) [بعل] : البَعْلُ : الزّوجُ . يقال : بَعَلَ يَبْعَلُ بَعْلاً وبُعولة فهو بَعْل مستبعل ، وامرأة مستبعل ، إذا كانت تحظَى عند زوجها ، والرّجل يتعرّس لامرأته يطلب الحُظْوَة عندها . والمرأة تتبعّل لزوجها إذا كانت مطيعةً له .

والبَعْلُ : أرضٌ مرتفعة لا يُصيبُها مطر إلاّ مرّةً في السّنة . قال سلامة بن جندل :

إذا ما عَلَوْنا ظهرَ بَعْلٍ عَريضَةٍ *** تخالُ علينا قَيْضَ بَيْضٍ مُفلَّقِ

ويقال : البَعْلُ من الأرضِ التي لا يَبْلُغُها الماءُ إنْ سيق إليها لارتفاعها .

ورجل بَعِلٌ ، وقد بَعِل يَبْعَلُ بَعَلاً إذا كان يصير عند الحرب كالمبهوت من الفرق والدّهش . قال أعشى همْدان :

فجاهَدَ في فُرسانِهِ ورجالِهِ*** وناهَضَ لم يَبْعَلْ ولم يتهيّب

وامرأة بَعْلَةٌ : لا تُحسنُ لبسَ الثّياب .

والبَعْلُ من النَّخل : ما شرب بعروقه من غير سقي سماء ولا غيرها . قال عبد الله بن رَواحة :

هنالك لا أبالي سقيَ نَخْل *** ولا بَعْلٍ وإنْ عَظُمَ الإتاءُ

الإتاء : الثّمرة . والبَعْلُ : الذّكر من النّخل ، والنّاس يسمّونه : الفَحْل . قال النّابغة :

من الواردات الماء بالقاعِ تستقي *** بأذنابِها قبلَ استقاءِ الحناجِرِ

أراد بأذنابها : العروق .

والبَعْلُ : صَنَمٌ كان لقوم إلياس . قال الله عزّ وجلّ : أتدعون بَعْلاً .

والتّباعُلُ والمُباعَلَةُ والبِعالُ : مُلاعَبة الرّجلِ أهلَه ، تقول : باعَلَها مُباعَلة ، وفي الحديث : أيّام شرب وبعالٍ .

[العين : بعل] .

(٢) الفرق بين البعل والزوج : أن الرجل لا يكون بعلا للمرأة حتى يدخل بها وذلك أن البعال النكاح والملاعبة ومنه قوله عليه السلام " أيام أكل وشرب وبعال " وقال الشاعر :

وكم من حصان ذات بعل تركتها *** إذا الليل أدجى لم تجد من تباعله

وأصل الكلمة القيام بالامر ومنه يقال للنخل إذا شرب بعروقه ولم يحتج إلى سقي بعل كأنه يقوم بمصالح نفسه . [الفروق اللغوية : ١/ ١٠٤] .

فيها ، والشاهد قولهم : باعلها ، أي : جامعها ، وفي الحديث : "أيام أكل وشرب وبعال"[1] ، أي : جماع .

والآخر : بمعنى الرب ، قال : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلا﴾ [سورة الصافات آية : ١٢٥] ، أي : ربا غير الله .

(١) أخرجه مسلم من حديث نبيشة بن عبد الله وكعب بن مالك (١١٤٤) ، من غير كلمة " بعال" ، وأخرجه الترمذي من حديث عقبة بن عامر (٧٧٣) ، وأخرجه أبو داود من حديث عقبة (٢٤١٩) ، وأخرجه الدارقطني بلفظه في السنن من حديث عبد الله بن حذافة (٢٣٨٢) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده من حديث أم عمرو بن سليم (٢٤٢٠) .

obeikandl.com

بل

أصلها في العربية : الإضراب عن الاول ، وإثبات الثاني ، تقول : لقيت زيدا بل عمرا فتركت الأول ، وأخذت تذكر شيئا آخر ، غلطت في الأول ، أو بدا لك فيه ، فتداركت كلامك بـ "بل" فجعلت الأمر للثاني ، وأخرجت الأول مما دخل فيه الثاني .

ثم جاء في القرآن لغير الغلط والاستدراك والبداء ، ولكن لترك قصة إلى أخرى ، كأنه قال : دع هذا مع تمام فائدته إلى فائدة أخرى ، ومثل هذا يكون منا أيضا ، يقول أحدنا : جاءني الحاجب بل الأمير ، أي : دع مجيء الحاجب مع أفدتك به ، فالأمير هذا أمره .

وينقسم في القرآن على وجهين :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٥] ، كأنه قال : دع ما تقدم ذكره من أمرهم ، وخذ في أنهم قالوا : إن القرآن أضغاث أحلام ، وأضغاث الأحلام : مختلطاتها التي لا تأويل لها ، ثم حكى عنهم فقال تعالى : ﴿بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٥] ، والمراد أنه اختلط عليهم أمرهم ، فكذبوا أنفسهم ، وخرجوا من شيء إلى شيء ، وهذا على سبيل الإضراب عن الأول وإثبات الثاني .

ومثل الوجه الأول قوله : ﴿بَلِ ادارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾[1] [سورة النمل آية : ٦٦] ، فـ : ﴿ادارَكَ﴾ لفظ ماض ومعناه الاستقبال ، أي : بل يتكامل علمهم في الآخرة إذا حصلوا فيها ، ويوقنون أن ما وعدوا منها في الدنيا حق .

---

(١) قال الطبري : قوله :(بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قرّاء أهل الكوفة :(بَلِ ادَّارَكَ) بكسر اللام من "بل" وتشديد الدال من "ادراك" ، بمعنى : بل تدارك علمهم أي تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا ثم أدغمت التاء في الدال كما قيل :(اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأرْضِ) .

وقرأته عامة قرّاء أهل مكة : "بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ" بسكون الدال وفتح الألف ، بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة . وكان أبو عمرو بن العلاء يُنكر فيها ذكر عنه قراءة من قرأ : "بَلْ أَدْرَكَ"ويقول : إن "بل" إيجاب والاستفهام في هذا الموضع إنكار . ومعنى الكلام : إذا قرئ كذلك "بَلْ أَدْرَكَ" لم يكن ذلك لم يدرك علمهم في الآخرة ، وبالاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذي ذكرت أن أبا عمرو أنكره .

وبنحو الذي ذكرت عن المكيين أنهم قرءوه ، ذُكر عن مجاهد أنه قرأه ، غير أنه كان يقرأ في موضع بل : أم .

وأصل : ﴿ادارَكَ﴾ : تدارك كأنه قال : قد يدرك بعض علمهم بعضا في الآخرة حتى يتكامل ، ثم قال : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، وهذا إخبار عن الدنيا ، كأنه قال : دع ما تقدم ذكره من تكامل علمهم في الآخرة بأن ما وعدوا منها حق مع ما أفدتك بذلك ، وخذ في أنهم في الدنيا شاكون في البعث ، ثم قال : ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، أي : دع ما تقدم من ذكر شكهم ، وخذ في أنهم عمون عنه ، أي : جاهلون ، والشاك في الشيء بمنزلة الجاهل به ، وقوله : ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، توكيد لقوله : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، وهذا كقولك : فلان جاهل بكذا ، بل هو أعمى عنه ، تريد توكيد ما وصفته به من الجهل .

وأما "بلى" فليس من "بل" في شيء ، و"بلى" لا يكون إلا جوابا لما كان فيه حرف جحد ، كقوله تعالى : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧٢] ، وقوله : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٠ ، الزمر : ٧١] ، ثم قال في الجواب : ﴿قَالُوا بَلَى﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧٢] ، وهو مخالف لنعم لأن نعم لا يكون إلا جوابا للاستفهام بلا جحد ؛ كقوله تعالى : ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقا قَالُوا نَعَمْ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤٤] ، وكذلك جواب الخبر ، إذا قال : فعلت ذلك ، قلت : نعم لعمري قد فعلته .

وقال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ "بَلْ أَدْرَكَ" القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، وهو أن معناه : إذا قرئ كذلك(وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون ، فلا ينفعهم علمهم به حينئذ ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شكّ ، بل هم منها عمون .

وإنما قلت : هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، على القراءة التي ذُكِرَت ؛ لأن ذلك أظهر معانيه . وإذ كان ذلك معناه ، كان في الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ظهر منه عنه ، وذلك أن معنى الكلام : وما يشعرون أيان يُبْعثون ، بل يشعرون ذلك في الآخرة ، فالكلام إذا كان ذلك معناه ، وما يشعرون أيان يبعثون ، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة ، بل هم في الدنيا في شك منها . وأما على قراءة من قرأه(بَلِ ادَّارَكَ) بكسر اللام وتشديد الدال ، فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يكون معنى بل : أم ، والعرب تضع أم موضع بل ، وموضع بل : أم ، إذا كان في أول الكلام استفهام . [جامع البيان :١٩/٤٨٨-٤٨٩] .

وقال الفراء : وإنما امتنعوا أن يقولوا في جواب الجحود نعم لأنه إذا قال الرجل لصاحبه : أمالك علي شيء ؛ فلو قال الآخر : نعم ، كان كأنه صدقه ، كأنه قال : نعم ليس لي عليك شيء ، فإذا قال : بلى ؛ فإنما هو رد لكلام صاحبه ، أي : بلى لي عليك شيء . فلذلك اختلف نعم وبلى .

obeikandl.com

الباب الثالث

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله تاء

التأويل[1]

أصل التأويل من الأول ، وهو : الرجوع ، يقال : آل الشيء ؛ إذا رجع ، وأول الكلام تأويلا ، إذا رده إلى الوجه الذي يعرف منه معناه ، وقوله : ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، أي : يأتي ما يؤول إليه أمرهم في البعث ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، أي : ما يرجع إليه معناه ، وقيل : ﴿وَالراسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنا بِهِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، أي : بالبعث ، وليس بالوجه ؛ لأنه ليس للبعث هاهنا ذكر .

والتأويل في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، قال أبو علي رضي الله عنه يعني تفسير المتشابه به كله على حقائقه ، وذلك أن في القرآن أمورا مجملة ، مثل أمر الساعة وأمر صغائر الذنوب التي شرط غفرانها باجتناب الكبائر ، واستدل على هذا بقوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، فجعل الموعود الذي وعدهم إياه في القرآن تأويلا للقرآن .

---

(١) قال الجرجاني : **التأويل في الأصل** : الترجيع . وفي الشرع : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة ، مثل قوله تعالى : " يخرج الحيَّ من الميت " إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً ، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر ، أو العالم من الجاهل ، كان تأويلاً .

وقال أيضا في موضع آخر : والفرق بين التأويل والبيان ، أن التأويل ما يذكر في كلام لا يفهم منه معنًى محصل في أول وهلة ، والبيان ما يذكر فيما يفهم ذلك لنوع خفاء بالنسبة إلى البعض . [التعريفات :التأويل ، وبيان التفسير] .

وجاء في التفسير أن التأويل هاهنا منتهي مدة ملك أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن اليهود حسبوا ليعلموا ذلك ، فأعلمهم الله أنه لا يعرف ذلك بالحساب ، وإنما يعرف من قبل الله تعالى .

والتأويل والتفسير واحد ، لأن معنى التأويل يعود إلى التفسير ، ويفرق بينهما من وجه ذكرناه في "كتاب الفروق" وهو أن التفسير هو الإخبار عن إفراد آحاد الجملة ، والتأويل : الإخبار بمعنى الكلام ، وقيل : التفسير إفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل ، والتأويل : الإخبار عن غرض المتكلم بكلامه .

والثاني : عاقبة الأمر وما يؤول إليه ، وهو قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، يذكر قوما أوعدوا بالعذاب ، فتطلعوا عاقبة ما أوعدوا به رادين له ، فقال : هل ينظرون إلا تأويل ذلك المصير وتلك العاقبة ، أي : مرجعه ومآبه .

وقوله : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [سورة يونس آية : ٣٩] ، أي : لم تأتهم عاقبة ما وعدهم في القرآن أنه كائن في الآخرة من الوعيد ، ولم يعن أنه لم يأتهم العلم وتفسيره ، لأن جميع ما في القرآن مفهوم المعنى ، ولو كان فيه شيء لا يفهم معناه لم يكن لإنزاله وجه .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [سورة النساء آية : ٥٩ ، الإسراء : ٣٥] ، أي : عاقبة .

والثالث : تعبير الرؤيا ، قال : ﴿يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف آية : ٦] ، يعني : تعبير الرؤيا . وقال : ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٦] ، وقال : ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٥] ، وقال : ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠١] ، يعني : بجميع ذلك تعبير الرؤيا ، وسميت الرؤيا أحاديث ؛ لأن منها ما يصح ، ومنها ما لا يصح ، مثل الأحاديث التي يتحدث بها صدقا وكذبا . فأما رؤيا الأنبياء عليهم السلام خاصة فيقين .

الرابع : التحقيق ، قال : ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠٠] ، جاء في التفسير أنه أراد : تحقيق رؤياي ، وهو حسن ، ويجوز أن يكون معناه : تفسير رؤيا و : ﴿يَا أَبَتِ﴾ بالكسر على حذف ياء الإضافة ، ويجوز بالفتح على حذف الألف المنقلبة عن ياء الإضافة ، وأجاز الفراء الضم ، ولم يجزه الزجاج ، إلا أن التاء عوض عن ياء الإضافة ، وقال علي بن عيسى : هو جائز ، لأن العوض لا يمنع من الحذف .

الخامس : قوله : ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٧] ، جاء في التفسير أنه أراد بألوانه قبل أن يأتيكما ، والمراد بتسميته بألوانه وصفاته ؛ كأنه يفسره لهما ، فلهذا سماه تأويلا ، وسمي تفسير الشيء تأويلا ، لأنه مآل لبيان معناه ، و : ﴿نَبَّأْتُكُمَا﴾ [سورة يوسف آية : ٣٧] ، أخبرتكما ، والنبأ : الخبر العظيم ، لا يكون إلا كذلك .

وخرج لنا بعد وجه آخر ، وهو قوله : ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [سورة النساء آية : ٥٩ ، الإسراء : ٣٥] ، قال مجاهد : أي : جزاء ، قلنا : وذلك أن الجزاء هو الشيء الذي آلوا إليه .

تولى

يقال : ولي الشيء يليه ، إذا قرب منه ، وداري يلي دارك ، وولاية الأعمال ، من ذلك ، وكذلك : الولي ، وهو : المطر الذي يلي الوسمي ، والوسمي أول مطر يجيء ، والولي : الذي يليه ، ومنه : الولي ، خلاف العدد ، لأنه يقرب منك ، ثم قيل : ولى عنه ، وتولى عنه ، إذا أعرض وبعد .

والتولي في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الانصراف ، قال : ﴿ثُم تَوَلى إِلَى الظل﴾ [سورة القصص آية : ٢٤] ، دل على أنه كان في الشمس فانصرف إلى الظل ، ومثله : ﴿ثُم تَوَل عَنْهُمْ﴾ [سورة النمل آية : ٢٨] ، أي : انصرف ، ومثله : ﴿تَوَلوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدمْعِ﴾ [سورة التوبة آية : ٩٢] .

والثاني : بمعنى الامتناع ، قال : ﴿فَإِنْ تَوَلوْا فَاعْلَمْ أَنمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٩] ، معناه : فإن امتنعوا من الإيمان بك والرضا بحكمك ، وقوله : ﴿أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٩] ، أي : لما امتنعوا من ذلك أراد الله عقوبتهم ، فعجل بعضها لهم في الدنيا ، والإصابة بالذنب : الإصابة بعقوبة الذنب ، كما قال : ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة هود آية : ٨] ، أي : حاق بهم جزاؤه ، وقوله : ﴿حَتى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ الله فَإِنْ تَوَلوْا﴾ [سورة النساء آية : ٨٩] ، أي : فإن امتنعوا من الإيمان والهجرة ، وكان هؤلاء قوم من المنافقين زعموا أنهم احتووا المدينة واستأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في الخروج منها إلى البدو ، فأذن لهم ، فخرجوا ولحقوا بالمشركين ، فأمر الله أن يؤخذوا ويقتلوا حيث وجدوا ، لأنهم كفار ، إلا أن يرجعوا إلى المدينة .

والثالث : الإعراض ، قال الله : ﴿وَمَنْ تَوَلى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [سورة النساء آية : ٨٠] ، وقال : ﴿فَإِنْ تَوَلَيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ [سورة يونس آية : ٧٢] ، وقال : ﴿فَتَوَل عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [سورة الذاريات آية : ٥٤] ، كل هذا بمعنى الإعراض على ما قالوا وهو الأصل ، ويكون الإتيان الأوليان من هذا الوجه بمعنى الامتناع .

والرابع : قالوا : الهزيمة ، قال تعالى : ﴿فَلا تُوَلوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٥-١٦] ، يعني : الهزيمة عنهم ، ومصدر هذا التولية ، وليس بالتولي ، نهى الله تعالى المؤمنين أن يولوا الكفار أدبارهم في القتال إلا أن ينحرف أحدهم من موضع لا يمكنه فيه الضرب والطعن إلى موضع يمكنه فيه ذلك ، أو أن يضيق عليه فليلتجئ إلى جماعة من المسلمين ، فينضافوا معه على مدافعة العدو ، ومن يولي عن العدو على غير هذين الوجهين فقد باء بغضب من الله ، أي : استحق الغضب من الله مقابلة بقبيح فعله ، وهو من البواء في القتل ، وهو أن يقتل بالرجل كفوه .

قال أبو بكر الرازي رحمه الله : "وهذا الحكم عندنا ثابت ما لم يبلغ عدد جيش المسلمين اثنى عشر ألفا ، فإذا بلغ ذلك فليس لهم أن ينهزموا عن مثلهم إلا متحرفين لقتال" ، والحجة حديث ابن عباس عنه عليه السلام "خير الأصحاب أربعة ، وخير السرايا أربعة مائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة"[1] ، وسأل رجل مالكا ، فقال : أيسعنا قتال من خرج من أحكام الله وحكم بغيرها ، فقال مالك : إن كان معك اثنا عشر ألفا مثلك لم يسعك التخلف ، وإلا فأنت في سعة من ذلك .

وقال بعضهم : هذه الآية في أهل بدر ؛ وليس الفرار من الزحف كبيرة ، وهذا غلط ، لأن النفي عام ، وليس لأحد تخصيصه ، ولا يكون المجمل إلا على العموم ، وقيل : هذا الوعيد لازم لمن فر عن الزحف حبا للحياة ، فأما من لم يجد بدا من الفرار فهو في سعة .

والزحف : السير الثقيل ، وبه يوصف العساكر ، لأنها إذا دنت من العدو ، سارت على تعبئة ، وسير الجماعة المعبأة رويدا .

الخامس : بمعنى ولاية الأمر ، قال : ﴿وَالذِي تَوَلى كِبرَهُ مِنهُم﴾ [سورة النور آية : ١١] ، بالكسر ، أي : تولى الإثم فيه ، كأنه صار صاحب الإثم فيه ، وقرئ كبره ، أي : معظمه ، وكبر الشيء : معظمه ، وكذلك كبره : لغتان ، وقيل كبر : مصدر الكبير من الأمور ، وكبر : مصدر الكبير السن ، مثل : الكبر ، والكبر : الكبير أيضا .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس (٢٧١٣) ، والدارمي (٢٤٣٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٧١٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج٩/ ١٥٦ .

والسادس : بمعنى الولاية ، خلاف العداوة ، قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فَإِنَّهُ مِنهُم﴾ [سورة المائدة آية : ٥١] ، وقوله : ﴿لا تَتَوَلَّوا قَومًا غَضِبَ اللهُ عَلَيهِم﴾ [سورة الممتحنة آية : ١٣] ، يأمرهم بعداوتهم أن لا يناصحوهم .

obeikandl.com

التقى[١]

أصل التقى : أن تجعل بينك وبين من تخافه حاجزا ، قال النابغة :

سَقَطَ النَّصيفُ وَلم تُرِد إسقَاطَه فَتَنَاوَلَتــه واتَّقَتنَا باليَـد

ثم كثر حتى قيل : توقيته ، إذا هبت الإقدام عليه ، ويقال : تقاه يتقيه ، واتقاه يتقيه وتوقاه يتوقاه ، والمتقي في أسماء الدين : هو الذي يؤدي الفرائض ، ويجتنب المحارم ، ويجعل ذلك بينه وبين النار جنة ، ولا يستحقه مطلقا إلا المستحق للثواب ، ويجري على غيره مقيدا ، وقال الشاعر يصف سيوفا :

جَلاهَا الصَّيقلونَ فَأَخلصُوا جعافًا كـلُّـهَـا يُـتَّـقَـى بـأَثَـرِ

والأثر : والأثر ماء السيف وفرنده ، كأنها تجعل ذلك بينها وبين من يريد عيبها ، والإقدام عليها حاجزا ، وذلك أنه إذا رأى أثرها لم يعبها ، أو ترك الإقدام على أصحابها .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الخشية ، قال الله تعالى : ﴿ يَأَيهَا النَاسُ اتقُوا رَبكُمُ ﴾ [سورة النساء آية : ١ ، الحج : ١ ، لقمان : ٣٣] ، أي : اخشوا عقابه ، واجعلوا الإيمان بينكم وبينه ، وقال : ﴿ إِذ قَالَ لَهُم أَخُوهُم نُوحٌ أَلا تَتقُونَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٠٦] ، ومثله كثير .

الثاني : بمعنى العبادة ، قال الله تعالى : ﴿ مَا لَكُم مِن إِلَهٍ غَيرُهُ أَفَلا تَتقُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٦٥] ، أي : أفلا تعبدون ، وقال : ﴿ وَأَنَا رَبكُم فَاتقُونِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٢] ، هكذا جاء في التفسير ، ويكون ذلك أيضا بمعنى الخشية ؛ لأنه إذا قال :

---

(١)(ت ق ي) : رَجُلٌ تَقِيٌّ أَيْ زَكِيٌّ وَقَوْمٌ أَتْقِيَاءُ وَتَقِيَ يَتْقَى مِنْ بَابِ تَعِبَ تُقَاةً وَالتُّقَى جَمْعُهَا فِي تَقْدِيرِ رُطَبَةٍ وَرُطَبٍ وَاتَّقَاهُ اتِّقَاءً وَالِاسْمُ التَّقْوَى وَأَصْلُ التَّاءِ وَاوٌ لَكِنَّهُمْ قَلَبُوا . [المصباح المنير : التاء مع القاف]
والفرق بين التقي والمتقي والمؤمن : أن الصفة بالتقي أمدح من الصفة بالمتقي لانه عدل عن الصفة الجارية على الفعل للمبالغة والمتقي أمدح من المؤمن لان المؤمن يطلق بظاهر الحال والمتقي لا يطلق إلا بعد الخبرة وهذا من جهة الشريعة والاول من جهة دلالة اللغة ، والايان نقيض الكفر والفسق جميعا لانه لا يجوز أن يكون الفعل إيانا فسقا كما لا يجوز أن يكون إيانا كفرا إلا أن يقابل النقيض في اللفظ بين الايان والكفر أظهر .[الفروق اللغوية :١/ ١٣٧] .

أنا ربكم ، فقد أخبر أنه القادر عليهم ، وإذا كان كذلك فينبغي أن يخشى عقابه ، ولا يعصى ، ويرغب في ثوابه ، فيعبد ويطاع .

الثالث : الإيمان قال تعالى : ﴿أَنِ اعبُدُوا اللهَ وَاتقُوهُ﴾ [سورة نوح آية : ٣] ، أي : أن توحدوه ، ودليل ذلك قوله : ﴿وَإِن تَكفُرُوا فَإِن لله مَا فِي السمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ﴾ [سورة النساء آية : ١٣١] ، ووضعه الكفر بإزاء التقوى دليل على أن المراد بالتقوى : الإيمان .

والرابع : الإخلاص ، قال الله تعالى : ﴿فَإِنهَا مِن تَقوَى القُلُوبِ﴾ [سورة الحج آية : ٣٢] .

والخامس : الانتهاء إلى المأمور به ، وترك تجاوزه ، قال : ﴿وَأتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا وَاتقُوا اللهَ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، أي : انتهوا إلى أمره في ذلك ، ولا تجاوزوه .

وكل هذه الوجوه متقاربة ، يجوز قيام بعضها مقام بعض .

التمني[1]

يُقال : تمنى الرجل الشيء ، إذا قدر في نفسه بلوغه ، ومنه : منى الله لك كذا ، أي : قدره ، وقال الشاعر :

ما تمني لك الأماني

ومنينا من فلان بكذا ، أي : ابتلينا ، ولا يقال ذلك إلا في المكروه .

وسميت المنية منية ، لأنها مقدرة ، وقيل للمني مني ، لأن الولد مقدر منه ، والتمني : قول الرجل : يا ليتني كنت كذا .

والتمني في القرآن على وجهين :

---

(١) قال الجرجاني : التمني : طلب حصول الشيء سواء كان ممكناً أو ممتنعاً .[التعريفات :١/ ٢١] .

الفرق بين التمني والارادة : أن التمني معنى في النفس يقع عند فوت فعل كان للمتمني في وقوعه نفع أو في زواله ضرر مستقبلا كان ذلك الفعل أو ماضيا ، والارادة لا تتعلق إلا بالمستقبل ، ويجوز أن يتعلق التمني بما لا يصح تعلق الارادة به أصلا وهو أن يتمنى الانسان أن الله لم يخلقه وأنه لم يفعل ما فعل أمس ولا يصح أن يريد ذلك ، وقال أبو علي رحمه الله : التمني هو قول القائل ليت الامر كذا فجعله قولا وقال في موضع آخر التمني هو هذا القول وإضمار معناه في القلب ، وإلى هذا ذهب أبو بكر بن الاخشاد ، والتمني أيضا التلاوة قال الله تعالى " إذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته " .

وقال ابن الانباري : التمني التقدير قال ومنه قوله تعالى " من نطفة إذا تمنى " ، وتمنى كذب وروي أن بعضهم قال للشعبي : أهذا مما رويته أو مما تمنيته أي كذبت في روايته ، وأما التمني في قوله تعالى " فتمنوا الموت إن كنتم صادقين " فلا يكون إلا قولا وهو أن يقول أحدهم ليته مات ، ومتى قال الانسان ليت الآن كذا فهو عند أهل اللسان متمن غير اعتبارهم لضميره ويستحيل أن يتحداهم

بأن يتمنوا ذلك بقلوبهم مع علم الجميع بأن التحدي بالضمير لا يعجز أحدا ولا يدل على صحة مقالته ولا فسادها لان المتحدي بذلك يمكنه أن يقول تمنيت بقلبي فلا يمكن خصمه إقامة الدليل على كذبه ، ولو إنصرف ذلك إلى تمني القلب دون العبارة باللسان لقالوا قد تمنينا ذلك بقلوبنا فكانوا مساوين له فيه وسقط بذلك دلالته على كذبهم وعلى صحة ثبوته فلما لم يقولوا ذلك علم أن التحدي وقع بالتمني لفظا .

الفرق بين الشهوة والتمني : قيل التمني : معنى في القلب وليس هو من قبيل الشهوة ، ولا من قبيل الارادة ، لان الارادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه . والشهوة لا تتعلق إلا بما مضى . والارادة والتمني قد يتعلقان بالماضي .

وقيل : الفرق بين التمني والارادة : أن الارادة من أفعال القلوب ، والتمني قول القائل : ليت كان كذا وليت لم يكن ، ويؤيده أن أهل اللغة ذكروا التمني في أقسام الكلام . [الفروق اللغوية :١/ ١٤٢ ، ٣٠٦]

الأول : هذا القول ، وهو قوله تعالى : ﴿فَتَمَنَّوُا المَوتَ إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ [سورة الجمعة آية : ٦] ، وذلك أن اليهود قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فقال الله لهم : إن كنتم كذلك فتمنوا الموت لتموتوا ، فتصيروا إلى الثواب عاجلا ، ثم أخبر أنهم لا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم من الذنوب ، فكان هذا خبر غيب دالا على صدق الدعوة ، فلم يكن فيهم أحد يقول : إني تمنيت ولم أمت ، وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير .

والثاني : القراءة ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ وَلا نَبِي إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلقَى الشيطَانُ فِي أُمنِيَتِهِ﴾ [سورة الحج آية : ٥٢] ، يقال : تمنى الرجل إذا قرأ ، قال الشاعر :

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيلَـــــــة وَآخِرهَا لا فِي حِمَامِ المَقَــــــادِرِ

والرسول والنبي واحد ، وإنما أراد التوكيد فكرره كما تقول : أحب كل مؤمن ومسلم ، والمؤمن والمسلم سواء ، وعلى هذا فإن بين المؤمن والمسلم فرقا في العربية ، وكذلك بين الرسول والنبي ، وأما في أسماء الدين فكل ذلك سواء ، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا قرأ القرآن غلط الغلط الذي يجوز مثله على القارئ ، وكان الله ينبهه على الصواب ، فيرجع إليه ، فعاب ذلك عليه أعداؤه ، وليس فيه عيب ؛ لأن البشر لا يخلو من السهو والغلط ، وجعل الله تنبيهه إياه على الغلط نسخا له ، ورده إلى الصواب إحكاما لآياته .

وأما ما روي أنه صلى الله عليه وآله قرأ : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، تلك الغرانيق العلى ، منها الشفاعة ترتجى ، ثم سجد ، وسجد المشركون ، وقالوا : قد رجع إلى دينكم ، فإن ذلك كذب ، لأن القارئ لا يغلط بمثل هذا ، ولا يجوز أن يقوله النبي صلى الله عليه وآله تعمدا ، لأنه كفر ، ولا يقع الكفر من الأنبياء .

وأخرى فإنه لا خلاف بين الرواة أنه صلى الله عليه وآله ، كان لا يمكنه الصلاة عند الكعبة ظاهرا ؛ لما كان المشركون ينالونه به من المكروه ، فكان يصلي عندها ليلا حين لا يطلع عليه أحد منهم ، فكيف سجدوا لقراءته ، وهذه حاله عندهم ، حتى كأنهم كانوا على ميعاد منه ؟ ! .

التوفي[1]

أصل الوفاء : التمام وشيء واف : تام ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوفُوا بِعَهدِي أُوفِ بِعَهدِكُم ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٠] ، أي : قوموا بأوامري على التمام أعطكم جزاء أعمالكم على التمام .

وتوفيت حقي ، واستوفيته ، إذا أخذته بتمامه ، ومعنى توفي الله الأنفس : قبضها عند تمام آجالها ، وقد وفيت الرجل حقه ، وأوفيت له ، إذا تممت عهده ، وخلافه : الغدر ، وهو أن تترك الوفاء به ، وأصل الغدر : الترك ، يقال : غادر الشيء ، وأغدره ، إذا تركه .

والتوفي في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الإنامة ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الذِي يَتَوَفاكُم بِاللَيلِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٠] كأنه يقبض العقل والذهن الذي تميز به الأشياء .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ فَلَما تَوَفيتَنِي كُنتَ أَنتَ الرقِيبَ عَلَيهِم ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] وروي عن الحسن ؛ أنه قال : التوفي هاهنا : رفعه إلى السماء .

ومثله قوله : ﴿ إِني مُتَوَفيكَ وَرَافِعُكَ إِلَي ﴾ [سورة آل عمران آية : ٥٥] أي : آخذك من بين بني إسرائيل ، ورافعك إلى السماء حيث لا ينفذ إلا حكمي ، ولا يريد أن الله في السماء ، وشبه رفعه إلى السماء بالموت ؛ لأنه يفقد عند الرفع كي يفقد عند الموت ، وقيل : الرفع هنا رفع المنزلة .

الثالث : قبض الروح ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِما نُرِيَنكَ بَعضَ الذِي نَعِدُهُم أَو نَتَوَفيَنكَ ﴾ [سورة غافر آية : ٧٧] ، وقال : ﴿ يَتَوَفاكُم مَلَكُ المَوتِ الذِي وُكِلَ بِكُم ﴾ [سورة السجدة آية : ١١] ، وقال : ﴿ الذِينَ تَتَوَفاهُمُ المَلائِكَةُ ﴾ [سورة النحل آية : ٢٨ ، ٣٢] يعني : أنهم يقبضون أرواحهم .

---

(١)(و ف ي) : وَفَيْتُ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ أَفِي بِهِ وَفَاءً وَالْفَاعِلُ وَفِيٌّ وَالْجَمْعُ أَوْفِيَاءُ مِثْلُ صَدِيقٍ وَأَصْدِقَاءَ وَأَوْفَيْتُ بِهِ إِيفَاءً وَقَدْ جَمَعَهُمَا الشَّاعِرُ فَقَالَ أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النَّجْمِ حَادِيهَا .
وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَوْفَى نَذْرَهُ أَحْسَنَ الْإِيفَاءَ فَجَعَلَ الرُّبَاعِيَّ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَقَالَ الْفَارَابِيُّ أَيْضًا أَوْفَيْتُهُ حَقَّهُ وَوَفَّيْتُهُ إِيَّاهُ بِالتَّثْقِيلِ وَأَوْفَى بِمَا قَالَ وَوَفَّى بِمَعْنًى وَأَوْفَى عَلَى الشَّيْءِ أَشْرَفَ عَلَيْهِ . [المصباح المنير : الواو مع الفاء]

التسبيح[(١)]

أصله : التنزيه من السوء على جهة التعظيم .

ولا يجوز أن يسبح غير الله ؛ لأنه صار علماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم ، وذلك لا يستحقه إلا الله الذي لا يعجزه شيء .

(١)السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنسٌ من العبادة، والآخر جنسٌ من السَّعي.
فالأوّل السُّبْحة، وهي الصَّلاة، ويختصّ بذلك ما كان نفلاً غير فَرض.
يقول الفقهاء: يجمع المسافرُ بينَ الصَّلاتين ولا يُسبِّح بينهما، أي لا يتنفَّل بينهما بصلاةٍ.
ومن الباب التَّسبيح، وهو تنزيهُ الله جلَّ ثناؤه من كلِّ سوء.
والتَّنْزيه: التبعيد. والعرب تقول: سبحان مِن كذا، أي ما أبعدَه.
قال الأعشى:

أقولُ لمّا جاءني فخرُهُ *** سُبحانَ مِنْ علقمةَ الفاخِرِ

وقال قوم : تأويلُهُ عجباً لـه إذَا يَفْخَر. وهذا قريبٌ من ذاك لأنّه تبعيدٌ له من الفَخْر. وفي صفات الله جلَّ وعز: سُبّوح.
واشتقاقه من الذي ذكرناه أنّه تنزَّه من كل شيء لا ينبغي لـه. والسُّبُحات الذي جاء في الحديث : "جلال الله جلَّ ثناؤه وعظمته" .
والأصل الآخر السَّبْح والسِّباحة: العَوم في الماء. والسّابح من الخيل: الحَسَنُ مدِّ اليدين في الجَرْي. قال:

فولَّيْتَ عنه يرتَمي بِكَ سابحٌ *** وقد قابَلَتْ أذْنَيه منك الأخادعُ

يقول : إنّك كنتَ تلتفتُ تخافُ الطّعنَ، فصار أخدَعُك بحذاء أذُن فرسِك.
والتَّسْبِيحُ التَّقْدِيسُ وَالتَّنْزِيهُ يُقَالُ سَبَّحْتُ اللهَ أَيْ نَزَّهْتُهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَاحِدُونَ وَيَكُونُ بِمَعْنَى الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ .
يُقَالُ فُلَانٌ يُسَبِّحُ اللهَ أَيْ يَذْكُرُهُ بِأَسْمَائِهِ نَحْوُ سُبْحَانَ اللهِ وَهُوَ يُسَبِّحُ أَيْ يُصَلِّي السُّبْحَةَ فَرِيضَةً كَانَتْ أَوْ نَافِلَةً وَيُسَبِّحُ عَلَى رَاحِلَتِهِ أَيْ يُصَلِّي النَّافِلَةَ وَسُبْحَةُ الضُّحَى .
وَمِنْهُ ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ أَيْ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَسُمِّيَتْ الصَّلَاةُ ذِكْرًا لِاشْتِمَالِهَا عَلَيْهِ .
وَمِنْهُ ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ أَيْ اُذْكُرُوا اللهَ .
وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّحْمِيدِ نَحْوُ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴾ وَسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ أَيْ الْحَمْدُ للهِ .
وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيمِ لِمَا اشْتَمَلَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ نَحْوُ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ إذْ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنْ الْفِعْلِ الَّذِي خَصَّ عَبْدَهُ بِهِ وَمَعْنَى التَّعْظِيمِ بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ .
وَقِيلَ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾) أَيْ لَوْلَا تَسْتَثْنُونَ قِيلَ كَانَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ سُبْحَانَ اللهِ .
وَقِيلَ إنْ شَاءَ اللهُ لِأَنَّهُ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى . ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والمصباح المنير (س ب ح) .

وسبحان الله : تنزيه له مما لا يليق به ، ونصبه على مذهب المصدر ؛ كأنك قلت : تسبيحا له .

وسبحان : معرفة وعلم خاص ؛ فإن نونه شاعر فللضرورة ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ [سورة آية المزمل : ٧] أي : فراغا كبيرا للنوم ، وقد أوجب الله على العباد أن يسبحوه ويقدسوه ، وفي ذلك أوضح الدلالة على أنه لا يجوز إضافة الفواحش إليه .

والتسبيح في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [سورة الروم ، الأنبياء : ١٧ ، ٢٢] ، والسبحة : صلاة التطوع ، وقوله : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٣] أي : المصلين[١] .

---

(١) قال الشوكاني في فتح القدير : والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، أي : فإذا علمتم ذلك فسبحوا الله ، أي نزهوه عما لا يليق به في وقت الصباح والمساء وفي العشي ، وفي وقت الظهيرة . وقيل : المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس . فقوله : ﴿ حين تمسون ﴾ : صلاة المغرب والعشاء ، وقوله : ﴿ وحين تصبحون ﴾ : صلاة الفجر ، وقوله : ﴿ وعشيا ﴾ صلاة العصر ، وقوله : ﴿ وحين تظهرون ﴾ : صلاة الظهر ، وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وغيرهما . قال الواحدي : قال المفسرون : إن معنى ﴿ فسبحان الله ﴾ : فصلوا لله . قال النحاس : أهل التفسير على أن هذه الآية في الصلوات قال : وسمعت محمد بن يزيد يقول : حقيقته عندي : فسبحوا الله في الصلوات؛ لأن التسبيح يكون في الصلاة . وجملة : ﴿ وَلَهُ الحمد فِي السموات والأرض ﴾ معترضة مسوقة للإرشاد إلى الحمد ، والإيذان بمشروعية الجمع بينه وبين التسبيح كما في قوله سبحانه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [الحجر : ٩٨] وقوله : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] وقيل : معنى ﴿ وله الحمد ﴾ أي الاختصاص له بالصلاة التي يقرأ فيها الحمد ، والأول أولى . وقرأ عكرمة : «حينا تمسون وحينا تصبحون» ، والمعنى : حينا تمسون فيه ، وحينا تصبحون فيه . والعشيّ : من صلاة المغرب إلى العتمة . قاله الجوهري ، وقال قوم : هو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر ، ومنه قول الشاعر :

غدونا غدوة سحرا بليل ... عشيا بعد ما انتصف النهار

وقوله : ﴿ عشيا ﴾ معطوف على حين ﴿ وفي السماوات ﴾ متعلق بنفس الحمد ، أي الحمد له يكون في السماوات والأرض ﴿ يُخْرِجُ الحي مِنَ الميت ﴾ كالإنسان من النطفة والطير من البيضة ﴿ وَيُخْرِجُ الميت مِنَ الحي ﴾ كالنطفة والبيضة من الحيوان . وقد سبق بيان هذا في سورة آل عمران . وقيل : ووجه تعلق هذه الآية بالتي قبلها أن الإنسان عند الصباح يخرج من شبه الموت وهو النوم إلى شبه الوجود وهو اليقظة ، وعند العشاء يخرج من اليقظة إلى النوم ﴿ وَيُحْيِي الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي يحييها بالنبات بعد موتها باليباس ، وهو

الثاني : ظهور أثر الصنعة والخلق ، وهو قوله : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السمَوَاتُ السبعُ وَالأَرضُ وَمَن فِيهِن﴾ [سورة الإسراء آية : ٤٤] يعني : ما ظهر فيها من آثار الصنع الدال على التوحيد .

والثالث : الاستثناء ، وهو قوله : ﴿قَالَ أَوسَطُهُم أَلَم أَقُل لَكُم لَولا تُسَبِّحُونَ﴾ [سورة القلم آية : ٢٨] أي : تستثنون ، وهو قول : إن شاء الله ، وإنما قيل للاستثناء : تسبيح ؛ لأنه تعظيم ، كما أن قول " سبحان الله " تعظيم له ، وكانوا قالوا : قال : ﴿لَيَصرِمُنهَا مُصبِحِينَ﴾ [سورة القلم آية : ١٧] ، ولم يقولوا : إن شاء الله ، وفسر أيضا على ظاهره ؛ فقيل : لولا تسبحون الله وتقدسونه وتعطون حقوق المساكين .

شبيه بإخراج الحيّ من الميت ﴿ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ أي ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم . قرأ الجمهور : ﴿ تخرجون ﴾ على البناء للمفعول . وقرأ حمزة والكسائي على البناء للفاعل ، فأسند الخروج إليهم كقوله : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجداث ﴾ [المعارج : ٤٣] ﴿ وَمِنْ ءاياته أَنْ خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ ﴾ أي من آياته الباهرة الدالة على البعث أن خلقكم ، أي خلق أباكم آدم من تراب ، وخلقكم في ضمن خلقه؛ لأن الفرع مستمد من الأصل ومأخوذ منه ، وقد مضى تفسير هذا في الأنعام ، و " أن " في موضع رفع بالابتداء ، و ﴿ من آياته ﴾ خبره ﴿ ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ " إذا " هي الفجائية ، أي ثم فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشراً تنتشرون في الأرض .

الباب الرابع

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ثاء

الثواء(١)

الثواء : الإقامة ، يقال : ثوى بالمكان ، وأثوى : لغتان فصيحتان ، قال الحارث بن حلزة :

آذَنَتنا ببَينِها أَسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَّواءُ

ويتصرف هذا الحرف في القرآن على أوجه :

الأول : ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهلِ مَديَنَ ﴾ [سورة القصص آية : ٤٥] أي : لم تكن مقيما فيهم ، فتعلم من أخبارهم ما تخبر به ، وإنما هو وحي ، وإن كان " مدين " عربيا فاستقامة من قولهم : مدن بالمكان إذا أقام به ، والياء فيه زائدة ، والذي أظن : أنه أعجمي الأصل .

الثاني : المثوى بمعنى المأوى ، قال تعالى : ﴿يَعلَمُ مُتَقَلَبَكُم وَمَثوَاكُم﴾ [سورة محمد آية : ١٩] ، وقوله : ﴿فَالنَارُ مَثوًى لَهُم﴾ [سورة فصلت آية : ٢٤] وهو قريب من الأول ؛ بل هو فيه بعينه لأن المثوى : مفعل من ثوى ، وقيل للمنزل والمسكن : مثوى ؛ لأن صاحبه يقيم فيه .

---

(١) الثَّوَاءُ : طُوْلُ الإِقَامَةِ ، ثَوى يَثْوِي . والمَقْبُوْرُ يُقال : ثَوَى .
والمَثْوى : المَوْضِعُ . وأَنْزَلَني فأَثْوَاني ثَوَاءً حَسَناً . والثِّيَّةُ : الثَّوَاءُ بِمَنْزِلَةِ الطِّيَّة ، وكذلك الثَّوَايَةُ .
وأَكْرِمي مَثْوَاه : اي مَقَامَه . ورَبُّ البَيْتِ : أَبو مَثْوَايَ ، وأُمّث مَثْوَايَ : للرَّبَّةِ .
والثَّوِيَّةُ : امْرَأَةُ الرَّجُلِ الذي يَثْوِي إليها .
والثَّوِيُّ : البَيْتُ في جَوْفِ البَيْتِ . وقيل : البَيْتُ المُهَيَّأُ للضَّيْفِ . وقيل : الضَّيْفُ نَفْسُه .
والثُّوَيَّةُ : مَوْضِعٌ إلى جَانبِ الكُوفَةِ .
وثَأْيَةُ الجَزُوْرِ : مَنْحَرُها . وقيل : هو البَيْتُ الذي يُوَلَّدُ فيه الغَنَمُ ويُجْمَعُ فيه البَهْمُ . وقيل : المَحَلَّةُ التي يَكُوْنُ فيها مَتَاعُ السَّفْرِ والصَّيَّادُوْنَ يَأْوُوْنَها . وقيل : المَثْوى الخَبِيْثُ ، ومنه ثَايَةُ الضَّبُعِ ، ويَقُوْلُونَ : قَبَحَ اللهُ ثَايَتَكَ .
[المحيط في اللغة : ٢/ ٤٢٥]

الثالث : المنزلة ، قال : ﴿أَحسَنَ مَثوَايَ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٣] أي : أعلى منزلتي ، ولو أوردنا هذين الحرفين في باب الميم جاز ، وأم المثوى : المرأة التي ينزل بها وبأهلها الضيف ، وأبو المثوى : الرجل ، وتقول : من أم مثواك الليلة ، ومن أبو مثواك ؟ .

obeikandl.com

الباب الخامس

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جيم

الجبار

أصل الكلمة : الإصلاح ، جبر العظم[1] ؛ إذا أصلحه وجبر هو ، ثم استعمل في الامتناع ، فقيل : نخلة جبارة ؛ إذا امتنعت ففاتت الأيدي ، وهو راجع إلى الأصل ؛ لأنها إذا فاتت اليد صلحت ثمرتها ولم تشعث ، والجبيرة : الدملوج ، وكذلك الجبارة ؛ لأنه يصلح ويسوى ، والجبارة أيضا ، والجمع : الجبائر : الخشب الذي يشد على العضو المكسور ، وأجبرت الرجل على الأمر ؛ إذا أكرهته عليه ؛ لأنك تريد بإجبارك إياه إصلاحه ، وإصلاح نفسك ــ جبار يرجع إلى ذلك .

والجبار[2] في أسماء الله – عز وجل – بمعنى أنه لا ينال بالأذى ، وبمعنى الكبرياء والعظمة ، وقال واصل بن عطاء : الجبار في صفات الله تعالى بمعنى أنه يجبر فاقة العبد .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : القهار ، قال الله تعالى : ﴿العَزِيزُ الجَبَّارُ﴾ [سورة الحشر آية : ٢٣] يعني : القهار لخلقه بما أراد ، وقال : ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيهِم بِجَبَّارٍ﴾ [سورة ق آية : ٤٥] أي : بمسلط تقهرهم على الإيمان ؛ إنما أنت مذكر ، ويجوز أن يكون معناه : إنك لست بمتكبر تياه ، كما قال : ﴿وَإِنكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم آية : ٤] .

---

(١) (ج ب ر) : جَبَرْتُ الْعَظْمَ جَبْرًا مِنْ بَابِ قَتَلَ أَصْلَحْتُهُ فَجَبَرَ هُوَ جَبْرًا أَيْضًا وَجُبُورًا صَلَحَ يُسْتَعْمَلُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا وَجَبَرْتُ الْيَتِيمَ أَعْطَيْتُهُ وَجَبَرْتُ الْيَدَ وَضَعْتُ عَلَيْهَا الْجَبِيرَةَ وَالْجَبِيرَةُ عِظَامٌ تُوضَعُ عَلَى الْمَوْضِعِ الْعَلِيلِ مِنْ الْجَسَدِ يَنْجَبِرُ بِهَا وَالْجِبَارَةُ بِالْكَسْرِ مِثْلُهُ وَالْجَمْعُ الْجَبَائِرُ . [المصباح المنير : الجيم مع الباء]

(٢) أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنا أبو منصور النضروي ، ثنا أحمد بن نجدة ، ثنا سعيد بن منصور ، ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : « إنما يسمى الجبار لأنه يجبر الخلق على ما أراد » [الأسماء والصفات للبيهقي : الحديث رقم (٤٧)]

الثاني : المتغلب الجابر ، قال الله : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُم جَبارِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٣٠] أي : متغلبين جبارين ، وقال : ﴿ إِن تُرِيدُ إِلا أَن تَكُونَ جَبارًا فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة القصص آية : ١٩] وقال بعض أهل التفسير : المراد بالجبار في هذه المواضع : القتال ، والبطش : الأخذ بالغلبة والشدة .

الثالث : المتكبر قال : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبارًا شَقِيا ﴾ [سورة مريم آية : ٣٢] جاء في التفسير أنه عنى المتكبر عن عبادة ربه .

والرابع : العظيم الخلق القوي ، قال الله عز وجل : ﴿ إِن فِيهَا قَوْمًا جَبارِينَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٢] جاء في التفسير : إنه عنى العظام الأجساد الطوال الأقوياء ، زعموا أنه لا يقاومونهم ، وقيل : إنه أراد الممتنعين الغلابين العتاة ، وهذا أصح ؛ لقوله : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنكُم غَالِبُونَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٣] كأنهم قالوا : إن فيها قوما من عادتهم غلب أعدائهم ، فقيل لهم : اذهبوا إليهم فإنكم تغلبونهم ، وأعمل إن في القوم وجعل الجبارين من صفتهم ؛ لأن فيها ليس باسم .

قال : ومثله : ﴿ كَذَلِكَ يَطبَعُ اللهُ عَلَى كُل قَلْبِ مُتَكَبِرٍ جَبارٍ ﴾ [سورة غافر آية : ٣٥] ، والجبار هاهنا والمتكبر سواء ، وإنما كرر للتوكيد ، ولا يجوز أن يقال أنه يعني : بـ"الجبار" هاهنا : القتال والغلاب ؛ لأن القتل والغلبة لا يضافان إلى القلب ويضاف إليه الكبر ، ويجوز أن تكون هذه الوجوه كلها بمعنى واحد وهو التكبر ، وإنما أوردتها على ما جاء في التفسير .

الجعل[1]

يقال : جعلت بمعنى أنشأت ولا يتجاوز مفعولا ، ومنه : جعل الله الناس ، وجعل الأرض ، وجعلت أيضا بمنزلة نقلت ، كقولك : جعلت الطين آجرا ، وجعلت الفضة خاتما ، وجعلت بمنزلة ظننت ، تقول : اجعل الأمين خادما وكلمه ؛ أي : ظنه خادما ، وجعلت بمنزلة سميت ، قال : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [سورة الزخرف آية : ١٩] ، ويقال أيضا : جعلت القربة عن يميني .

والفرق بين الجعل والفعل ؛ أن جعل الشيء يكون بإحداث غيره فيه ، كجعلك الطين خزفا ، وفعل الشيء إحداثه لا غير .

وقال بعضهم : جد الجعل الفعل ولابد لكل جعل من تعلق بمجعول ومفعول ، أما نفس الشيء الواقع عليه ظاهر اللفظ ؛ كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السمعَ وَالأَبصَارَ﴾ [سورة الملك ، النحل ، السجدة : ٢٣ ، ٧٨ ، ٩] أي : خلقهما ، وأما اسمه ووصفه ، كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ أي : جعلوا اسمهم اسم الإناث ووصفهم ، وفعلوا ذلك ، وأما حكمه ؛ كقوله تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [سورة التوبة آية : ١٩] أي : جعلتم حكم هذا كحكم هذا ، وكقولك : جعل الله هذا حلالا وهذا حراما ؛ أي : جعل حكمه حكم ذلك ، وأما علته لها كان المجعول على صفته ؛ كقولك : جعلت المتحرك متحركا ؛ أي : فعلت العلة .

---

(١) [جعل] : جَعَلَ : بمعنى صَنَعَ ؛ إلا أنّه أعَمُّ ، يُقال : جَعَلَ يَفْعَلُ كذا ، ولا يُقال صَنَعَ ولا يَجْعَلُ . والجِعَالَةُ والجَعِيلَةُ : واحد . وقد جَعَلْتُ له الجُعْل . وهو يُجَاعِلُه : أي يَرْشُوهُ .
وأجْعَلْتُ لفُلانٍ إجْعَالاً : من الجُعْل . والجِعَالُ والجِعَالَةُ : ما يُنْزَل به القِدْرُ من خِرْقَةٍ أو غيرِها ، وقد أجْعَلْتُها : أنْزَلْتُها به .
وجِعَالٌ الفَهْمِيُّ : شاعِر . وكَلْبَةٌ مُجْعِلٌ : أرَادَتِ السِفَادَ . وماءٌ جَعِلٌ ومُجْعِلٌ : ماتَتْ فيه الجِعلانُ ، والواحِدُ جُعَلٌ : وهي دابةٌ . ورَجُلٌ جُعَل : لَجُوج . وقد يُقال ذلك لسَوادِه تشبيهاً بالدابة .
وفي مَثَل : " سَمِكَ به جعلُه " : أي لَزِقَ به منْ يكْرَهُه . والجَعْلُ - واحدُه جعْلَة - : النخْلُ القصيرةُ الصغار . [المحيط في اللغة : جعل]

وأما قوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُم أَئِمةً﴾ [سورة الأنبياء آية : ٧٣] فمعناه سميناهم بذلك ، ومثله : جعلت فلانا لصا ، وقوله تعالى : ﴿جَعَلْنَا لِكُل نَبِي عَدُوا﴾ [سورة الفرقان آية ، الأنعام : ٣١ ، ١١٢] أي : وصفناهم بهذا الوصف بعد أن عادوا الأنبياء ، وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلنَا فِي قُلُوبِ الذِينَ اتبَعُوهُ رَأفَةً وَرَحمَةً﴾ [سورة الحديد آية : ٢٧] أراد الخبر بما في قلوبهم من ذلك ووصفه ؛ فالمجعول هو الخبر ويكون بمعنى اللطف ، وقوله : ﴿قَد جَعَلَهَا رَبي حَقا﴾ [سورة يوسف آية : ١٠٠] أي : خلقها ، ويجوز أن يكون مكن يوسف عليه السلام فظهر صدق رؤياه ؛ فالمجعول نفس الرؤيا في الأول وفي الثاني للدلالة على صحته .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ أَهلَهَا شِيَعًا﴾ [سورة القصص آية : ٤] أي : فرقا ، والجعل راجع إلى ما به كانوا فرقا ؛ وهو الفعل الذي فرق بينهم ، وقوله تعالى : ﴿وَنَجعَلُ لَكُمَا سُلطَانًا﴾ [سورة القصص آية : ٣٥] أي : حجة ؛ وهو قلب الفصاحة .

وقوله تعالى : ﴿جَعَلَ فِتنَةَ الناسِ كَعَذَابِ اللهِ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٠] هؤلاء قوم آمنوا فلحقهم أذى من الكفار وهزوا فكفروا ، وكان يجب أن يدعوا الكفر خوفا من عذاب الله وتركوا الإيمان خوفا من عذاب الناس ؛ فأبدلوا حكم عذاب الناس حكم عذاب الله ؛ فالحكم هو المجعول ، وقال : ﴿وَجَعَلنَاهَا وَابنَهَا آيَةً لِلعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٩١] فالمجعول فعل ما صارت به آية ، وقال : ﴿وَجَعَلنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسرَائِيلَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٩] أي عبرة ، وفعل ما صار به المسيح عبرة هو المجعول .

وقوله تعالى : ﴿وَنَجعَلَهُم أَئِمةً وَنَجعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾ [سورة القصص آية : ٥] فأمره بالاقتداء بهم هو المجعول ، وقوله تعالى : ﴿وَلَو شَاءَ رَبكَ لَجَعَلَ الناسَ أُمةً وَاحِدَةً﴾ [سورة هود آية : ١١٨] أي : بالإجبار .

والجعل بعد ذلك في القرآن على ستة أوجه فيها ذكره بعض المفسرين :

الأول : التسمية ؛ قال : ﴿وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الذِينَ هُم عِبَادُ الرحمَنِ إِنَاثًا﴾ [سورة الزخرف آية : ١٩] ، وقال : ﴿وَجَعَلنَا قُلُوبَهُم قَاسِيَةً﴾ [سورة المائدة آية : ١٣] أي : سميناها قاسية .

opeikandi.com

الثاني : بمعنى التخلية ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِد أَن يُضِلهُ يَجعَل صَدرَهُ ضَيقًا حَرَجًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٥] أي : يخلي بينه وبين ما يخرج به صدره من الكفر ؛ لأن مع الإيمان ثلج الصدور ، وليس ذلك مع الكفر .

وأما الطبع والختم واللعن والأكنة والوقر والعمى والصمم والبكم والرجس ونحو ذلك فإنه ذم وليس بمن ذكره إلا بعد ذكر المعصية ولزمهم هذه الأسماء جزاءا لذنوبهم ، ويجوز أن يكون تسميته إياهم بهذه الأسماء على جهة التمثيل ؛ لأنا نعلم أنه ليس على بصر الكافر غشاوة .

الثالث : منع الإلطاف ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأتَ القُرءَانَ جَعَلنَا بَينَكَ وَبَينَ الذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَستُورًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤٥] أي : تمنعه ألطافنا فيعرض عن القرآن ولا ينتفع به ؛ فكأنا جعلنا بينه وبينه حجابا ، ولو علم أن ألطافه تنفعه ما منعه إياها ولكنها لا تنفعه فهو بمنزلة من لا ألطاف له ولو كان الطبع والختم وما بسبيلهما منعا لهم عن الإيمان لما قال : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبكُم ﴾ [سورة الزمر آية : ٥٤] .

الرابع : بمعنى الوصف ؛ قال : ﴿ وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ الجِن ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] و : ﴿ الجِن ﴾ هاهنا الملائكة سموا بذلك لاستتارهم عن الأبصار ، وأصل الجن والجنة ، والجُنة والجنون الستر ، أي : وصفوا الملائكة بأنهم شركاء الله ، ونحوه قول الرجل لمن يصفه باللصوصية : جعلتني لصا ، أي : وصفتني بذلك ، ونحوه قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزءًا ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٥] ، قال بعض أهل اللغة : الجزء هاهنا بمعنى الإناث ، يقال : أجزئت المرأة إذا ولدت أنثى ، وأنشد :

إن أجزَأت حُرَّة يَومًا فَـــــلا عَجَب ... وقَد تجزئُ الحُرة المِذكَار أحيَـــــانا

ويجوز أن يكون الجن في قوله تعالى : ﴿ شُرَكَاءَ الجِن ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] . الجن المعروف .

وكان بعض العرب يذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، فرد الله ذلك بهذا القول وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير .

الخامس : الخلق ، قال : ﴿إنا جَعَلْنَاهُ قُرءَانًا عَرَبِيا﴾ [سورة الزخرف آية : ٣] ، أي : خلقناه كذلك ، وأحدثناه ومثله : ﴿جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا﴾ [سورة النمل آية : ٦١] ، أي : خلقها صلبة يمكن الاستقرار عليها ، ومثله : ﴿وَجَعَلْنَا ابنَ مَرْيَمَ وَأُمهُ آيَةً﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] ، أي : خلقه من غير ذكر ، فصار عبرة وعلامة .

السادس : الحكم ، قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لله مِما ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنعَامِ نَصِيبًا﴾(١) [سورة الأنعام آية : ١٣٦] ، أي : حكموا بذلك .

والمراد أنهم حكموا بأن لله نصيبا في زروعهم ومواشيهم ولأصنامهم نصيبا فيها ، وسماهم شركائهم ؛ لأنهم جعلوا بعض أموالهم لها ، ثم كانوا يصرفون مما جعلوه لله إلى أوثانهم فينفقونه عليها ولا يصرفون ما جعلوه لأوثانهم إلى ما يتقربون به إلى الله ، وقيل الأنعام هاهنا البحيرة والسائبة .

فأما قوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُل نَبِي عَدُوا مِنَ الُمجرِمِينَ﴾ [سورة الفرقان آية : ٣١] ، فمعناه أنه جعل نبيه عدوا له ؛ لأنه فرض عليه محاربتهم ومناصبتهم ، فإذا جعل النبي عدوا لهم ، فقد جعلهم عدوا له ، وليس معنى ذلك أنه أمره بعداوته وأرادها منهم أو خلقها فيهم لأنه لو فعل ذلك لم يذمهم عليه ، وقوله : ﴿وَلا تَجعَلُوا اللهَ عُرضَةً لأَيمَانِكُم﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٤] ، أي : لا تجعلوا القسم بالله عرضة لإيمانكم فتكثروا الحلف ، وكذلك :

---

(١) قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثانَ والأصنام لربهم (مما ذرأ) خالقهم ، يعني : مما خلق من الحرث والأنعام . يقال منه :"ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذَرْءًا ، وذَرْوًا" ، إذا خَلَقهم .

"نصيبًا" ، يعني قسمًا وجزءًا .

ثم اختلف أهل التأويل في صفة النَّصيب الذي جعلوا لله ، والذي جعلوه لشركائهم من الأوثان والشيطان .

فقال بعضهم : كان ذلك جزءًا من حُروثهم وأنعامهم يُفْرِزُونه لهذا ، وجزءًا آخر لهذا .

وقال آخرون :"النصيب":الذي كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه إلى شركائهم : أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسمّوا الآلهة ، وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه . [جامع البيان : ١٣٤/١٢]

﴿وَقَد جَعَلتُمُ اللهَ عَلَيكُم كَفِيلا﴾ [سورة النحل آية : ٩١] ، أي : ضمنتموه ثوابكم على الوفاء بإيمانكم فلا تنقضوها .

obeikandl.com

الجناح[1]

أصله الميل ، ومنه قيل : جنحت السفينة ، أي : مالت ، وقال تعالى : ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسلمِ فَاجنَح لَهَا﴾ [سورة الأنفال آية : ٦١] ، وسمي الإثم جناحا ، لأنه ميل إلى هوى النفس ، وجنح الليل حين يميل ، وقيل : حين تميل الشمس للمغيب ، ومنه جناح الطائر ، لأنهما في جانبيه ما يلين عن سواء جنبك .

والجناح في القرآن على وجهين :

الأول : الإثم ، قال الله : ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيكُم فِيمَا عَرضتُم بِهِ مِن خِطبَةِ النسَاءِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٥] ، أي : لا إثم عليكم في التعريض للمرأة المعتدة ترغبون في نكاحها ، إذا خرجت من العدة ، فأما التصريح بذلك ، فهو إثم .

الثاني : الضرر ، هو قوله تعالى : ﴿إِلا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَينَكُم فَلَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَلا تَكتُبُوهَا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : إذا تبايعتم بالنقد فلا ضرر عليكم في ترك الكتاب والإشهاد ، فإن قيل أن قوله : لا جناح عليكم في ترك ذلك في الحاضر ، دليل على أن عليه جناح في تركه في النساء ، قلنا : أراد بالجناح الضرر على ما ذكرنا ، ولم يرد الإثم ، ولو أراد الإثم لكان قوله : ﴿فَإِن أَمِنَ بَعضُكُم بَعضًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٣] ، رخصة في تركه .

---

(١) (ج ن ح) : (جَنَحَ) جُنُوحًا مَالَ وَاجْتَنَحَ مِثْلُهُ وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ (وَفِي حَدِيثِ) عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَجَاءَ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ (اجْتَنَحَ) بَدَنُهُ أَيْ مَالَ إِلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِدًا بِكَفَّيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ ضَعْفِهِ (وَعَنْ) أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالتَّجَنُّحِ فِي الصَّلَاةِ فَشَكَا نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضَّعْفَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَعِينُوا بِالرُّكَبِ﴾ قِيلَ التَّجَنُّحُ وَالِاجْتِنَاحُ هُوَ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى رَاحَتَيْهِ فِي السُّجُودِ مُجَافِيًا لِذِرَاعَيْهِ غَيْرَ مُفْتَرِشِهِمَا . [المغرب : الجيم مع النون]

الجهاد[1]

الجهاد اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية ، وهو قتال المشركين خاصة[2] .

وأصله من الجهد ، وهو استفراغ الطاقة في الأمر ، وهو جهد وجهد لغتان ، ويقال : الجهد الطاقة نفسها ، وبلغ الرجل جهده ومجهوده ، إذا بلغ أقصى قوته .

والأرض الجهاد اليابسة لأن الرجل لا يحفرها إلا إذا بلغ مجهوده ، والمجهود والجهد سواء ، مثل : العقل والمعقول .

وجاهدت العدو إذا استفرغت قوتك في دفعه ، والمفاعلة تكون من اثنين إلا في حرف جاءت نوادر منها طالبت الحاجة ، وحاولت الشيء ، وسافرت في الأرض .

والجهاد في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الجهاد بالقول ، قال الله تعالى : ﴿وَجَاهِدهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٢] ، وهذه الآية مكية نزلت قبل الأمر بالكتاب .

وهذا دليل على أنه أراد بها الجهاد بالقول ، فيها دلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلزم على حسب الطاقة ، يقول : ﴿فَلا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَجَاهِدهُم بِهِ﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٢] ، أي : تترك طاعتك لهم فيما يريدونه من مقاربتك إياهم جهادا كبيرا .

والجهاد هو بذل المجهود في الشيء ، وترك التقصير فيه ، : ﴿وَجَاهِدهُم بِهِ﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٢] ، أي : بالقرآن الذي افتتح به أول السورة ، والأول أجود .

---

(١) (ج هـ د) : (جَهَدَهُ) حَمَّلَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ مِنْ بَابِ مَنَعَ (وَمِنْهُ) قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْمُؤَذِّنِ يُجْهِدُ نَفْسَهُ وَقَوْلُ سَعْدٍ أَوْ رَجُلٌ يُجْهِدُ أَنْ يَحْمِلَ سِلَاحَهُ مِنْ الضَّعْفِ عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ وَتَقْدِيرُهُ يُجْهِدُ نَفْسَهُ أَيْ يُكَلِّفُهَا مَشَقَّةً فِي حَمْلِ السِّلَاحِ وَأَجْهَدَ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ وَالْجَهْدُ وَالْجُهُودُ الْمَشَقَّةُ وَرَجُلٌ مَجْهُودٌ ذُو جَهْدٍ وَاجْتَهَدَ رَأْيَهُ وَالْجِهَادُ مَصْدَرُ جَاهَدْتُ الْعَدُوَّ إذَا قَابَلْتَهُ فِي تَحَمُّلِ الْجَهْدِ أَوْ بَذَلَ كُلٌّ مِنَّا جُهْدَهُ أَيْ طَاقَتَهُ فِي دَفْعِ صَاحِبِهِ ثُمَّ غَلَبَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ وَنَحْوِهِ . [المغرب : الجيم مع الهاء]

(٢) قال الجرجاني : الجهاد : هو الدعاء إلى الدين الحق . [التعريفات : ١/ ٢٦]

الثاني : الجهاد بالسلاح ، قال الله تعالى : ﴿ جَاهِدِ الكُفارَ وَالمُنَافِقِينَ ﴾ [سورة التحريم آية : ٩] ، وقال : ﴿ لا يَستَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ غَيرُ أُولِي الضَرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله ﴾ [سورة النساء آية : ٩٥] ، ثم قال : ﴿ فَضلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَموَالِهِم ﴾ [سورة النساء آية : ٩٥] كذا قال مقاتل .

وهو غلط ؛ لأن المنافق لا يقاتل ولا يقتل ، لأنه إذا أظهر الإسلام حقن دمه ، وإنما المراد أن جاهد الكفار بالسلاح والمنافقين بالغلظة عليهم والتنكير لهم ، وقيل : جاهدهم بإقامة الحدود عليهم ، وكانوا هم الذين تصيبونها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه في الجاهلية .

الثالث : الاجتهاد في العمل ، قال تعالى : ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَمَا يُجَاهِدُ لِنَفسِهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦] ، أي : من يعمل الخير مجتهدا فإنما يعمل لنفسه ، وقال : ﴿ وَالذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ، أي : عملوا لنا : ﴿ لَنَهدِيَنهُم سُبُلَنَا ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ، أي : يزيدهم إلطافا ويزدادون معها من الطاعة فتعلوا درجاتهم ، وقال : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي الله حَق جِهَادِهِ ﴾ [سورة الحج آية : ٧٨] ، أي : اعملوا لله حق العمل ، هكذا فسر هذه الآيات ويجوز أن تكون بمعنى جهاد المشركين .

الجدال[1]

أصله من الجدل ، وهو الفتل ، يقال : جدلت الحبل جدلا إذا فتلته ، وهو مجدول ، وأصل الكلمة من القوة ، ثم سميت الأرض جداله لقوتها ، وسمي الجدال جدالا لأنك تقوم به حق القيام ، لتقوي مذهبك ، كما أن الحبل يجدل القول ، والأجدل الصقر ، وسمي بذلك لقوته ، ويجوز أن يقال : الجدال هو أن تفتل الخصم عن مذهبه بحجة أو شبهه أو شغب ، ويفتلك عن مذهبك بمثل ذلك .

والجدال في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الخصومة ، قال : ﴿ وَهُم يُجَادِلُونَ فِي اللهِ ﴾ [سورة الرعد آية : ١٣] ، أي : يخاصمون ، وقال : ﴿ وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ ﴾ [سورة غافر آية : ٥] .

الثاني : السؤال ، قال الله : ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَومِ لُوطٍ ﴾ [سورة هود آية : ٧٤] ، أي : تسأل رسلنا ويستثبت أمر ما يعذب به قوم لوط ، وقال أبو علي : جادلهم بما استحقوا عذاب الاستئصال ، وهل ذلك واقع بهم لا محالة ، أم هم إخافة ليقبلوا إلى الطاعة ، وهذا يقوي ما تقدم من أنه سؤال .

الثالث : المناظرة على إثبات الحق وإبطال الباطل ، قال تعالى : ﴿ يَا نُوحُ قَد جَادَلتَنَا فَأَكثَرتَ جِدَالَنَا ﴾ [سورة هود آية : ٣٢] ، وفي هذا دليل على أن الجدال لإقامة الحجة حسن ، وأنه يقوم به الحجة ولولا ذلك لم يجادل نوح عليه السلام .

وقد يكون المناظران محقين بأن يكون كل واحد منهما يناظر ليعرف الحق ، ولا يكونان متجادلين إلا وأحدهما مبطل أو كلاهما ؛ لأن الجدال هو فتل الخصم عن مذهبه ، وفتل الحق عن الحق باطل ، قال الله تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٨] ،

---

(١)(ج د ل) : جَدِلَ الرَّجُلُ جَدَلًا فَهُوَ جَدِلٌ مِنْ بَابِ تَعِبَ إِذَا اشْتَدَّتْ خُصُومَتُهُ وَجَادَلَ مُجَادَلَةً وَجِدَالًا إِذَا خَاصَمَ بِمَا يَشْغَلُ عَنْ ظُهُورِ الْحَقِّ وَوُضُوحِ الصَّوَابِ هَذَا أَصْلُهُ ثُمَّ اُسْتُعْمِلَ عَلَى لِسَانِ حَمَلَةِ الشَّرْعِ فِي مُقَابَلَةِ الْأَدِلَّةِ لِظُهُورِ أَرْجَحِهَا وَهُوَ مَحْمُودٌ إِنْ كَانَ لِلْوُقُوفِ عَلَى الْحَقِّ وَإِلَّا فَمَذْمُومٌ وَيُقَالُ أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الْجَدَلَ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبَرِيُّ . [المصباح المنير : الجيم مع الدال]

وقد عاب الله تعالى من جادل في آياته بقوله : ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ [سورة غافر آية : ٣٥] ، لأن الجدال بها هو الصحيح ، والجدال فيها رد ودفع .

الرابع : المراء ، قال الله : ﴿وَلا جِدَالَ فِي الحَجِّ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٧] ، فنهى عن المراء الواقع بين المترافقين في طريق الحج ، لأن لا يؤديهما ذلك إن فعلاه إلى قول ما لا ينبغي تعظيما لأمر الحج .

وقيل معناه : أن الحج قد تبين وجوهه فلا ينسى ولا يشك فيه ، ونحوه : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة غافر آية : ٤] أي : لا يماري ، والمراء أن تستخرج ما عند خصمك بالمناظرة ، وأصله من المري ، وهو استخراج اللبن من الضرع .

obeikandl.com

الجن[1]

أصله الستر ، ومنه الجنة وهي البستان الذي تشتبك فيه الشجر ، حتى يستر من يدخله .

والجنة السلاح ، لأنها تستر عورة صاحبه عن قرنه ، يقال : أعور الفارس إذا انكشف منه موضع للضرب أو الطعن .

والمجنون المستور على عقله ، وقد جن وأجنه الله ، ولا يقال جنه ، ومثله أجده الله وهو مجدود ، وقد جد ولا يقال : جده الله وليس مجدود من أحد ، لأن ذلك نقص للأصل ، وإنما هو على معنى أن ذلك فيه ، وكذلك أجنة الله ، وهو مجنون ، أي : فيه جنون وليس مجنون من أجن .

والولد ما دام في بطن أمه جنين ، والجمع أجنة ، لأنه مستور ، وفي القرآن : ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [سورة النجم آية : ٣٢] .

والجان يقع على واحد من الجن ، والجن مثل الإنس يقع على الجمع .

والجن في القرآن على وجهين :

---

(١) [جن] : الجِنُّ : جماعة وَلَدِ الجانِّ ، وجمعهم الجِنَّةُ والجِنّانُ ، سُمُّوا به لا ستِجنانِهم من الناس فلا يُرونَ .
والجانُّ أبو الجِنِّ خُلِقَ من نار ثم خُلق نَسله .
والجانُّ : حيَّةٌ بيضاء ، قال الله عز وجل " تَهتزُّ كأنَّها جانٌ وَلي مُدبِراً " .
والمَجَنَّةُ : الجنُون ، وجُنَّ الرجلُ ، وأجَنَّه الله فهو مَجنُونٌ وهم مَجانينُ .
ويقال به جنَّةٌ وجنونٌ ومَجَنَّة ، قال :
من الدارميّينَ الذين دِماؤُهم *** شفاءٌ من الدّاءِ المَجَنةِ والخَبلِ
وأرض مَجَنَّةٌ : كثيرةُ الجنِّ .
والجَنانُ : رُوعُ القلبِ ، يقال : ما يستقرُّ جَنانُه من الفَزَعِ .
وأجَنَّتِ الحاملُ الجنينَ أي الولد في بطنها ، وجمعُه أجِنَّة .
وقد جَنَّ الولدَ يجِنُّ فيه جَناً ، قال : حتى إذا ما جَنَّ في ماء الرَّحِم ويقال : أجَنَّة اللَّيل وجَنَّ عليه اللَّيلُ إذا أظلم حتى يَستره بظُلمته .
واستجنَّ فلانٌ إذا استتر بشيءٍ . [العين : الجيم مع النون]

الأول : الملائكة ، قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ الجِن﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] ، يعني : الملائكة ، وذلك أنهم كانوا عبدوها ، وسماهم جنا ؛ لأنهم مستورون عن الأبصار .

وذكر بعض المفسرين أنهم الجن ، وليسوا بملائكة ، وكانت العرب تعبد الجن ، وتذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، وفي الخبر أنه لما هدمت العزى خرجت منها جنية منفشة شعرها تدعوا بالويل فحمل خالد بن الوليد عليها فقتلها .

الثاني : الجن المعروف من غير خلاف ، قال الله : ﴿وَمَا خَلَقتُ الجِن وَالإِنسَ إِلا لِيَعبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات آية : ٥٦] ويجوز أن تدخل الملائكة في ذلك ، وقوله : ﴿وَإِذ صَرَفنَا إِلَيكَ نَفَرًا مِنَ الجِن﴾ [سورة الأحقاف آية : ٢٩]

obeikandl.com

الباب السادس

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله حاء

الحسنة[1]

أصل الكلمة القبول ، والحسن ما تقبله النفس إذا رأته ، والحسنة الخصلة التي تقبلها النفس .

والإحسان ما تشتهيه النفس وتقبله ، ونقيضه الإساءة ، وهي التي تكرهها وتردها ، ويقال : حسن الشيء ، وهو حسن على غير الأصل ، وإنما الأصل حسين كما يقال : قبح وهو قبيح ، ويجوز أن يقال : حسن أحسن من حسن ، ولا يقال : صدق أصدق من صدق ، ولأن الحسن فاعل ، والفاعل يصح فيه أفعل ، والصدق مصدر ولا يصح في المصادر ذلك ولو لم يكن حسن أحسن من حسن لم يكن للمبالغ في قولهم : ما أحسن زيدا فائدة ، ويقولون هذه الخصلة الحسنى ، والمرأة الحسناء .

ولا يقال في التذكير أحسن ، ولا يجوز أن يوصف الله بالحسن ؛ لأن الحسن حال في الحسن ألا تراه يقبح بعد أن كان حسنا ، ولا يجوز أن يكون الله محلا للأشياء ، ولا يجوز أن يقال بأن الله حسن في العقل أيضا ؛ لأنه لا يتصور للعقول فيحسن فيها كالحكمة والصلاح الحسن في العقول لتصوره لها .

والحسنة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : النصرة والغنيمة ، قال الله تعالى : ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٢٠] يعني : ما كانت لهم من الدولة يوم بدر ، وكذلك المعنى في هذه الآية من

---

(١) حَسُنَ الشَّيْءُ فهو حَسَن . والمَحْسَن : الموضع الحسن في البدن ، وجمعه مَحاسن . وامرأةٌ حَسناء ، ورجُل حُسّان ، وقد يجيء فُعّال نعتاً ، رجلٌ كُرّام ، قال الله - جل وعز - : " مَكْراً كُبّاراً " .
والحُسّان : الحَسَنُ جِدّاً ، ولايقال : رجل أحسنَ . وجارية حُسّانة .
والمَحاسِن من الأعمال ضد المساوىء ، قال الله - عز وجل - : " للذين أحْسَنُوا الحُسْنَى وزيادة " أي الجنة وهي ضدُّ السُّوءَى . [العين : حسن]

سورة النساء وبراءة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تُصِبكُم سَيِئَةٌ يَفرَحُوا بِهَا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٢٠] يعني : القتل والهزيمة ؛ هكذا جاء في التفسير .

ويجوز عندنا أن يدخل في الحسنة هاهنا جميع ما ينالهم من المحبوب ، وفي السيئة جميع ما يصيبهم من المكروه .

الثاني : العمل الصالح ، قال الله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أَمثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٠] ، وقوله : ﴿ مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِنهَا ﴾ [سورة النمل آية : ٨٩] والسيئة التي في هاتين الآيتين بمعنى المعصية ، وقرئ : ﴿ عَشرُ أَمثَالِهَا ﴾[سورة الأنعام آية : ١٦٠] ، بالإضافة أي : عشر حسنات أمثالها وقرئ : ﴿ عَشرٌ أَمثَالُهَا ﴾ على أن أمثالها من صفة العشر .

فإن قيل : كيف قال : ﴿ عَشرُ أَمثَالِهَا ﴾[سورة الأنعام آية : ١٦٠] والمثل مذكر ؟ قلنا : لأنه مضاف إلى مؤنث ، وهي في المعنى أيضا حسنة أو درجة فأنث على المعنى ، وأراد بذكر العشر التكثير ولم يرد عشر بعينها ، كما تقول : إن كلمتني واحدة كلمتك عشرا ؛ وكذلك قوله : ﴿ إِن تَستَغفِر لَهُم سَبعِينَ مَرَةً ﴾ [سورة التوبة آية : ٨٠] أراد التكثير ، ولم يرد عددا بعينه ، ألا ترى أنه لو زاد على السبعين لم يغفر الله لهم أيضا .

الثالث : الخصب والسعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تُصِبهُم حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِن عِندِ اللهِ وَإِن تُصِبهُم سَيِئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِن عِندِكَ ﴾ [سورة النساء آية : ٧٨] ، يقول إن أصابهم خير وسعة وخصب نسبوه إلى الله تعالى ، وإن أصابهم ضيق وقحط نسبوه إليك ، وقالوا : إنما نالنا ذلك من شؤمك ، ومثله قوله : ﴿ ثُم بَدلنَا مَكَانَ السيئَةِ الحَسَنَةَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩٥] ، أي : بدل الضيق بالسعة ، ومثله : ﴿ وَبَلَونَاهُم بِالحَسَنَاتِ وَالسيئَاتِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٦٨] ، أي : اختبرناهم بالضيق والسعة والبلوى .

والاختبار والتجربة سواء ، وحقيقة معناه فعل ما يحدث معه العلم بالمبلو المختبر ، ولا يجوز ذلك على الله ، لأنه عالم بنفسه .

وإنما المراد أنه يكلف عباده ويأمرهم وينهاهم ، لأن الابتلاء والامتحان هو الأمر والنهي ، فسمى الله تكليفه وأمره عباده ابتلاء من هذا الوجه على سبيل التوسع .

ولا يجوز أن يقال أنه يجرد عباده ، وإن كان الابتلاء والتجريد بمعنى واحد ، وذلك أن استعمال الابتلاء في الله مجاز ، والمجاز لا يقاس عليه ، وإنما يقاس على الحقائق ، ولولا أن أهل اللغة استعملوا الابتلاء في الله لم يجز استعماله فيه والعلة التي في الابتلاء ليست في التجربة وهي الاستعمال .

ولو جاز القياس على المجاز لجاز أن تقول : سل الحمار وسل الشاة ، وأنت تريد صاحبها ، كما جاء : ﴿وَاسأَلِ القَريَةَ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] أي : أهلها ، وفي امتناع ذلك دليل على ما قلنا .

الرابع : العافية والسلامة ، قال الله تعالى : ﴿وَيَستَعجِلُونَكَ بِالسيئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ﴾ [سورة الرعد آية : ٦] ، يعني : أنهم يريدون تقديم العذاب لهم في الدنيا على ما هم فيه من العافية فيها ، وقوله : ﴿فَأَمطِر عَلَينَا حِجَارَةً مِنَ السمَاءِ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٢] .

الخامس : العفو والمعروف من القول ، قال : ﴿وَيَدرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السيئَةَ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٢] ، أي : يدفعون القول القبيح المؤذي بالقول الحسن مرة وبالعفو أخرى ، والمعنى أنهم يتغافلون عنه فينقطع ، وكأنهم دفعوه ، ولو أجابوا عنه زيد فيه .

وقيل : معناه أنهم يدفعون بما يعملون من الحسنات ما تقدم لهم من السيئات ، قاله الزجاج ، وهو غلط لأن ما تقدم لا يدفع ، وإنما يقال ذلك في المستقبل ، وقال تعالى : ﴿وَلا تَستَوِي الحَسَنَةُ وَلا السيئَةُ ادفَع بِالتِي هِيَ أَحسَنُ﴾ [سورة فصلت آية : ٣٤] ، أمره بالصفح والتغافل .

والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة ، ولا دخلت تأكيدا ، و : ﴿ادفَع بِالتِي هِيَ أَحسَنُ﴾ ، أي : ادفع السيئة ، ومما يلحق بما تقدم أن حد الحسن الفعل الذي يدعوا إليه العقل ، وحد القبيح الفعل الذي يزجر عنه العقل ، والإحسان الدفع الحسن ، والإساءة الضرر القبيح .

وكل فعل مقصود لا يخلوا من أن يكون حسنا أو قبيحا ، وتدخل في الحسنة الفرائض والنوافل ، ولا يدخل فيها المباح ؛ لأن الحسنة مرغب فيها ولا يجوز أن يرغب في المباح ؛ لأن ذلك قبيح ، والمباح حسن وليس بحسنة .

obeikandl.com

الحبل

أصله من الإمساك ، ومنه قيل : الحابول للحبل الذي يصعد به في النخلة ، والحبالة شبكة الصائد ، والمحتبل الصائد ، وكذلك الحابل .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : القرآن ، قال الله تعالى : ﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَمِيعًا﴾(١) [سورة آل عمران آية : ١٠٣] ، أي : بكتابه ، وسماه حبلا لما فيه من توكيد الحجج والبيان ، كما يؤكد العهد ، والحبل عند العرب العهد .

الثاني : الأمان ، قال الله تعالى : ﴿إِلا بِحَبلٍ مِنَ اللهِ وَحَبلٍ مِنَ النَاسِ﴾(٢) [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، أي : بأمان ، قال الأعشى :

وإذا تُجاوزها حِبَال قَبِيلَـــة أخـ ـذت مِنَ الأُخرَى إِلَيكَ حِبَالهـــا

---

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿واعتصموا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً﴾ الحبل لفظ مشترك ، وأصله في اللغة السبب الذي يتوصل به إلى البغية ، وهو : إما تمثيل ، أو استعارة . أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام ، أو بالقرآن ، ونهاهم عن التفرق الناشيء عن الاختلاف في الدين ، ثم أمرهم بأن يذكروا نعمة الله عليهم ، وبيّن لهم من هذه النعمة ما يناسب المقام ، وهو أنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضاً ، وينهب بعضهم بعضاً ، فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخواناً وكانوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الكفر ، فأنقذهم الله من هذه الحفرة بالإسلام . [فتح القدير : ٢/ ٢٥]

(٢) قال الرازي : ﴿إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ الله وَحَبْلٍ مِّنَ الناس﴾ [آل عمران : ١١٢] أي بعهد ، وإنما سمي العهد حبلاً لأنه يزيل عنه الخوف من الذهاب إلى أي موضع شاء ، وكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف ، وقيل : إنه القرآن ، روي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أما إنها ستكون فتنة» قيل : فما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين » وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هذا القرآن حبل الله » وروي عن أبي سعيد الخُدْرِيّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي » وقيل : إنه دين الله ، وقيل : هو طاعة الله ، وقيل : هو إخلاص التوبة ، وقيل : الجماعة ، لأنه تعالى ذكر عقيب ذلك قوله ﴿وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ وهذه الأقوال كلها متقاربة ، والتحقيق ما ذكرنا أنه لما كان النازل في البئر يعتصم بحبل تحرزاً من السقوط فيها ، وكان كتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقته لجماعة المؤمنين حرزاً لصاحبه من السقوط في قعر جهنم جعل ذلك حبلاً لله ، وأمروا بالاعتصام به . [مفاتيح الغيب : ٤/ ٣٢٦]

ومعنى الآية أن اليهود لا يزالون مقهورين أذلاء إلا أن يأخذوا بحبل الله ، أي : إلا أن يكونوا ذمة للمسلمين ، وعنى بالناس النبي عليه السلام والمسلمين ، وهذا خبر غيب ، وفيه دلالة على صحة الدعوة ، وقال : ﴿مِنَ اللهِ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، أي : من أولياء الله .

ويجوز أن يكون عنى قولك لمن تعاهده إذا فعلت كذا ، فأنت أمين بأمان الله وأمان الرسول .

وقال الفراء : أراد إلا أن يعتصموا بحبل من الله فحذف لبيان المعنى ، وقال الأخفش : هذا مثل قوله تعالى ﴿لَن يَضُروكُم إلا أذًى﴾ [سورة آل عمران آية : ١١١] ، وهو استثناء خارج من أول الكلام ، وهو بمعنى لكن ، وليس بأشد من قوله : ﴿لا يَسمَعُونَ فِيهَا لَغوًا إلا سَلامًا﴾ [سورة مريم آية :٦٢] .

الحسنى

قد مضى القول فيها قبل .

وجاءت في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الخلف من النفقة في سبيل الله ، وهو قوله : ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾[1] [سورة الليل آية : ٦] ، ومثله قوله : ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ [سورة الليل آية : ٩] ، أي : بما يخلفه الله عليه في الآخرة .

الثاني : الخير ، قال الله تعالى : ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٧] ، أي : الخير وتأنيثها على معنى الخصلة والحلة والحال ، وهي تأنيث الأحسن فكأنه سمى الخير خصلة أو حلة ، وقد يقع ذلك على الخير والشر ، يقول هذه خصلة محمودة يعني : الخير ، وهذه خصلة مذمومة ، يعني : الشر .

الثالث : الجنة ، قال الله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس آية : ٢٦] ، وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠١] ، يعني : الجنة كذا قيل ، ويجوز أن يكون المعنى : الذين سبقت لهم منا الحسنى العدة الحسنة ، وهم المؤمنون لأن الله وعدهم أحسن العدة .

---

(١) قال الرازي : قوله : ﴿وَصَدَّقَ بالحسنى﴾ فالحسنى فيها وجوه أحدها : أنها قول لا إله إلا الله ، والمعنى : فأما من أعطى واتقى وصدق بالتوحيد والنبوة حصلت له الحسنى ، وذلك لأنه لا ينفع مع الكفر إعطاء مال ولا اتقاء محارم ، وهو كقوله : ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد : ١٤] إلى قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد : ١٧] وثانيها : أن الحسنى عبارة عما فرضه الله تعالى من العبادات على الأبدان وفي الأموال كأنه قيل : أعطى في سبيل الله واتقى المحارم وصدق بالشرائع ، فعلم أنه تعالى لم يشرعها إلا لما فيها من وجوه الصلاح والحسن وثالثها : أن الحسنى هو الخلف الذي وعده الله في قوله : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ : ٣٩] والمعنى : أعطى من ماله في طاعة الله مصدقاً بما وعده الله من الخلف الحسن ، وذلك أنه قال : ﴿مَّثَلُ الذين يُنفِقُونَ أموالهم فِي سَبِيلِ الله﴾ [البقرة : ٢٦١] فكان الخلف لما كان زائداً صح إطلاق لفظ الحسنى عليه . [مفاتيح الغيب : ١٧/ ٥٨]

الرابع : الهداية ، قال الله تعالى : ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أَن لَهُمُ الحُسنَى﴾ [سورة النحل آية : ٦٢] ، أي : يزعمون مع قبح فعلهم أنهم على الهداية ، وجاء في التفسير أن الحسنى هاهنا اليقين .

والمراد تصف ألسنتهم أن لهم الحسنى بدل ، أي : اليقين ، وهم كاذبون في ذلك ، أي : هم في شك أو شبهة وإن بدل من الكذب المعنى ، وتصف ألسنتهم أن لهم الحسنى ، وذلك الكذب لا جرم أن لهم النار رد لقولهم المعني جرم فعلهم هذا أن لهم النار ، أي : كسب ، والجرم الكسب .

وقال قطرب : أن في موضع رفع ، والمعنى وجب أن لهم النار ، وأنهم مفرطون مقدمون للنار ، وقرئ ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بفتح الراء مع التشديد ، أي : متروكون كأنهم جعلوا مقدمين إلى العذاب متروكين فيه ، وقرئ ﴿مُفْرِّطُونَ﴾ بكسر الراء وتشديده أي : فرطوا في الدنيا .

obeikandl.com

الحسن

على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله عز وجل : ﴿قُولُوا لِلناسِ حُسنًا﴾[1] [سورة البقرة آية : ٨٣] ، وهي قراءة أي : حقا كذا قيل ، ويجوز أن يكون المراد أن قولوا لهم قولا حسنا ، وهو أولى ؛ لأنه على مقتضى اللفظ .

الثاني : بمعنى المحتسب ، وقال تعالى : ﴿مَن ذَا الذِي يُقرِضُ اللهَ قَرضًا حَسَنًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٥] ، أي : محتسبا كذا قيل ، ويجوز أن يقال : أن القرض الحسن هو للبر والصدقة التي لا مَنَّ فيها ، وسمي ذلك قرضا ؛ لأنه يقرض من المال أي : يقطع منه ، والقرض القطع ، ويجوز أن يكون سماه قرضا ؛ لأنه يرد عليه جزاؤه ، فكأنه رد عليه بعينه كالقرض يرد على المقرض .

الثالث : الجنة ، قال الله : ﴿أَفَمَن وَعَدنَاهُ وَعدًا حَسَنًا﴾ [سورة القصص آية : ٦١] ، يعني : الجنة ، ويجوز أن يكون حسنا أي : حسن المسموع .

---

(١) قال الشوكاني : معنى قوله : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حسنا﴾ أي : قولوا لهم قولاً حسناً ، فهو صفة مصدر محذوف ، وهو : مصدر كبشرى . وقرأ حمزة ، والكسائي : «حسناً» بفتح الحاء ، والسين ، وكذلك قرأ زيد بن ثابت ، وابن مسعود . قال الأخفش هما بمعنى واحد ، مثل البُخل ، والبَخل ، والرُّشد ، والرَّشد ، وحكى الأخفش أيضاً : «حسنى» بغير تنوين على فعلى . قال النحاس : وهذا لا يجوز في العربية ، لا يقال من هذا شيء إلا بالألف ، واللام نحو الفضلى ، والكبرى ، والحسنى ، وهذا قول سيبويه . وقرأ عيسى ، بن عمر : «حُسُناً» بضمتين : والظاهر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بنوع معين ، بل كل ما صدق عليه أنه حسن شرعاً كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر ، وقد قيل : إن ذلك هو : كلمة التوحيد . [فتح القدير : ١/ ١٢٣]

الحكمة[1]

أصلها المنع ، يقال : أحكمت الرجل عن كذا ، أي : منعته عنه ، وسميت الكلمة الواعظة حكمة ، لأنها تمنع عن التورط في الجهل ، ومن ثم قيل : حكمة الراية ، وقال جرير :

أَبَنِي حَنِيفَةَ احكُمُوا سُفَهَائَكُم   إِنِّي أَخَافُ عَلَيكُم أن أَغضَبَا

وسمي الحكم حكما ؛ لأنه إذا تم منع عن التخاصم ، وسمي العلم حكمة ؛ لأنه يمنع صاحبه من الموارد القبيحة التي يردها الجاهل .

وتسمية الله بأنه حكيم على وجهين :

أحدهما : يستحقه لذاته ، وهو أنه عالم .

والآخر : يستحقه لفعله ، وهو أن أفعاله محكمة ، وفعيل بمعنى مفعل معروف في اللغة ، يقال : سميع بمعنى مسمع ، قال عمرو بن معدي كرب :

أمن ريحانة الداعي السميع

ويجيء فعيل بمعنى مفعل ، وفي القرآن : ﴿فِيهَا يُفرَقُ كُل أَمرٍ حَكِيمٍ﴾ [سورة الدخان آية : ٤] ، وبصير بمعنى مبصر ، وهذا من الأول .

والحكمة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الحلال والحرام والسنن والأحكام ، قال الله : ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيكُم مِنَ الكِتَابِ وَالحِكمَةِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣١] ، فالكتاب القرآن ، والحكمة ما فيه من وجوه التحليل والتحريم ومعرفة الشريعة كلها ، والدليل على صحة ذلك أنه أتى بذلك بعد بيان الأحكام ،

---

(١) الحِكمةُ : مَرْجِعُها إلى العَدْل والعِلْم والحِلْم . ويقال : أَحْكَمَتْه التَجارِبُ إذا كانَ حكيماً . وأَحْكَمَ فلانٌ عنّي كذا ، أي : مَنَعَه ، قال :

أَلَمَا يَحْكُمُ الشُعَراءُ عَنّي

واسْتَحْكَمَ الأمرُ : وَثُقَ . واحتكَمَ في ماله : إذا جازَ فيه حُكْمُه . والأسم : الأُحكُومة والحُكُومة ، قال الأعشى : ولَمِثْلُ الذي جَمَعْتَ لرَيْبِ الدَّهْرِ يَأْبَى حُكومةَ المُقتالِ أي لا تَنْفُذ حكومةُ من يحتكِم عليك من الأعداء . والمُقتالُ : المُفتَعِلُ من القَوْلِ حاجةً منه إلى القافية . [العين : حكم]

وشرح الحلال والحرام ، وسمي ذلك حكمة ؛ لأنه يمنع من الوقوع في المحظور ، ومثله : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٣] .

الثاني : الفهم والعلم ، قال الله : ﴿ وَلَقَد آتَينَا لُقمَانَ الحِكمَةَ ﴾ [سورة لقمان آية : ١٢] ، وقال : ﴿ وَآتَينَاهُ الحُكمَ صَبِيا ﴾ [سورة مريم آية : ١٢] ، يعني الحكمة ، وهو الفهم والعلم والحكمة والحكم سواء ، وهو مثل العذر والعذرة ، والقل والقلة ، والنحل والنحلة ، وهي العطية والخير والخيرة .

ومثله : ﴿ الذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ وَالحُكمَ وَالنبُوةَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٩] ، يعني : الفهم ، وقال : ﴿ آتَينَاهُ حُكمًا وَعِلمًا ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٢] ، ويجوز أن يكون الحكم هنا القضاء ، أي : جعله قاضيا بين الناس ، وقال : ﴿ وَيُعَلمُهُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٣] ، أي : علمناه الخط ، يقال : كتب كتابا ، والحكمة : ما أجري على لسانه من الكلم الداعية إلى الرشد الزاجرة عن الغي ، وقيل : الحكمة هنا الشرائع .

الثالث : النبوة ، قال : ﴿ وَآتَينَا آلَ إِبرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، يعني : النبوة ، ومثله : ﴿ وَآتَينَاهُ الحِكمَةَ وَفَصلَ الخِطَابِ ﴾ [سورة ص آية : ٢٠] ، يعني : النبوة ، والفصل الذي ينفصل به بين المتخاصمين ، وقيل : فصل الخطاب هو أما بعد وداود أول من قاله ، والأول الوجه . ومثله : ﴿ وَآتَاهُ اللهُ المُلكَ وَالحِكمَةَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥١] ، أي : النبوة ، أي : أتى الله داود الملك والحكمة بعد قتل جالوت ، فدل على أن ملك جالوت انتقل إلى داود بعد قتله جالوت أو بعد موت طالوت .

الرابع : تفسير القرآن ، قال : ﴿ وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٩] ، قالوا : يعنى العلم بتفسير القرآن ، ويجوز أن تكون الحكمة القرآن نفسه ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِما أَوحَى إِلَيكَ رَبكَ مِنَ الحِكمَةِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] .

ويجوز أن تكون النبوة والشاهد قوله : ﴿ فَقَد آتَينَا آلَ إِبرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، ويجوز أن يكون العلم والأصالة كقوله : ﴿ وَلَقَد آتَينَا لُقمَانَ

الحِكمَةَ﴾ [سورة لقمان آية : ١٢] ، وجماع الحكمة ، والحكم الرد إلى الصواب فكل ما رد إلى الصواب حكمة وحكمه التامة من ذل ؛ لأنها ترد إلى القصد .

الخامس : القرآن ، قال : ﴿ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥]يعني القرآن ونظيره : ﴿ذَلِكَ مِما أَوحَى إِلَيكَ رَبكَ مِنَ الحِكمَةِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] ، ويجوز أن يكون المعنى في قوله : ﴿ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبكَ بِالحِكمَةِ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥] ، القرآن ، وغيره من الكلم المرشدة الزاجرة ، وكل ذلك تسمى حكمة .

obeikandl.com

الحشر[1]

أصل الحشر الجمع مع السوق[2] ، قال الله تعالى : ﴿وَابعَث فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [سورة الشعراء آية : ٣٦] ، أي : رجالا يجمعون السحرة إليك ، ويقال : حشرت القوم إذا جمعتهم وسقتهم ، ويجوز أن يكون أصله من الخفة كأن الذي تحشره يخف لك ، ولهذا قيل : إذن حشرة ، أي : حقيقة ، وسهم حشرات خفيف ، وحشرات الأرض صغار دوابها ، وناقة حشور ملززة الخلق ، وقيل : المنتفخة الجنين العظيمة البطن كأنها من الأضداد .

وفسر الحشر في القرآن على وجهين :

الأول : الجمع ، قال الله تعالى : ﴿وَيَومَ نَحشُرُهُم جَمِيعًا﴾ [سورة يونس آية : ٢٨] ، أي : نجمعهم ، قال : ﴿وَحَشَرنَاهُم فَلَم نُغَادِر مِنهُم أَحَدًا﴾ [سورة الكهف آية : ٤٧] ، ومثله : ﴿وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَت﴾ [سورة التكوير آية : ٥] ، أي : جمعت ، وقوله : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِن وَالإِنسِ وَالطيرِ﴾ [سورة النمل آية : ١٧] ، وقال : ﴿احشُرُوا الذِينَ ظَلَمُوا وَأَزوَاجَهُم﴾ [سورة الصافات آية : ٢٢] ، ولا يكون هذا بمعنى السوق ، لأنه يقال : ﴿وَمَا كَانُوا يَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٢-٢٣] ،

---

(١) [حشر] : الحَشْرُ : حَشْرُ يَوْمِ القِيامَة . والمَحْشَرُ : المَجْمَعُ ، وهو المَحْشِرُ أيضاً . وحَشَرَتْهُم السَّنَةَ : ضَمَّتْهم من النَّواحي ، وتُهْلِكُ في خِلالِ ذلك . والحَشَرَةُ : صِغارُ دَوَابِّ الأرْض ، والجَميعُ الحَشَرَاتُ . والحَشْوَرُ من الدَّوَابِّ : كلُّ مُلَزَّزِ الخَلْقِ شَدِيدِه . وهو أيضاً : العَظِيمُ الجَنْبَيْنِ . والحَشْرُ من الآذانِ ومِنْ قُذَذِ رِيْشِ السِّهَام : ما لَطُفَ . وحَشَرْتُ السِّنَانَ فهو مَحْشُوْرٌ : رَقَّقْتُه . والحَشَرَةُ : القِشْرَةُ تكونُ على حَبِّ السُّنْبُلَة ، ومَوْضِعُ ذلك : المَحْشَرَةُ . وقيل : هو مَا بَقِيَ في الأرْضِ من نَبَاتٍ بَعد حَصْدِ الزَّرْع ، ويَنْبُتُ أخْضَرَ . ووَطْبٌ حَشِرٌ : اجْتَمَعَ عليه الوَسَخُ . وحُشِرَ فلانٌ في رأسِه واحْتُشِرَ : كذلك . وعَجُوْزٌ حَشُوَرَةٌ : هي المُتَظَرِّفَةُ البَخِيْلَةُ . [المحيط في اللغة : حشر]

(٢) الفرق بين الحشر والجمع : أن الحشر هو الجمع مع السوق ، والشاهد قوله تعالى " وابعث في المدائن حاشرين " أي إبعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك ، ومنه يوم الحشر لان الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف ، وقال صاحب المفصل : لا يكون الحشر إلا في المكروه ، وليس كما قال لان الله تعالى يقول " يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا " . [الفروق اللغوية : ١/١٨٨]

يعني : الأصنام ، والأصنام لا تساق ، ولكن يجمع على أنه يقال في الجماد والأغراض السوق على سبيل المجاز .

الثاني : السوق ، قال الله : ﴿وَنَحشُرُهُم يَومَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِم عُميًا وَبُكمًا وَصُما﴾ [سورة الإسراء آية : ٩٧] ، أي : نسوقهم ، وقال : الأول الحشر يعني : سوقهم إلى الشام ، وجعله أولا لأن الناس يحشرون إلى الشام يوم القيامة ، أي : يجمعون ويساقون ، وهؤلاء بنو النضير ، أخرجهم الله من ديارهم واعتمها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لأول الحشر ، أي : هو أول ما حشروا : ﴿وَأُخرِجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ [سورة آل عمران آية : ١٩٥] ، وهذا أصح وأقرب .

obeikandl.com

الحق[1]

الحق : العقد على المعنى على ما هو به ، ويدعوا إليه الحكمة ، والحق في الدين ما شهد به الدليل على الثقة فيما طريقه العلم والقوة فيما طريقه غالب الظن .

والحق أعم من الأصلح ، لأن الأصلح حق و إلا دون في الصلاح حق ، ومعنى الحق وقوع الشيء في موقعه .

والصلاح : استقامة الشيء على مقدار ، وأصله من الثبات ، ويقول : تحققت الشيء ، أي : ثبت عندي ، وهذا حقك ؛ لأنه قد ثبت لك ملكه ، والحق من الإبل الذي يثبت للعمل .

والحق خلاف الباطل ؛ لأنه يثبت ، والحق في أسماء الله تعالى بمعنى أنه الدائم الثابت الملك غير زائل السلطان ، وأنا أحق بكذا ، أي : هو أثبت لي ، وفي القرآن : ﴿ أَفَمَن يَهدِي إِلَى الحَق أَحَق أَن يُتبَعَ ﴾ [سورة يونس آية : ٣٥] ، وقال : ﴿ فَأَي الفَرِيقَينِ أَحَق بِالأَمنِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨١] .

وفسر الحق في القرآن على عشرة أوجه :

---

(١) [حق] : الحقُّ نقيض الباطل . حقَّ الشيْء يَحِقُّ حَقّاً أي وَجَبَ وُجُوباً . وتقول : يُحِقُّ عليكَ أنّ تفعَلَ كذا ، وأنتَ حقيقٌ على أن تفعَلَه . وحَقيقٌ فَعيلٌ في موضع مفعول .
وقول الله عزَّ وجَلّ - : " حقيق على أن لا أقول " معناه مَحقوق كما تقول : واجب . وكلُّ مفعُول رُدَّ إلى فَعيل فمذكَّره ومُؤنّثه بغير الهاء ، وتقول للمرأة : أنتِ حقيقةٌ لذلك ، وأنتِ مَحقوقةٌ أن تفظعلي ذلك ، قال الأعشى :

لَمحقُوقَةٌ أنْ تَستَجيبي لصَوْته *** وأنْ تَعلمي أنَّ المُعانَ مُوَفَّقُ

والحَقَّةُ من الحَقِّ كأنّها أوجَبُ وأخَصُّ . تقول : هذه حَقَّتي أي حَقّي .
قال : وحَقَّةٌ ليست بقول التُّرْهة .
والحقيقة : ما يصيرُ إليه حقُّ الأمر ووجوبه . وبلغْتُ حقيقةَ هذا : أي يقين شأنه . وفي الحديث : " لا يبلُغُ أحَدُكُم حقيقةَ الإيمان حتى لا يعيبَ على مُسلِمٍ بعَيْبٍ هو فيه " .
وحقيقةُ الرجل : ما لَزِمَهُ الدفاعُ عنه من أهل بيته ، والجميع حقائق .
وتقول : أَحَقَّ الرجُلُ إذا قال حَقّاً وادَّعَى حَقّاً فوَجَبَ له وحَقَّقَ ، كقولك : صدَّق وقالَ هذا هو الحقُّ .
[العين : ١/١٢٦]

الأول : يعني : به الله تعالى ، قال : ﴿وَلَوِ اتبَعَ الحَق أَهوَاءَهُم﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] ، قالوا : معناه لو اتبع الله أهواءهم ، ويجوز أن يكون الحق هاهنا هو الحق في قوله تعالى : ﴿بَل جَاءَهُم بِالحَق﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، : ﴿وَلَوِ اتبَعَ الحَق﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] ، أي : لو كان التنزيل بما يحبون لفسدت الأمور ، وفسر قوله أيضا : ﴿وَتَوَاصَوا بِالحَق﴾ [سورة العصر آية : ٣] ، أي : أن الله واحد ، وهذا بعيد ، والصحيح أن بعضهم يوصي بعضا باستعمال الحق وترك تجاوزه .

الثاني : القرآن ، قال الله : ﴿حَتى جَاءَهُمُ الحَق وَرَسُولٌ مُبِينٌ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَق﴾ [سورة الزخرف آية : ٢٩- ٣٠] ، يعني : القرآن قالوا : هذا سحر ، وإنما سموه سحرا لخفاء مسلكه عندهم ، وقال : ﴿بَل كَذبُوا بِالحَق لَمَّا جَاءَهُم﴾ [سورة ق آية : ٥] ، وقال : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَق مِن عِندِنَا قَالُوا لَولا أُوتِيَ مِثلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ [سورة القصص آية : ٤٨] ، أو لم يكتفوا من الدلالة بالقرآن مع عجزهم عنه فطلبوا مثلا آيات موسى فأخبرهم أنهم مع تلك الآيات أيضا كفروا على الحجة في القرآن أبلغ منها في قلب العصا حية ؛ لأن التحدي بالقرآن قد وقع على قوم كان صناعتهم الكلام .

وكان السحر في أيام موسى عليه السلام في القليل من الناس كهو فينا اليوم ، ولأن القرآن يبقى على الأبد ويقف عليه في الأطراف ، من لا يقف على أمر للعصا إلا بالإخبار .

الثالث : الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿وَقُل جَاءَ الحَق وَزَهَقَ البَاطِلُ﴾ [سورة الإسراء آية : ٨١] ، يعني : مجيء الإسلام وذهاب الشرك ، والزهوق الهلاك ، وقال : ﴿لِيُحِق الحَق وَيُبطِلَ البَاطِلَ﴾ [سورة الأنفال آية : ٨] ، أي : ثبت الإسلام ويزيل الشرك .

الرابع : العدل ، قال الله : ﴿يَومَئِذٍ يُوَفيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَق﴾[سورة النور آية : ٢٥] ، أي : جزاءهم العدل : ﴿وَأَن اللهَ هُوَ الحَق المُبِينُ﴾[سورة النور آية : ٢٥] ، وقربت منه : ﴿بَل جَاءَهُم بِالحَق﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، أي : بالعجز ، ويجوز أن يكون اسلم عنى بالصدق ، ويجوز أن يكون الحق هاهنا خلاف الباطل ؛ لأنه قال : ﴿وَأَكثَرُهُم لِلحَق كَارِهُونَ﴾[سورة النور آية : ٧٠] ، على حسب ما تقول : الحق مر .

الخامس : الصدق ، قال الله : ﴿وَعدَ الله حَقا﴾ [سورة النساء آية : ١٢٢ ، يونس : ٤ ، لقمان : ٩] أي : صدقا ، وقال : ﴿قَولُهُ الحَق﴾ [سورة الأنعام آية : ٧٣] ، يعني : الصدق .

السادس : حق بمعنى وجب ، قال الله : ﴿وَلَكِن حَق القَولُ مِني﴾ [سورة السجدة آية : ١٣] ، أي : وجب ، : ﴿وَكَذَلِكَ حَقت كَلِمَتُ رَبكَ﴾ [سورة غافر آية : ٦] ، يعني : وجبت .

السابع : الحق خلاف الباطل قال الله : ﴿مَا خَلَقنَا السمَوَاتِ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا إِلا بِالحَق﴾ [سورة الحجر آية : ٨٥] ، أي : للحق ، يقول : ليعمل فيها بالحق دون الباطل ، وفيه دليل على بطلان قول المجبرة .

الثامن : قوله تعالى : ﴿ثُم رُدوا إِلَى اللهِ مَولاهُمُ الحَق﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٢] ، أي : مولاهم على الحقيقة .

التاسع : بمعنى الدين ، قال : ﴿وَليُملِلِ الذِي عَلَيهِ الحَق﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : الذي عليه الدين ، وإنما يملي الذي عليه الحق ؛ لأنه مشهود عليه وإملاؤه إقراره تشهد به عليه ، : ﴿وَليَتقِ اللهَ رَبهُ وَلا يَبخَس مِنهُ شَيئًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : ليتق عذاب الله ولا ينقص مما عليه شيئا .

وفي هذا دلالة على أن القول قول المطلوب فيما يقر به ، لأن البخس النقصان ، و قد وعظه الله أن ينقص فدل على أنه إذا بخس ، أو ذكر الزيادة أو نقص الأجل أن القول قوله فيه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلا يَحِل لَهُن أَن يَكتُمنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرحَامِهِن﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٨] ، لما وعظهن الله في الكتمان ، دل على أن القول قولهن في الحمل ، : ﴿فَإِن كَانَ الذِي عَلَيهِ الحَق سَفِيهًا أَو ضَعِيفًا أَو لا يَستَطِيعُ أَن يُمِل هُوَ فَليُملِل وَلِيهُ بِالعَدلِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : فإن كان ضعيف العقل أو عيبا لا يستطيع الإملاء ، أملى وليه ، يعني : ولي الصغير والضعيف العقل .

والمراد بالإملاء الإشهاد على نفسه بما حصل على الصغير ، والضعيف العقل لولايته عليهما ؛ لأن الشهادة لا تقع إلا على العاقل ، والشاهد على أنه أراد بالإملاء الإشهاد إجماع الأمة لو أملى غيره الكتاب جاز .

العاشر : بمعنى الحظ ، قال الله تعالى : ﴿وَالذِينَ فِي أَمْوَالِهِم حَق مَعلُومٌ﴾ [سورة المعارج آية : ٢٤] ، أي : حظ ، وإنما جعله حقا ؛ لأنهم أوجبوه على أنفسهم ، فصار كالدين .

وأما قوله : ﴿مَا نُنَزلُ المَلائِكَةَ إلا بِالحَق﴾ [سورة الحجر آية : ٨] ، فمعناه أنه لا ننزل الملائكة إلا بوحي أو بأجل ، وكلاهما حق ، : ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ﴾ [سورة الحجر آية : ٨] ، أي : لو نزل الملائكة لم يمهلوا وانقطع التوبة ، فلم يقبلوا ، والفرق بين الإنظار والإمهال أن الإنظار مقرون بمقدار ما يقع فيه النظر ، والإمهال مبهم .

الحساب

أصل الحساب في العربية الكفاية، يقال : أحسبني الشيء ، أي : كفاني ، وحسبي الله ، أي : كافي الله ، وفي القرآن : ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾[1] [سورة النبأ آية : ٣٦] ، أي : كافيا ، : ﴿حَسبَكَ اللهُ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٢] ، أي : هو العالم لفعلك ، ومجازاتك عليه .

وقيل : الحسيب المقتدر ، وقيل : الحسيب الكافي ، ومعناه كافي إياك الله ، وقيل : الحسيب المحاسب كما يقال للمحافظ الحفيظ ، وللمشارب الشريب ، وفي القرآن : ﴿يَأَيهَا النبِي حَسبُكَ اللهُ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٤] ، أي : كافيك الله ، وسمي الحساب حسابا لأنك تكتفي به من وكيلك ومعاملك ، ولا تطلب شيئا بعده .

وهو في القرآن على عدة أوجه :

الأول : الجزاء ، قال الله : ﴿إِن حِسَابُهُم إِلا عَلَى رَبي لَو تَشعُرُونَ﴾ [سورة الشعراء آية : ١١٣] ، أي : جزاؤهم ، وقال : ﴿إِن عَلَينَا حِسَابَهُم﴾ [سورة الغاشية آية :

---

(١) قال الرازي : قوله : ﴿حِسَاباً﴾ فيه وجوه الأول : أن يكون بمعنى كافياً مأخوذ من قولهم : أعطاني ما أحسبني أي ما كفاني ، ومنه قوله : حسبي من سؤالي علمه بحالي ، أي كفاني من سؤالي ، ومنه قوله :

فلما حللت به ضمني . . . فأولى جميلاً وأعطى حسابا

أي أعطى ما كفى والوجه الثاني : أن قوله : حساباً مأخوذ من حسبت الشيء إذا أعددته وقدرته فقوله : ﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾ أي بقدر ما وجب له فيما وعده من الإضعاف ، لأنه تعالى قدر الجزاء على ثلاثة أوجه ، وجه منها على عشرة أضعاف ، ووجه على سبعمائة ضعف ، ووجه على مالا نهاية له ، كما قال : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : ١٠] ، الوجه الثالث : وهو قول ابن قتيبة : ﴿عَطَاء حِسَاباً﴾ أي كثيراً وأحسبت فلاناً أي أكثرت له ، قال الشاعر :

ونقفي وليد الحي إن كان جائعا . . . ونحسبه إن كان ليس بجائع

الوجه الرابع : أنه سبحانه يوصل الثواب الذي هو الجزاء إليهم ويوصل التفضل الذي يكون زائداً على الجزء إليهم ، ثم قال : ﴿حِسَاباً﴾ ثم يتميز الجزاء عن العطاء حال الحساب الوجه الخامس : أنه تعالى لما ذكر في وعيد أهل النار : ﴿جَزَاءً وفاقا﴾ ذكر في وعد أهل الجنة جزاء عطاء حساباً أي راعيت في ثواب أعمالكم الحساب ، لئلا يقع في ثواب أعمالكم بخس ونقصان وتقصير ، والله أعلم بمراده .

المسألة الرابعة : قرأ ابن قطيب : ﴿حِسَاباً﴾ بالتشديد على أن الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك ، هكذا ذكره صاحب «الكشاف» . [مفاتيح الغيب : ١٦/ ٣٠٧]

٢٦] ، جاء في التفسير أنه أراد بهاتين الآيتين الجزاء ، وكذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [سورة المؤمنون آية : ١١٧] ، أي : جزاؤه .

والأجود أن يفسر على الوجه المعروف ، فيقال : أراد أن عليك أن تبلغهم ، وعلينا أن نحاسبهم ، وفي هذا تهديد شديد ، وهو أيضا يرجع إلى معنى الجزاء ، لأنه إذا حاسبهم جازاهم .

الثاني : الحساب المعروف ، قال : ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٢] ، وأراد بالحساب هاهنا عدد الأيام والأعوام ، ومدد الأعمار والآجال والديون ، وغير ذلك مما يجري مجراه .

ولم يعن حساب الأموال وما بسبيلها ، وقال : ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٢] ، ومعنى ذلك أنه إذا أراد حسابهم لم يتعذر عليه ، وفي هذا دليل على أنه ليس بجسم ؛ لأن الجسم يتعذر عليه حساب الجماعات الكثيرة في حال واحدة .

وقيل الحساب أن تأخذ ما لك ، وتعطي ما عليك ، والله تعالى قد أحصى الأعمال ؛ فهو يجازي عليها من غير تعذر ولا إطالة .

الثالث : بمعنى الكافي ، قال الله : ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ [سورة النبأ آية : ٣٦] ، أي : كافيا على ما ذكرنا .

ووجه رابع : وهو قوله : ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة غافر آية : ٤٠] ، قال المبرد : المراد أنه يتجاوز بهم جد ما فعلوا ، وعندنا أن هذا موضوعه للكثرة ، يقال : أعطاه بغير حساب ، أي : أعطاه كثيرا ، وذلك أن الحساب للإحاطة والحصر ؛ وكأنه قد أعطاه عطاء لا يحصر كثرة ، ومثله قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٧] ، ويجوز أن يكون تفضل عليه ، بغير استحقاق ، والتفضل غير محسوب .

الحي من القرب ؛ لأن بعضهم يجيء مع بعض ، وسميت الحية حية ؛ لأنها لا تموت حتى تقتل وإلا فهي حية أبدا تكبر إلى أن تنتهي ثم تبتدئ فتصغر حتى تنتهي ثم تكبر وكذلك أبدا إلى أن يصاب هكذا قالوا ، وأنشدوا :

دَاهِيَةٌ قَد صَغُرَت مِنَ الكِبَرِ

والحياة في القرآن على ستة أوجه :

الأول : تميز الصورة ونفخ الروح قال : ﴿ وَكُنتُم أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨] ، أي : كنتم نطفا فميز صورتكم ، ونفخ فيكم الروح كذا قيل ، ويجوز عندنا أن يكون أراد أنكم كنتم نطفا أمواتا فجعلكم أحياء .

وليس في الكلام دلالة على أنه أراد تمييز الصورة ، وسمي النطف أمواتا ؛ لأن كل ما ينفصل من الإنسان سمي ميتا مثل النطفة والدم وما بسبيلها ونحوه ، : ﴿ هُوَ الذِي أَحيَاكُم ثُم يُمِيتُكُم ﴾ [سورة الحج آية : ٦٦] ، وقوله : ﴿ يُخرِجُ الحَي مِنَ المَيتِ ﴾ [سورة الروم آية : ١٩] ، قالوا : معناه يخرج الحيوان من النطفة والطائر من البيضة ، وقيل : يخرج المؤمن من

---

(١)(ح ي ي) : (حَيِيَ) حَيَاةً فَهُوَ حَيٌّ (وَبِهِ سُمِّيَ) جَدُّ جَدِّ الْحَسَنِ بن صَالِحِ بن صَالِحِ بن مُسْلِمِ بن حَيٍّ (وَبِتَصْغِيرِهِ) سُمِّيَ حُيَيُّ بن عَبْدِ اللهِ الْمَعَافِرِيُّ (وَبِتَأْنِيثِهِ) عَلَى قَلْبِ الْيَاءِ وَاوًا حَيْوَةُ بن شُرَيْحٍ (وَاسْتَحْيَاهُ) تَرَكَهُ حَيًّا وَمِنْهُ) ﴿ وَاسْتَحْيَوْا شَرْخَهُمْ ﴾ وَحَيَاةُ الشَّمْسِ بَقَاءُ ضَوْئِهَا وَبَيَاضِهَا وَقِيلَ بَقَاءُ حَرِّهَا وَقُوَّتِهَا وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْعُرْفُ وَقَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ يَصِفُ حِمَارَ وَحْشٍ فَلَمَّا اسْتَبَانَ اللَّيْلُ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ حَيَاةَ الَّتِي تَقْضِي حُشَاشَةَ نَازِعِ أَلَا تَرَى كَيْفَ شَبَّهَ حَالَةَ الشَّمْسِ بَعْدَمَا دَنَتْ لِلْمَغِيبِ بِحَالِ نَفْسٍ شَارَفَتْ أَنْ تَمُوتَ فَهِيَ كَأَنَّهَا تَقْضِي دَيْنَ الْحَيَاةِ وَتُؤَدِّي مَا عِنْدَهَا مِنْ وَدِيعَةِ الرَّمَقِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مُشَافَهَةَ طَلَائِعِ اللَّيْلِ وَمُشَاهَدَةَ أَوَائِلِهِ فَأَيْنَ هَذِهِ الْحَالَةُ مِنْ بَقَاءِ قُوَّتِهَا وَحَرَارَتِهَا . [المغرب : الحاء مع الياء] .

وقال الجرجاني : الحياة : هي صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر .

والحياة الدنيا : هي ما يشغل العبد عن الآخرة .[التعريفات :١/ ٣١]

الكافر ، ويجوز أن يكون أراد أنكم كنتم ترابا فجعلكم أحياء ، والجماد قد تسمى ميتا على جهة التوسع ؛ لأنه عدم الحس والحركة .

الثاني : محي الحي بمعنى العاقل العارف ، قال الله : ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيا﴾ [سورة يس آية : ٧٠] ، ونحوه قول الشاعر :

لَقَد أَسمَعت لَو نَادَيت حَيًّا ... وَلَكِن لا حَيَاة لِمَن تُنَادِي

أي : لو تنادي عاقلا ، والمراد أنه لا يستعمل عقله ، ولو لم يكن له عقل أصلا لم يكن مكلفا .

الثالث : الحي بمعنى المهتدي ، قال الله : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٢] ، أي : كافرا فهديناه ونحوه قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾ [سورة فاطر آية : ٢٢] ، معناه لا يستوي المؤمن ولا الكافر ، فأخرج ما لا يقع عليه الحاسة إلى ما يقع عليه الحاسة ، كما قال : ﴿أَعمَالُهُم كَرَمَادٍ اشتَدَت بِهِ الريحُ فِي يَومٍ عَاصِفٍ﴾ [سورة إبراهيم آية : ١٨] ، وما كان يجري هذا المجرى ، وهو أعظم في البيان ؛ لأن العيان فضلا على ما سواه .

الرابع : الحياة بمعنى البقاء ، قال : ﴿وَلَكُم فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلبَابِ﴾(١) [سورة البقرة آية : ١٧٩] ، يعني : أن من يعرف أنه إذا قتل اقتص منه كف عن القتل فبقى .

---

(١) قال الرازي : اتفق علماء البيان على أن هذه الآية في الإيجاز مع جمع المعاني باللغة بالغة إلى أعلى الدرجات ، وذلك لأن العرب عبروا عن هذا المعنى بألفاظ كثير ، كقولهم : قتل البعض إحياء للجميع ، وقول آخرين : أكثروا القتل ليقل القتل ، وأجود الألفاظ المنقولة عنهم في هذا الباب قولهم : القتل أنفى للقتل ، ثم إن لفظ القرآن أفصح من هذا ، وبيان التفاوت من وجوه : أحدها : أن قوله : ﴿وَلَكُمْ فِي القصاص حياة﴾ أخصر من الكل ، لأن قوله : ﴿وَلَكُمْ﴾ لا يدخل في هذا الباب ، إذ لا بد في الجميع من تقدير ذلك ، لأن قول القائل : قتل البعض إحياء للجميع لا بد فيه من تقدير مثله ، وكذلك في قولهم : القتل أنفى للقتل فإذا تأملت علمت أن قوله : ﴿فِي القصاص حياة﴾ أشد اختصاراً من قولهم : القتل أنفى للقتل وثانيها : أن قولهم : القتل أنفى للقتل ظاهرة يقتضي كون الشيء سبباً لانتفاء نفسه وهو محال ، وقوله : ﴿فِي القصاص حياة﴾ ليس كذلك ، لأن المذكور هو نوع من القتل وهو القصاص ، ثم ما جعله سبباً لمطلق الحياة لأنه ذكر الحياة منكرة ، بل جعله سبباً لنوع من أنواع الحياة وثالثها : أن قولهم القتل أنفى للقتل ، فيه تكرار

obeikandi.com

والمراد أنه يبقى حيا فحقيقة المعنى أن لكم في القصاص بقاء حياة ونحوه ، : ﴿ وَيَستَحيُونَ نِسَاءَكُم ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤١] ، أي : يستبقونهن فتضاعف المحنة عليكم ببقاء النساء مع فناء الرجال ، واستحياه واستبقاه بمعنى واحد فاستبقاه طلب بقاءه ، واستحياه طلب حياته ، ولا يستبقيه إلا وهو يستحييه ، ولكن لفظ الاستبقاء أكثر في الاستعمال فلأجل هذا فسروا الاستحياء بالاستبقاء ، أخرجوا الأغمض إلى الأشهر .

الخامس : مثل قال الله : ﴿ وَمَن أَحيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحيَا النَاسَ جَمِيعًا ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٢] ، أي : من استنقذها من الضلال أو أغاثها من المكروه فكأنه أحيا الناس جميعا ، أي : أجره أجر من أحيا الناس جميعا وأجر من يحيي الناس جميعا يتضاعف على قدر ذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه قد أسدى إلى كل واحد منهم يدا بإحيائه أخاه المؤمن ؛ فكأنه أحياهم كما تقول للرجل يسدي إليك يدا قد أحييتني ، وإن كان لا يقدر على ذلك .

السادس : الحياة بعد الموت ، قال : ﴿ وَأُحيِي المَوتَى بِإِذنِ اللهِ ﴾ [سورة آل عمران آية ٤٩] ، وقال : ﴿ أَلَيسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحيِيَ المَوتَى ﴾ [سورة القيامة آية : ٤٠] .

للفظ القتل وليس قوله : ﴿ فِي القصاص حياة ﴾ كذلك ورابعها : أن قول القائل : القتل أنفى للقتل . لا يفيد إلا الردع عن القتل ، وقوله : ﴿ فِي القصاص حياة ﴾ يفيد الردع عن القتل وعن الجرح وغيرهما فهو أجمع للفوائد وخامسها : أن نفي القتل مطلوب تبعاً من حيث إنه يتضمن حصول الحياة ، وأما الآية فإنها دالة على حصول الحياة وهو مقصود أصلي ، فكان هذا أولى وسادسها : أن القتل ظلماً قتل ، مع أنه لا يكون نافياً للقتل بل هو سبب لزيادة القتل ، إنما النافي لوقوع القتل هو القتل المخصوص وهو القصاص ، فظاهر قولهم باطل ، أما الآية فهي صحيحة ظاهراً وتقديراً ، فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب .[مفاتيح الغيب :٣/ ٦٩]

حين(١)

الحين يقع على كل شيء من الأوقات قصير وطويل ، ويكون محدود أو غير محدود ، وأصله من القرب ، ومنه حان الشيء إذا قرب ، والحائن الذي قرب أجله ، والاسم الحين .

والحين في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السنة ، قال : ﴿ تُؤتِي أُكُلَهَا كُل حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٥] ، أي : كل سنة ، هذا قول بعض الفقهاء ، وإليه ذهب مقاتل .

وذهب الكوفيون إلى أن الحين هنا ستة أشهر ، وهو من أوان الطلع إلى وقت الضرام ، قالوا : فمن حلف لا يكلم فلانا حينا ، فهو ستة أشهر ، لأنه قد علم أنه لم يرد أقصر الأوقات ومعلوم أنه لم يرد أربعين سنة ؛ لأن من أراد ذلك حلف على التأييد دون التوقيت ثم كان قوله تعالى : ﴿ تُؤتِي أُكُلَهَا كُل حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٥] ، لما اختلف السلف فيه كان أقصر الأوقات فيه ستة أشهر أولها أوان الطلع وآخرها وقت الضرام ، وهو أولى من اعتبار السنة ؛ لأن وقت الثمرة لا يمتد سنة ، بل ينقطع حتى لا يكون منه شيء ، وأما الشهران فلا معنى لاعتبارهما إذ قد علم أن الزمان بين ضرام النخل ، وبين ظهور الطلع أكثر من شهرين فلما بطل اعتبار السنة واعتبار الشهرين ثبت اعتبار السنة إلا شهر .

الثاني : منتهى الآجال ، قال الله : ﴿ وَلَكُم فِي الأَرضِ مُستَقَر وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [سورة البقرة آية :٣٦] ، وقال : ﴿ وَمَتعنَاهُم إِلَى حِينٍ ﴾ [سورة يونس آية :٩٨] .

---

(١) [حين] : الحَيْنُ : الهلاكُ ، حانَ يَحِيْنُ ، وحَيَّنَه اللهُ فَتَحَيَّنَ . والحائنَةُ : النّازِلَةُ ذاتُ الحَيْنِ ، والجَميعُ : الحَوَائنُ . والحِيْنُ : وَقْتٌ من الزَّمانِ ، حانَ يَحِيْنُ حَيْنُوْنَةً ، ويُجْمَعُ على الأحْيَان ؛ ثُمَّ على الأحايِيْنِ ، وحَيَّنْتُه : جَعَلْتَ له حِيْناً . والحِيْنُ : يَوْمُ القِيامَةِ . والتَّحْيِيْنُ : أنْ تَعْمَلَ عَمَلاً في حِيْنٍ واحِدٍ .
وحُيِّنَ الضِّيْفَانُ وأُحِيْنُوا : أُطْعِمُوا في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ مَرَّةً . وحِيْنَئِذٍ : تَبْعِيْدُ قَوْلِكَ الآنَ . والتَّحْيِيْنُ : أنْ تُحْلَبَ النّاقَةُ في اليَوْمِ مَرَّةً . ومَتى حِيْنَةُ نَاقَتِكَ : أي وَقْتُها الذي تُحْلَبُ فيه ، وكذلك حِلابُها بالرَّطْلِ . والحَيْنَةُ – بالفتحِ – الوَجْبَةُ . وبَلَغَ مِحْيَانُ ذاك : أي جاءَ حِيْنُه . والحائنُ : الأحْمَقُ ، وامْرَأَةٌ حائنةٌ .[المحيط في اللغة :حين]

obeikandi.com

الثالث : قال الله : ﴿فَسُبحَانَ اللهِ حِينَ تُمسُونَ وَحِينَ تُصبِحُونَ﴾ ، [سورة الروم آية : ١٧] ، ثم قال : ﴿وَحِينَ تُظهِرُونَ﴾ [سورة الروم آية : ١٨] ، يعني : ساعة غروب الشمس ، وساعة طلوعها ، وساعة الظهر ، وأراد بالتسبيح هاهنا ، وجوب الصلاة في هذه الأوقات .

الرابع : زمان غير مؤقت ، قال الله : ﴿وَلَتَعلَمُنَ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ﴾ [سورة ص آية : ٨٨] ، وكان المراد به ما كان يبدر من الدبرة على الكفار ، فلم يؤقت في وقت الإنزال ، وقوله : ﴿هَل أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدهرِ لَم يَكُن شَيئًا مَذكُورًا﴾ [سورة الإنسان آية : ١] .

obeikandl.com

الحرج[1]

أصل الحرج من الضيق ، ومكان حرج ضيق ، والحرجة الشجر الملتف .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الشك ، قال الله تعالى : ﴿ثُم لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِم حَرَجًا مِما قَضَيتَ﴾ [سورة النساء آية : ٦٥] أي : شكا ، وذلك أن الرجل يضيق بالشك صدرا ، والثلج هو مع العلم واليقين ، ومثله : ﴿فَلا يَكُن فِي صَدرِكَ حَرَجٌ مِنهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ١] المخاطبة له والمعنى لأمته كما قال في موضع آخر ، : ﴿وَلا تَجعَل مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] .

وقوله : ﴿لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَن عَمَلُكَ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٥] ، وليس كل ما خاطب به النبيين والمؤمنين أرادهم به ، ألا ترى إلى قوله : ﴿يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ القِصَاصُ فِي القَتلَى﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ، والقصاص في العمد فكأنه أثبت لهم الإيمان مع قتل العمد ، وقتل العمد يبطل الإيمان ، وإنما أراد أن يعلمهم الحكم فيمن يستوجب ذلك ، ونحوه قوله : ﴿يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرسُولَ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَأكُلُوا الربَا﴾ [سورة آل عمران آية : ١٣٠] .

الثاني : الضيق ، قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيكُم فِي الدينِ مِن حَرَجٍ﴾ [سورة الحج آية : ٧٨] ، أي : من ضيق ، وقيل : من ضيق لا مخرج منه ، وذلك أنه يتخلص من الذنب بالتوبة ، فالتوبة مخرج .

---

(١) (ح ر ج) : حَرِجَ صَدْرُهُ حَرَجًا مِنْ بَابِ تَعِبَ ضَاقَ وَحَرِجَ الرَّجُلُ أَثِمَ وَصَدْرٌ حَرِجٌ ضَيِّقٌ وَرَجُلٌ حَرِجٌ آثِمٌ وَتَحَرَّجَ الْإِنْسَانُ تَحَرُّجًا هَذَا مِمَّا وَرَدَ لَفْظُهُ مُخَالِفًا لِمَعْنَاهُ وَالْمُرَادُ فَعَلَ فِعْلًا جَانَبَ بِهِ الْحَرَجَ كَمَا يُقَالُ تَحَنَّثَ إِذَا فَعَلَ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْ الْحِنْثِ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِلْعَرَبِ أَفْعَالٌ تُخَالِفُ مَعَانِيهَا أَلْفَاظَهَا قَالُوا تَحَرَّجَ وَتَحَنَّثَ وَتَأَثَّمَ وَتَهَجَّدَ إِذَا تَرَكَ الْهُجُودَ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا وَرَدَ بِلَفْظِ الدُّعَاءِ وَلَا يُرَادُ بِهِ الدُّعَاءُ بَلْ الْحَثُّ وَالتَّحْرِيضُ كَقَوْلِهِ تَرِبَتْ يَدَاكَ وَعَقْرَى حَلْقَى وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .[المصباح المنير :الحاء مع الراء]

تعالى يمنعهم الطاعة التي ينشرح مع أمثالها قلوب المؤمنين جزاء بما قدموا من الذنوب ، ودليل ذلك قوله في آخر الآية : ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرجسَ عَلَى الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٥] ، فيحلهم الذنب كما تسمع .

الثالث : الإثم ، قال الله : ﴿وَلا عَلَى الذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ بِإِذَا نَصَحُوا لله وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة آية : ٩١] ، أي : إثم ، وقوله : ﴿لَيسَ عَلَى الأَعمَى حَرَجٌ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، وإذا لم يكن عليه مع العمى إثم ، فكيف يكون مع عدم القدرة عليه الإثم والعقاب .

وقال الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وعميانهم في بيوتهم ، ودفعوا إليهم المفاتيح ، وقالوا لهم : أحللنا لكم أن تأكلوا منها ؛ فكانوا يتحرجون من ذلك فنزل قوله : ﴿لَيسَ عَلَى الأَعمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَى أَنفُسِكُم أَن تَأكُلُوا مِن بُيُوتِكُم﴾ [سورة النور آية : ٦١] .

وذهب أبو علي رحمه الله إلى أن معنى قوله : ﴿لَيسَ عَلَى الأَعمَى حَرَجٌ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، أنه ليس عليه ضيق في ترك القتال ، والصحيح الذي قلنا ، والدليل على ذلك قوله : ﴿وَلا عَلَى أَنفُسِكُم أَن تَأكُلُوا مِن بُيُوتِكُم﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، فتلى ذكر الأكل بذكر الأكل ، وليس بالوجه أن يتلو ذكر الحرب بذكر الأكل .

حتى

حتى بمعنى الغاية تقارب إلى ، وهي من عوامل الأسماء خاصة ؛ فإذا وقع بعده الفعل أضمرت بينهما أن ، فتكون أن مع الفعل اسما ، كقولك : أسير حتي تمنعني ، ويرتفع بعدها الفعل أيضا ؛ وإن ارتفع فهو خبر لمحذوف ، وذلك قولك : مرض حتى تمر به الطائر فترحمه ، كأنه قال : حتى أنه هذه حالة ، ويكون أيضا بمعنى كم فينصب ، كقولك : أطع الله حتى يدخلك الجنة ، ويرتفع الفعل بعده ، فيقول : سرت حتى أدخلها ؛ أي : كان مني سير فدخول ، أي : أنا في حالة دخول اتصل به سير ونحوه ، فإن المبدئ رحلة فركوب .

ولها في الرفع موضع آخر ، وهو قولك مرض حتى لا يرجونه ، أي : هو الآن كذلك ، ويقع الاسم بعدها مرفوعا ومنصوبا ومجزورا ، تقول : ضربت القوم حتى زيد وقدم القوم حتى المشاة ، وأكلت السمكة حتى رأسها ، وينشد :

أَلقَى الصَّحِيفَةَ كَي يُخَفِّفَ رَحلَـهُ ... وَالـزَّادَ حَتَّـى نَعلَـهُ أَلقَاهَـا

نصبوا نعله وخفضوها ورفعوها فمن نصب جعلها بمنزلة الواو على قولك : ضربت زيدا وعمرا كلمته .

ومن رفع فعلى قولك : ضربت زيدا وعمرو كلمته ، ومن خفضها فعلى قولك : غاية بمنزلة ، أي : إلى أن أنتهي إلى نعله .

وكذلك القول في أكلت السمكة حتى رأسها ، ورأسها ، ورأسها ، والكلام فيه يطول .

وحتى في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى إلى ، قال تعالى : ﴿تَمَتَّعُوا حَتى حِينٍ﴾ [سورة الذاريات آية : ٤٣] ، أي : إلى حين ، وقال : ﴿فَذَرهُم فِي غَمرَتِهِم حَتى حِينٍ﴾ [سورة المؤمنون آية ٥٤] أي : إلى حين ، وقال : ﴿حَتى مَطلَعِ الفَجرِ﴾ [سورة القدر آية : ٥] .

الثاني : بمعنى فلما ، وذلك إذا وقعت مع إذا ، قال تعالى : ﴿حَتى إِذَا استَيأَسَ الرسُلُ﴾ [سورة يوسف آية : ١١٠] ، وقال : ﴿حَتى إِذَا فُتِحَت يَأجُوجُ وَمَأجُوجُ﴾ [سورة

الانبياء آية : ٩٦] ، وقال : ﴿ حَتى إِذَا أَخَذنَا مُترَفِيهِم بِالعَذَابِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٦٤] ، وقال : ﴿ حَتى إِذَا جَاءَ أَمرُنَا ﴾ [سورة هود آية : ٤٠] .

الثالث : بمعنى إلى أن ، قال تعالى : ﴿ حَتى يُعطُوا الجِزيَةَ عَن يَدٍ ﴾ [سورة التوبة آية : ٢٩] ، كذا جاء عن أهل التفسير فينبغي أن يحمل هذه الوجوه على الأصول التي ذكرناها في أول الباب ؛ فيصح .

obeikandl.com

الحرام[1]

أصله المنع ، ومنه حرمته عطاءه حرماناأي : منعته إياه وحريم الرجل ما يجب عليه منعه وكذلك حرمته ، وهو ذو رحم محرم ؛ لأنه منع عن نكاحها بالنهي والشهر الحرام الممنوع فيه عن سفك الدماء ، والبلد الحرام قربت من ذلك .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : المنع بالنهي ، وهو قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] ، وهي ما قد مات من غير تذكية مما شرط علينا التذكية وإباحته ، والدم يعني : المسفوح' لأن الكبد والطحال مباحان بالإجماع ، ولحم الخنزير ، وذكر اللحم وأراد جميع أجزائه من شحم وعظم ، وغير ذلك ، لأن اللحم معظمه ، وإذا ذكره فقد دخل فيه غيره ، : ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ [سورة المائدة آية :٣] ، وهذا يوجب أن ترك التسمية عليه يقتضي تحريمه ؛ لأنه لا فرق بين التسمية عليه وبين تسمية زيد عليه .

الثاني : عدم الإمكان وهو قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [سورة المائدة آية :٢٦] ، ودليل هذا قوله : ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[سورة المائدة آية :٢٦] ، ونظيره قول الشاعر :

إِنِّي امرؤٌ صَرعِي عَلَيكَ حَرَام

يخاطب فرسه أي : لا يمكنك صرعي إني جيد الفروسية .

(١) (ح ر م) : حَرُمَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ حُرْمًا وَحُرُمًا مِثْلُ : عُسْرٍ وَعُسُرٍ امْتَنَعَ فِعْلُهُ وَزَادَ ابْنُ الْقُوطِيَّةِ حُرْمَةٌ بِضَمِّ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا وَحَرُمَتْ الصَّلَاةُ مِنْ بَابَيْ قَرُبَ وَتَعِبَ حَرَامًا وَحُرْمًا امْتَنَعَ فِعْلُهَا أَيْضًا وَحَرَّمْت الشَّيْءَ تَحْرِيمًا وَبِاسْمِ الْمَفْعُولِ سُمِّيَ الشَّهْرُ الْأَوَّلُ مِنْ السَّنَةِ وَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ الْأَلِفَ وَاللَّامَ لَمْحًا لِلصِّفَةِ فِي الْأَصْلِ وَجَعَلُوهُ عَلَمًا بِهِمَا مِثْلُ : النَّجْمِ وَالدَّبَرَانِ وَنَحْوِهِمَا وَلَا يَجُوزُ دُخُولُهُمَا عَلَى غَيْرِهِ مِنْ الشُّهُورِ عِنْدَ قَوْمٍ وَعِنْدَ قَوْمٍ يَجُوزُ عَلَى صَفَرٍ وَشَوَّالٍ وَجَمْعُ الْمُحَرَّمِ مُحَرَّمَاتٌ وَسُمِعَ أَحْرَمْتُهُ بِمَعْنَى حَرَمْتُهُ وَالْمَمْنُوعُ يُسَمَّى حَرَامًا تَسْمِيَةٌ بِالْمَصْدَرِ وَبِهِ سُمِّيَ وَمِنْهُ أُمُّ حَرَامٍ وَقَدْ يُقْصَرُ فَيُقَالُ حَرَمٌ مِثْلُ : زَمَانٍ وَزَمَنٍ وَالْحِرْمُ وِزَانُ حِمْلٍ لُغَةٌ فِي الْحَرَامِ أَيْضًا .[المصباح المنير :الحاء مع الراء]

obeikandi.com